

العلامة السيد محمد تقي المدرسي

معراج الروح ومنهاج الحياة

100



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

--	--

Mudarrisi

العلامة السيد محمد تقي المدرسي

الدعاء

معراج الروح ومنهاج الحياة

CA [REDACTED]

BPT70

.85

.M82

رقم الكتاب: BPT70 .85 .M82

دعاء

عليها وآلها وصحباؤها

الكتاب: الدعاء: معراج الروح ومنهاج الحياة

المؤلف: العلامة السيد محمد تقي المدرسي

الناشر: المركز الثقافي الإسلامي

عدد النسخ: ٥٠٠٠ نسخة

الطبعة: الأولى

تاريخ النشر: ربيع الاول/١٤٠٥هـ

المطبعة: مظاهري



في البدء..

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد كما أثنت على نفسك وفوق ما يقول القائلون.

اللهم صل وسلم على اشرف خلائقك الذي بعثته بالحق ليكون للعالمين نذيراً، محمد بن عبد الله، وعلى الأئمة الهداة من آل الطاهرين.

اللهم وفقنا لبلوغ ما نتمنى من رضوانك، وايدنا في سبل التقرب اليك، وسدد خطانا لا تباع نهج اوليائك.

وبعد :

ايها القاريء الكريم..

ان احببت ان يحدثك رب العالمين فأتل القرآن وان اردت ان تتحدث مع الله، فصّل، او ادعُ ربك..

وسواء قرأت القرآن، او دعوت ربك، فان المسافة المصطنعة بينك

وبين سبحات وجه ربك تقتصر، بل قد تتلاشى.

ولم يدع القرآن الكتاب الذي انزله الله، دليلاً اليه، وسراجاً منيراً في طريق قرببه، لم يدع الناس بلا توجيه في «فن الحديث مع الرب» ان صح التعبير.

فايات الذكر قد قصت علينا: كيف دعا الصالحون الله فاستجاب لهم ربهم دعاءهم.

ومضامين الدعاء القرآني، غنية باداب الحديث مع الله، كيف نحمده ونثني عليه، ونستغفره ونتقرب بالانابة الى جنابه، ثم كيف نبدأه بطلب افضل الحاجات، دون ان ننسى الشؤون الثانوية، وكيف نتذكر الوالدين والاقربين والاخوة المؤمنين عند الدعاء، وعشرات من الاداب الاخرى.

وصاغ الرسول الكريم ادعية عالية المضامين بوحى من القرآن الحكيم، ومضى اهل بيته الطاهرين على نهجه. فاذا بهم يملأون الافاق بروائع الدعاء التي احتوت على دائرة للمعارف الالهية، ابتداءً من معرفة الله ومعرفة اسمائه الحسنى، وطرق التوسل اليه، واساليب التوبة، واستمراراً مع صفات الرسل وانتهاءً بتكريس الصفات الرسالية عند الانسان المسلم.

ومما يؤسف له ان مخازن الادعية الماثورة، لا تزال بعيدين عنها بالرغم

من فقرنا اليها.. وترانا نلتمس الهدى والحكم والنصائح من تراث اليونان، او قدماء الفرس، او مرتاضي الهند وعندنا ما يفيض عن حاجاتنا من تراث الرسول واهل بيته وربما يعود ذلك الى السنين التالية:

١/ بالرغم من كثرة عدد العلماء الذين عكفوا على دراسة مختلف ابواب الفقه، ومقدماته من العربية والمعاني والبيان والاصول، فان قليلاً منهم اعطوا جانب الادعية حقها. ربما للاعتقاد بان الحاجة الى الفقه اشد من الادعية، ما دامت الادعية الماثورة منتشرة بين المسلمين ويتلونها في كل صباح ومساء، وبكل مناسبة.

بينما كانت الادعية ومن قبلها القرآن واحاديث الاخلاق والمواظب هي الاحرى بالاهتمام لانها تعطي اصول العلم، وقواعد المعرفة، وليس الفقه - على اهميته - سوى حقل بسيط من مجموع الرسالات الالهية، اما الاهم فهو اصلاح عقائد الناس، وتعريفهم بحقيقة الدنيا، وتذكيرهم بايام الله، وتخويفهم الآخرة، وترغيبهم في الجنة وتركيزهم انفسهم، وتنظيم مجمل علاقاتهم بالخالق، وبالناس وبالمخلوقات.

ونشأ من قلة الباحثين في الادعية فراغ هائل في تنظيم النصوص وتأليف مختلف الكتب التي تفي بحاجات الناس فيها، علماً باختلاف الناس في مراتب التعبد فمنهم من يبتهل الى ربه فيحتاج الى مثل كتاب (الاقبال) و (المصابيح) ومنهم المقتصد فهو بحاجة الى مثل (مفاتيح الجنان) ومنهم الذين يبحثون عن ادعية سهلة وهم اغلب الناس

الذين تغنيهم مثل (الصحيفة السجادية).

ولولا كتاب «مفاتيح الجنان» للمحدث الكبير الشيخ عباس القمي رضوان الله عليه وكتب امثاله، اذاً كانت المكتبة الاسلامية تعيش فراغاً هائلاً..

ولست اعرف عدد الطبعات ولا عدد النسخ التي طبع بها كتاب مفاتيح الجنان، ولكنني اعتقد ان النسخ بمئات الالوف وانه لا يصل الي حجم نسخه ولا عدد طبعاته اي كتاب ديني غير كتاب الله المجيد في هذه البلاد.

أو ليس ذلك دليل على مدى الحاجة التي كانت الجماهير المؤمنة تحس بها.

ومن جهة اخرى نجد الاهتمام منصباً على تاليف كتب اخرى، بالكاد يصرف منها الف نسخة، وتتراكم في مخازن المكتبات.

٢/ النظرة السطحية التي ينظرها البعض الى الادعية المأثورة، التي احتوت على كنوز معارف آل بيت الرسول - صلى الله عليه وعليهم -.

الادعية - عندهم - مجرد اذكار لا بد أن يرددها الفرد - بوعي أو دون وعي - ليحصل على الثواب.

ولا ريب ان من يقرأ دعاء رغبة في ثواب الله، ورجاء رحمة او تسليماً

لامره سبحانه فسوف يؤتيه الله أجراً عظيماً، ولكن هل هذا كل هدف الادعية؟

ام ان دعاء مكارم الاخلاق هو برنامج اخلاقي متكامل، ودعاء الافتتاح هو موسوعة عقائدية شاملة، ودعاء ابي حمزة الثمالي هو زخم روحي وومضة عرفانية، وترتيب سلم الاولويات عند البشر. ان مفردات الادعية - لو تأملنا فيها - كانت دروساً في الحياة غنية بالمعاني الحضارية.

وحتى الفقه الاسلامي لا بد ان يستمد قيمه التي تستهدف مفردات الاحكام تحقيقها، يستمدّها من الادعية، أو ليس القانون - او الحكم الشرعي - يستهدف بالتالي تحقيق مثل معينه، مثل اقامة الحق، والعدل، وتحقيق الفضيلة، والاحسان والخيرين الناس؟!، فمن اين يستقي هذه المثل وتحديداتها، واولوياتها، وتقاطعاتها، أو ليس من النصوص الملهمه للحكم الشرعي والادعية الماثورة من تلك النصوص!؟

قديماً عندما شرعنا في دراسة مقدمات الفقه الاسلامي، وفي اول يوم من ايام دراستنا التمهيدية علمونا هذا الحديث الشريف: اول العلم معرفة الجبار و آخر العلم تفويض الامر اليه. وانا اليوم اتساءل: اذا كان اول العلم معرفة الجبار، فلماذا تركنا دراسة الادعية التي تساعدنا على معرفة الله؟

والى متى يبقى الهجر بيننا وبين اغنى كنوز المعارف الروحية.

وفي الختام:

اقدم اليك ايها القاريء الكريم، مجموعة محاضرات القيتها على
المصلين في ايام شهر رمضان المبارك لعام ١٤٠٣ هجرية. واستراحت في
اشرطة الكاسيت حتى قيض لها احد اخوتنا الكرام فاعاد صياغتها ووثق
نصوصها واعدها للطبع بصورتها الحالية، فشكره الله على ذلك واثابه من
فضله ووفقه للمزيد من الطاعات.

وحيث اقدم هذا الكتاب، آمل الا تنساني من صالح دعواتك فان
دعاء المؤمن في حق اخيه مستجاب.

نسأل الله لي ولك المغفرة والرضوان والهدى والاستقامة.. انه سميع
الدعاء..

محمد تقي المدرسي

٢١/محرم الحرام/١٤٠٥ هجرية

الفصل الأول:

الدعاء في القرآن

- ١- كيف ندعو الله؟
- ٢- ادعوني استجب لكم.

١- كيف ندعو الله؟

* واذا سألك عبادي عني فاني قريب
اجيب دعوة الداع اذا دعان
فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم
يرشدون *

(البقرة/١٨٦)

* قل أرأيتم ان اتاكم عذاب الله، أو
آتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم
صادقين. بل اياه تدعون، فيكشف ما
تدعون اليه ان شاء وتنسون ما
تشركون. ولقد ارسلنا الى امم من
قبلك فاخذناهم بالأساء والضراء
لعلهم يتضرعون. فلولا اذ جاءهم
بأسنا تضرعوا، ولكن قست قلوبهم

وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون *

(٤٠-٤٣/ الانعام)

* قل من ينجيكم من ظلمات البر
والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن
انجانا من هذه لنكوننَّ من الشاكرين.
قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب
ثم انتم تشركون *

(٦٣-٦٤/ الانعام)

* ولا تفسدوا في الارض بعد
اصلاحها، وادعوه خوفاً وطمعاً ان
رحمة الله قريب من المحسنين *

(٥٦/ الاعراف)

* قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما
ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون *

(٨٩/ يونس)

ما هو الدعاء؟ وكيف ينبغي ان يدعو الانسان؟ وما هي الفوائد
المرجوة من دعوة الانسان ربه؟

قبل كل شيء لا بد ان نعلم ان للدعاء اهدافاً وحكماً معينة لو عرفها
الانسان لاكتشف كنزاً عظيماً، ربما لم يكن قد اكتشفه سابقاً. اكتشف
علاجاً لمشاكل عويصة يعيشها في حياته، اكتشف حلاً للمصاعب التي
تعرضه، واكتشف بالتالي شفاء لما في صدره من الآلام والادران.

والايات الكريمة بالرغم من انها متناثرة في مناسبات مختلفة في القرآن الحكيم الا انها تعطينا - في المجموع - فكرة متكاملة عن الدعاء.

اين ندعو الله؟

عند المشاكل يبحث الانسان عن حل، وبفطرته يعرف ان الحل بيد الله، وان اية مشكلة مهما عظمت، ومهما دعت الانسان الى اليأس فان لها حلاً بيد الله ولكن: اين الله؟

اين نذهب لنكون قريبين من الله ونتحدث اليه ونسأله؟

هل الله في المسجد؟

هل الله في الصحراء؟ فوق الجبال؟

والتالي: اين نكون نحن اقرب الى الله؟

هذا السؤال مطروح امام كل الناس، ليس فقط الذين كانوا في عهد الرسول وسألوه عن الله، وانما نحن ايضاً عندما نواجه مشاكلنا نبحث عن مقام نكون فيه اقرب الى الله سبحانه وتعالى لندعوه فيه.

ويجيب القرآن الحكيم على هذه التساؤلات بقوله:

*واذا سألك عبادي عني فاني

قريب* (١)

فانك لا تحتاج الى واسطة، ولا تحتاج ان تقطع مسافة لتصل الى الله،
انما ربك قريب.

ونحن نقرأ في دعاء (ابي حمزة الشمالي)..

[وان الراحل اليك قريب المسافة،
وانك لا تحتاج عن خلقك الا ان
تحجبهم الاعمال دونك]

وحينما يُسأل الإمام علي (ع) عن المسافة بين الارض
والسما، يقول الامام ان المسافة بينها هي [دعوة مستجابة]، لان الدعوة
المستجابة تقطع البلايين من الكيلومترات التي تفصل بين الارض
والسما في اقل من طرفة عين،* فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا
دعان* (وقد جاء في كتب التفاسير ان رجلاً سأل النبي محمداً (ص)
قائلاً: يا رسول الله ربنا قريب فنناجيه ام بعيد فنناديه).

فانتظر الرسول الوحي، فجاءت الآية:

*واذا سألك عبادي عني فاني قريب

(١) كلمة «عباد» تأتي عادة في العباد الصالحين، بينما تأتي كلمة «عبيد» للتعبير عن غير الصالحين.

(٢): مفاتيح بيروت/ ٢٤٠

اجيب دعوة الداع اذا دعان
فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم
يرشدون*

دعوة الله وحده

فالله تعالى يجيب دعوة الداعي، ولكن بشرطين هما:

الاول: «اذا دعان»، فالدعوة يجب ان تكون لله وحده وليس لاحد غيره. وكأن الانسان يدعو الله في الظاهر ولكنه في الواقع لا يدعوربه الحقيقي، وانما يدعو الشركاء من دون الله. يقول: «يارب» بلسانه، ويرفع يديه بالدعاء نحو السماء ولكن قلبه لا يتصل بالله، فهو يدعو الله بلسانه بينما قلبه لا يدعو الله، وقد جاء في تفسير الآية الكريمة:

*فاخلع نعليك انك بالواد المقدس

طوى*

(١٢/طه)

ان المراد من (النعل) هو حب الاهل والاولاد. اي انك ما دمت قد جئتني واردت ان تدعوني يجب ان لا يكون قلبك متصلاً بحب الاولاد، لان النبي موسى في تلك الصحراء، وفي تلك الليلة الشتائية وبينما يلفه الظلام والبرد والضياع، كان يفكر في زوجته القريبة من الولادة وكان يبحث عن النار لها.

وانت ايضاً ذهبت الى المسجد، وقمت للصلاة، بينما فكري مشغول

باولادك ومشاكلك، فانك لا تدعو الله.

اذن، نكتشف من هذه الآية الكريمة انه اذا اردت الدعاء فلا بد ان تباعد عن العلاقات والارتباطات الاخرى وتخلص توجهك الى الله سبحانه وتعالى. فربنا يقول:

* واذا سألك عبادي عني فإني قريب، اجيب دعوة الداع اذا دعان *

اما الشرط الثاني: فنجده في النصف الثاني من الآية الكريمة، اذ يقول الله تعالى:

* .. فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون *

مادام الله يجيب دعوتك فأنت بدورك لا بد ان تستجيب لله وتؤمن به، وتكيف كل شؤون حياتك وفق ارادة الله، وحسب تعاليمه، وبهذا يرشد الانسان. والرشاد يعني الوصول الى الطريق الصحيح، فاذا استجاب الانسان لله، وآمن به، يكون قد ضمن الرشاد في حياته.

فلسفة الدعاء

وعن فلسفة الدعاء، تقول الآية الكريمة:

* قل أرأيتم إن اتاكم عذاب الله أو
اتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم
صادقين، بل إياه تدعون فيكشف ما
تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تذكرون
ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك
فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم
يتضرعون *

في البدء تتعرض الآية إلى أن الإنسان حينما يأتيه عذاب الله، أو
تأتيه الساعة، وحينما تشتد به الحياة فإنه يدعو الله وينسى الشركاء الذين
اتخذهم من دون الله. ثم يشير القرآن إلى فلسفة الدعاء بأن الله أرسل رسوله
إلى الأمم السابقة بعدما أنزل العذاب في صورتين:

في صورة حروب داخلية وعذاب الإنسان للإنسان، وهو (البأساء)
وفي صورة عذاب الطبيعة للإنسان وهو الضراء (١)

ولكن لماذا يأخذ الله عباده بالبأساء والضراء؟

(١) بعض علماء الفضاء يتوقعون حدوث تغيرات هائلة في الكرة الأرضية بسبب الانفجارات المتتالية
التي تحدث في الشمس، لأن هذه الانفجارات رفعت درجة حرارة الشمس من خمسة آلاف درجة إلى خمسة عشر
الف درجة وهذا الارتفاع يؤثر في الأرض التي هي واحدة من الأقمار الدائرة حول الشمس، فما هو تأثيرها؟
لا ندري. هل تسبب الطوفان؟ هل تسبب حدوث انفجارات داخلية في عمق الأرض؟ لا ندري.
ومن الذي يقدر أن يوقف هذه الانفجارات داخل الشمس؟ وإذا ما أدت هذه الانفجارات إلى حدوث
تغيرات خطيرة في أرضنا التي هي قمر من أقمار الشمس فهل يستطيع العلم الحديث ووسائله المتطورة من
مواجهة هذه الآثار؟.

لا.. فالله وحده هو القادر على ذلك، ولعل حدوث مثل هذا الأمر هو نوع من أنواع الضراء.

لماذا يمتحنهم بالمشاكل؟
تجيب الآية الكريمة ذاتها:

* .. لعلهم يتضرعون *

فالهدف هو ان الله يريدك أنت - كعبد من عباده- أن تذهب اليه.

فحينما لا تذهب اليه في الحالة العادية، ينزل عليك المشاكل والعذاب و (البأساء والضراء) حتى تتوجه الى ربك وتتضرع اليه.

ولكننا نجد أن بعض الناس حتى في حالة الضراء والبأساء لا يتضرعون الى الله، وفي الواقع قد بلغ بهم الجمود مرحلة فقدوا معها حتى فطرتهم ووجدانهم، ذلك الوجدان الذي يملكه كل انسان في حالة المشكلة والمصيبة، والعذاب، وتلك الفطرة التي تجعل الانسان يرجع الى الله، وعن هؤلاء يقول القرآن الكريم:

* فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن
قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما
كانوا يعملون *

إذن، فان هذه الآيات تؤكد بأن من فوائد المشاكل والمصائب في الدنيا توجه الانسان وتضرعه الى الله.

وفي الواقع ان المشاكل تنتهي بينما الايمان الذي يزرعه التضرع الى

الله في قلب الانسان يبقى ويستمر، كما أن العمل الصالح الذي يخلقه
إيمان الفرد هو الآخر يبقى وتستمر آثاره حتى بعد فناء الدنيا ومشاكلها.

«قال ابو عبد الله (ع): (دعي النبي صلى الله عليه واله وسلم الى
طعام فلما دخل منزل الرجل نظر الى دجاجة فوق حائط قد باضت،
فتقع البيضة على وتد في حائط، فثبتت عليه ولم تسقط ولم تنكس
فتعجب النبي (صلى الله عليه واله وسلم) منها، فقال له الرجل: اعجبت
من هذه البيضة؟ فوالذي بعثك بالحق ما رزئت شيئاً قط - اي لم أصب
بمصيبة قط. فنهض النبي صلى الله عليه واله وسلم، ولم يأكل من طعامه
شيئاً، وقال: من لم يرزء فما لله فيه من حاجة» (١)

«عن ابي عبد الله (ع) قال: قال النبي (صلى الله عليه واله وسلم)
يوماً لاصحابه: (ملعون كل مال لا يُزكى، ملعون كل جسد لا يزكى، ولو
في كل اربعين يوماً مرة فليل: يارسول الله أما زكاة المال فقد عرفناها،
فما زكاة الاجساد؟ فقال لهم: ان تصاب بأفة.

قال: فتغيرت وجوه الذين سمعوا ذلك منه، فلما رأهم قد تغيرت
الوانهم قال لهم هل تدرّون ما عنيت بقولي؟ قالوا: لا يارسول الله. قال:
الرجل يخذش الخدشة، وينكب النكبة، ويعثر العثرة، ويمرض
المرض، ويشاك الشوكة، وما أشبه هذا، حتى ذكر في آخر حديثه

(١): البحار ج ٩٣ ص ٢٨٩.

اختلاج العين» (١).

وعلى الانسان الذي لا يواجه في حياته أية مشكلة أو مصيبة، أن لا يفرح ويطمئن، إذ أن هذا هو علامة الغرور، فالانسان حينما يصاب بمشكلة ما، فان روحه تترفع وتضاء بنور الله سبحانه وتعالى و يتوجه قلبه الى الله، وهذا التوجه هو أكثر فائدة من أضرار المشكلة.

كما ان الانسان الذي لا يتضرع حتى مع مواجهته البأساء والضراء، فانه يكون قد قسى قلبه، وزين له الشيطان أعماله السيئة.

أساليب الدعاء:

أما عن أساليب الدعاء، فان القرآن الكريم يقول:

* قل من ينجيكم من ظلمات البر
والبحر تدعونه تضرعاً وخفية *

فالدعاء يجب أن يكون أولاً: تضرعاً الى الله، وأن يكون ثانياً: خفية، أي سرّاً بين العبد وربّه.

كما ينبغي على الداعي الى الله سبحانه وتعالى أن يعرف انه يتعاهد مع الله من خلال الدعاء: انه عندما ينجيه الله من هذه المشكلة أن يتحول

(١) (بحار الانوار/٦٧/٢١٨)

رجلاً صالحاً وشاكراً له.

* لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين *

ولكن ربما يتعهد الانسان مع الله، و يرفع المشكلة عنه ثم يعود الى حياته السابقة دون أي تغيير حقيقي في السلوك:

* قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب
ثم أنتم تشركون *

وفي سورة (الأعراف) نقرأ الآية الكريمة:

* ولا تفسدوا في الأرض بعد
اصلاحها، وادعوه خوفاً وطمعاً، ان
رحمة الله قريب من المحسنين *

ففي حالة الدعاء يجب أن يكون الانسان بين (الخوف والرجاء) عليه أن لا يطمئن لاستجابة دعائه بسرعة، كما أن عليه أن لا ييأس من رحمة الله. دعنا نتدبر قليلاً في العلاقة بين (دعوة الله خوفاً وطمعاً) وبين قرب رحمة الله من المحسنين.

ان العلاقة هي ان على الانسان حينما تحل به مصيبة ما، أو يواجه مشكلة في حياته أن يدعو الله، ولكن في نفس الوقت عليه أن يحسن

للناس، فالاحسان يشجع الانسان على الدعاء لما انه مفتاح الاستجابة
من قبل الله الذي تكون رحمته قريباً من المحسنين.

وفي سورة يونس تطالعنا هذه الآية:

* قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما،

ولا تتبعان سبيل الذين لا

يعلمون*

والخطاب موجه الى موسى وهارون وهو يعني انك اذا دعوت الله
واستجاب الرب دعوتك فلا تذهب الى هذا وذاك، وليكن أملك بالله
واستقم على الطريق السوي ولا تستجب للضغوط والتحديات، كما
عليك أن تواصل الطريق على هدى الله، ولا تتبع سبيل الذين لا يعلمون.

٢- ادعوني استجب لكم.

* ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له
فنجيناها واهله من الكرب العظيم *
(٧٦/الانباء)

* وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر
وانت ارحم الراحمين * فاستجبنا له
فكشفنا ما به من ضر، وآتيناه آهله
ومثلهم معهم رحمةً من عندنا وذكرياً
للعابدين *

(٨٣-٨٤/الانباء)

* قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم،
فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً *
(٧٧/الفرقان)

* آمن يجيب المضطر اذا دعاه

ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء
الارض ءاله مع الله قليلاً ما
تذكرون*

(النمل/٦٢)

*وقال ربكم ادعوني استجب لكم
ان الذين يستكبرون عن عبادتي
سيدخلون جهنم داخرين*

(غافر/٦٠)

*ويستجيب الذين امنوا وعملوا
الصالحات ويزيدهم من فضله،
والكافرون لهم عذاب شديد*

(الشورى/٢٦)

دعاء نوح

من خلال التدبر في هذه الآيات نستوحي بصائر قرآنية جديدة في
الدعاء، ومن ابرز هذه البصائر ما نراه في سورة الانبياء حيث يقص علينا
ربنا سبحانه وتعالى قصة نوح:

ان نوحاً حينما دعا ربه، استجاب له ونجاه من ذلك الكرب
العظيم.

لقد شمل الطوفان كل العالم، واغرق الناس اجمعين. بل واغرق كل

الاحياء من الحيوانات والطيور ايضاً.

الطوفان يشمل الجميع، وينهي حياة الجميع ولكن يبقى انسان واحد ومجموعة صغيرة معه احياء، يستجيب الله لهم وينجيهم من الكرب العظيم.

ان في ذلك دلالة واضحة على ان امور الكون ليست اموراً تجري على سنن موضوعة لا تخترق، كلاً.. بل هذه السنن تتغير وفق ارادة عليا واسمى، هي ارادة الله سبحانه وتعالى.

صحيح ان ما يحدث في الكون من حوادث وتطورات، انما تكون وفق قوانين وانظمة ثابتة. ولكن هذه القوانين انما يجريها ربنا، فاذا اراد وقف العمل بقانون ما، او تغيير قانون آخر، فعل ذلك حسب ارادته.

كانت هناك نظرية خاطئة لدى فلاسفة اليونان تقول:

لو كانت السماء قوساً، والبلاء سهماً والله هو الرامي، فاين الفرار؟

وقد اشتهرت هذه النظرية في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجاءت الآية الكريمة:

* ففروا الى الله اني لكم منه نذير

مبين *

(٥٠/الذاريات)

فالسماء قوس والبلاء سهم ويد القدر هي التي تسدد هذا السهم،

ولكن مع كل ذلك، هناك الأمل بالخلاص، ان هناك باباً للنجاة برغم السماء، وبرغم سهم البلاء، ذلك الباب هو العودة الى الله سبحانه وتعالى:

* ففروا الى الله اني لكم منه نذير

* مبین *

الفرار الى رب القدرة، الى من هو اعظم من السماء، واكبر من البلاء، واقوى من القدر. ان الله قدراً وقضاً، والقضاء فوق القدر، وهو ياتي لينقض القدر، فقد يقدر عليك ان تموت في حادثة معينة، ولكنك تدفع الصدقة وتستجيب لله، وتدعوه فيستجيب الله دعائك فيأتي قضاء الله ليمنع عنك القدر.

يقول الله تعالى في سورة الانبياء:

* ونوحاً اذ نادى من قبل فاستجبنا له

فنجيناه واهله من الكرب العظيم *

دعاء ايوب

ثم يقول ربنا في نفس السورة عن النبي ايوب:

* وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر

وانت ارحم الراحمين *

ومن هذه الآية الكريمة نستوحي اسلوب الدعاء، فطريقة ايوب في الدعاء تستدعي ان يكون الانسان مؤدباً في دعائه لله، اذ نرى ان ايوب لم يطلب من الله شيئاً بصراحة، وانما نادى ربه اني مسني الضر...

الهي قد بلغ بي الضر درجة المساس، اي ان الضر دخل في عظمي واثر علي تائيراً شديداً * وانت ارحم الراحمين * وما دمت كذلك، فكيف تدع عبدك هكذا يمسه الضر، فيطلب ايوب رحمة ربه بكناية هي ابلغ من التصريح.

دعاء موسى

وهكذا ايضاً يدعو النبي موسى ربه اذ يقول:

* رب اني لما انزلت الي من خير فقير *

(٢٤/القصص)

فلم يطلب الخير من الله باسلوب صريح، بل انه يقول: الهي انزلت عليّ خيراً كثيراً واشكرك على ذلك، لكنني الان اصبحت فقيراً الى ذلك الخير. فهو قد طلب الخير من الله ولكن بلغة غير مباشرة.

وحسبما جاء في بعض الاحاديث فان الانبياء (عليهم السلام) كانوا يكتفون بالتوجه الى الله فقط، دون التصريح بمطالبهم في الدعاء.

«عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: لما أجلس ابراهيم في المنجنيق، وارادوا أن يرموا به في النار أتاه جبرائيل فقال: السلام عليك يا ابراهيم ورحمة الله وبركاته. ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، فلما طرحوه دعا الله فقال: يا الله، يا واحدياً أحدياً صمدياً من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فحسرت النار عنه. وانه لمختبي - أي ملتفت في ثوبه - ومعه جبرائيل وهما يتحدثان في روضة خضراء» (١)

دعاء زكريا

وعن كيفية دعاء النبي زكريا نقرأ في سورة الانبياء قول ربنا الكريم:

* فاستجبنا له ووهبنا له يحيى
 واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون
 في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً
 وكانوا لنا خاشعين *

(٩٠/الانبياء)

ان من صفات المؤمنين انهم يدعون الله خوفاً من عذابه ورجاء رحمته. في حالة الدعاء يجب ان لا تكون آيساً من رحمة الله ولا مطمئناً الى ان هذه الرحمة سوف تشملك دون ريب، انما يجب ان تكون بين الخوف والرجاء.

(١) (البحار/١٢ص٢٤)

اذا كنت آيساً فان دعائك لا يُستجاب، وكثير من دعواتنا تكون مع اليأس والقنوط.

فالدعاء يجب ان يكون مع حالة من الرجاء، وكأن الاجابة على الباب، وفي نفس الوقت يجب ان لا تكون مطمئناً ولا تحتم على الله الاجابة. فالله سبحانه وتعالى اعلى واعظم من ان يحتم الانسان عليه شيئاً.

والانسان لا يستطيع ان يطمئن الى انه ينجو من كل آلامه ومشاكله بمجرد دعوة واحدة، كما انه لا يصح ان يكون يائساً وقانطاً من النجاة ويستسلم لواقعه المؤلم بل الانسان المؤمن يكون بين الخوف والرجاء، وهكذا كانت دعوة زكريا واهله حيث كانوا - كما يقول ربنا العزيز :

* ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين *

وحينما يكون الدعاء رغباً ورهباً.. بين الخوف والرجاء تتضاعف احتمالات الاستجابة من قبل الله تعالى، وهذا هو الاسلوب الافضل الذي يتبعه المؤمنون في دعواتهم.

الدعاء سلاح المؤمن

وقد يركن الانسان - احياناً - الى اعماله الصالحة، ويغتر بها، ويعتقد

-خطأ- انه الاقرب الى الله، وهو يستحق الجزاء الاوفى، بينما لو تدبرنا الامر لوجدنا ان كل الاعمال الصالحة يمكن ان لا تكون في موازنة عمل سيء واحد، ومعصية واحدة تحدينا بها رب العالمين.

يجب ان لا نغتر باعمالنا ولا نركن اليها في علاقتنا مع الباري عزوجل، لان الذي يرشحنا لرحمة الله سبحانه وتعالى هو الدعاء.

وفي هذا يقول الله سبحانه:

*قل ما يعبأ بكم ربي لولا
دعاؤكم...*

فالله لا يعبأ بالانسان ولا باعماله لولا توسله بالدعاء والتضرع. لذلك جاء في الحديث:

«الدعاء سلاح المؤمن» (١)

فالدعاء سلاح، والبكاء سلاح، والتضرع والخضوع امام الله سلاح.

الدعاء وفطرة الانسان

وتكشف الآية (٦٢) من سورة النمل جانباً آخر من الدعاء حيث

(١): (البحار ٢٨٩/٩٣)

تقول:

* أَمَّنْ يَجِيبُ الْمَضْطَرَّ إِذَا دَعَا
وَيَكْشِفُ السُّوءَ، وَيَجْعَلُكُمْ خَلْفَاءَ
الْأَرْضِ ءِإِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا
تَذَكَّرُونَ *

(٦٢/النمل)

حينما تكون مضطراً، فاي باب يجب ان تطرق؟ ومن الذي يفرج
عنك و يستجيب لك دعائك (امن يجيب المضطرا اذا دعاه)، من هو الذي
يستجيب دعاء المضطرب؟ هكذا تخاطب الآية فطرة الانسان وتوقظ
وجدانه، وتكشف امامه عن جوهر الحقيقة، وعن واقع ليس فيه اي
لبس، وتجعله يعود لنفسه و يتذكر تجاربه السابقة.. و يتذكر ايام
الاضطرار من الذي كان يستجيب له دعاءه و يكشف عنه الكروب،
والآلام، والاضرار:

* اَمَّنْ يَجِيبُ الْمَضْطَرَّ إِذَا دَعَا
وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خَلْفَاءَ
الْأَرْضِ ءِإِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا
تَذَكَّرُونَ *

ولكن الانسان في كثير من الاحيان يتصرف بعيداً عن يقظة الوجدان
والفطرة وينسى الله، واستجابته لدعوته. فالله يجيب دعاءه و يكشف
السوء عنه وفي لحظات الاضطرار يلجأ الى الله، ولكنه بعد ذلك يشرك بالله.

وينسى هذه اللحظات، وقليلًا ما يتذكر.

الدعاء والمستكبرون

اما الذي يستكبر عن الدعاء والتضرع لربه، فماذا يكون مصيره؟
يقول ربنا في الجواب:

*وقال ربكم ادعوني استجب لكم
ان الذين يستكبرون عن عبادتي
سيدخلون جهنم داخرين*

الذين لا يدعون ربهم ولا يتضرعون الى الله، يستكبرون عن الدعاء،
ولذلك فهم يدخلون جهنم داخرين. ان على الانسان ان يدعو الله في كل
صغيرة وكبيرة وان لا يستكبر عن الدعاء، ولا يصح ان يقول الواحد منا:
انا اعمل، وانا اتحرك، فلست احتاج للدعاء.

ولكن السؤال: كيف تعمل العمل؟ وكيف تتحرك في حياتك؟
ألست بحاجة الى توفيق الله، وتهيئة الظروف المناسبة لك؟! اذن، عليك
ان تدعوربك حتى يستجيب لك، ويوفئك للعمل:

وقال ربكم ادعوني استجب لكم

ألست عندكم حاجات وتطلعات وآمال؟ اذن، ادعوا الله حتى
يستجيب لكم. ثم يقول ربنا:

* ان الذين يستكبرون عن عبادتي *

وهنا يكون الدعاء من ابرز مصاديق العبادة. فالذين يستكبرون عن عبادة الله وعن الدعاء سيدخلون جهنم داخرين، يدخلون جهنم في حالة الذلة والهوان.

الدعاء والتطلع

ان الدعاء يزيد تطلع الانسان، ويزيد سعة صدره ويرفع همته. الدعاء يجعل الانسان لا يحصر نفسه ضمن حدود ضيقة وأطر محددة انه يعيد الانسان الى حقيقته، وحقيقة الانسان انه عالم كبير بالرغم من انه يزعم انه جرم صغير. والدعاء يسלט الضوء على هذه الحقيقة امام الانسان. وعلاقة الانسان بالدعاء والاستجابة تشبه علاقة المطر بالارض. فالمطر الذي ينزل من السماء هو للناس جميعاً، ولكن كل انسان يستفيد من هذا المطر بقدر ارضه. فالذي يملك هكتاراً واحداً من الارض يستفيد من المطر بقدر هكتار! والذي يملك عشرة هكتارات من الارض يستفيد بقدرها. وهكذا بالنسبة لمن يملك مائة هكتار يستثمر المطر بقدر مائة هكتار، اليس كذلك؟ وهكذا رحمة الله فانها واسعة بلا شك، ولكن سعة نفسك وسعة صدرك ومقدار استيعابك لهذه الرحمة هو شرط الرحمة، فاذا كانت نفسك ضيقة، واملك محدوداً، وتطلعك ضعيفاً، فان رحمة الله لك ايضاً تكون ضعيفة، ليس لان رحمة الله قليلة، وانما لانك انت لا تستوعبها.

اذن ينبغي ان ندعو الله وكلنا تطلع وامل في ان الله يجيب دعوتنا،

كما ينبغي ان ندعو الله ونسأله اشياء كثيرة وحاجات هائلة، واذا كان دعاؤك مستجمعاً لشروط الاستجابة، فان الله يعطيك ما تطلب، ولو لم يعطك في الدنيا فانه يعطيك في الآخرة.

اذن، فالدعاء يرفع همّة الانسان ويزيد في تطلعه حتى يشمل الدنيا والاخرة، والانسان المؤمن لا يستكبر عن عبادة الله ودعائه، اذ انه بذلك يدخل جهنم داخراً، ويجمع الى شقاء الدنيا، شقوة الآخرة ايضاً. بينما الذي يدعوربه ويتضرع اليه، يستجيب الله دعائه في الدنيا ويؤتيه اجره في الآخرة.

الدعاء وفضل الله

وتشير الآية (٢٦ من سورة الشورى) الى ان الله ليس فقط يستجيب دعوة المؤمنين من عباده، وانما يزيدهم من فضله، تقول الآية الكريمة:

* ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله
والكافرون لهم عذاب شديد *

فاذا دعوت الله سبحانه وتعالى وطلبت منه زوجة، فان الله يعطيك زوجة واولاداً، واذا طلبت منه زوجة واولاداً، فانه يعطيك زوجة واولاداً ورزقاً ومسكناً لهم ايضاً. وهكذا * ويزيدهم من فضله *

ان رحمة الله واسعة جداً، حينما يستجيب لدعوتك فانه يعطيك ما
طلبت وإضافة الى ما دعوت.

الفصل الثاني:

الدعاء في السنة

- ١- الدعاء سلاح المؤمن.
- ٢- الدعاء وتطهير النفس.
- ٣- الدعاء وتوفير الامن والرفاه.
- ٤- الدعاء وضعف الانسان.
- ٥- شروط الدعاء.

١ - الدعاء سلاح المؤمن .

الاحاديث الشريفة التي هي تعبير عن روح القرآن وتفسير لمضامينه اكدت هي الاخرى على الدعاء واهميته وضرورته، وعلى انه سلاح الانسان ضد سلبيات نفسه، وضد صعوبات الحياة، بل انه سلاح الانسان ووسيلته التي عبرها يستطيع ان يصل الى اهدافه السامية.

وفي طليعة هذه الاحاديث ما روي .. عن الامام الرضا عن آباءه (ع) عن رسولنا الاكرم محمد (ص) انه قال:

(الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين،
ونور السموات والارض) (١)

هذه الرواية تشتمل ثلاث مفردات ينبغي ان نقف عند كل واحدة منها لنستخرج بصائر جديدة عن الدعاء:

(١): بحار الأنوار ج ١٠، باب فضل الدعاء والحث عليه.

الاولى: سلاح المؤمن

ان المؤمن يواجه في حياته ثلاثة مخاطر:

١- يواجه ضعف نفسه لان الانسان خلق من ضعف وركب في ضعف. حياته محدودة بحدود عديدة، وعمره محدود، وعلمه محدود وقوته محدودة، واخيراً، تحركه في الدنيا محدود.

والسؤال المطروح هو: كيف يخرج الانسان من هذا الضعف الذي يحيط به؟ كيف يقاومه؟ ويتحرر من حصار ضعفه لذاته، يخرج بقوة خارجية وبامداد غيبي، هو الاتصال بالله سبحانه وتعالى.

جرب في نفسك هذه الحالة: حينما تريد ان تعمل عملاً صعباً على نفسك كأن تريد القيام لصلاة الليل مثلاً. فانك توقت الساعة المنبهة في الوقت المحدد. يرن الجرس وتستيقظ، ولكنك تجد من الصعوبة ان تتجاوز ضعف ذاتك، فالنوم يستولي عليك، وجسمك يقاوم النهوض، ومشاعرك لا تزال خاملة. كيف تهيب بنفسك وتعزم على القيام؟

هنا امامك طريق واحد وهو ان تتذكر ربك، وتتوكل عليه، وتطلب من الله التوفيق، فسرعان ما تجد وكأن روحاً جديدة هبت في جسمك وساعدتك على النهوض لاداء صلاة الليل. لذلك كان الدعاء سلاح المؤمن ضد سلبات نفسه.

٢- ويواجه المؤمن ايضاً نواقص الطبيعة من حوله، والطبيعة هي

الآخري مخيفة، والانسان بفطرتة يخشى الطبيعة. ترى الطفل عادة يخشى
الظلام، يخاف الصحراء ويخشى الاصوات الغريبة. والانسان الكبير ايضاً
بخشى الكثير من مجالات الطبيعة، ولكن استطاع ان يتفوق بعلمه وعقله
على بعض المخاوف، الا ان الخوف من الطبيعة لا زال موجوداً. وهذا
الخوف هو الذي يهزم الانسان، قبل ان تهزمه مخاطر الطبيعة، لان الانسان
الخائف لا يستطيع ان يتحدى المخاوف، والله سبحانه وتعالى قد سخر له
ما في الارض والطبيعة جميعاً، فلا بد ان يتسلح بسلاح يقاوم هذا الخوف
من الطبيعة، ثم يقاوم مخاطر الطبيعة ذاتها وذلك السلاح هو سلاح
الدعاء.

اذا كنت وحدك في الصحراء او في الغابة وانتابك الخوف من شيء
ما، واذا كنت تشعر بالضعف امام جبل سامق، امام اي ظاهرة طبيعية
آخري فادع الله حتى تتغلب على الخوف والضعف.

من هنا وردت في الاحاديث المأثورة .. ادعية لمختلف الامور: لمقاومة
الخوف من المرض، من الجن، من الظلام، بالاضافة الى ان التوجه العام
في الادعية هو ربط الطبيعة وربط الانسان بالله، حتى يندفع الانسان
للسيطرة على الطبيعة.

نقرأ في دعاء الصباح المروي عن الامام علي امير المؤمنين (ع):

اللهم يامن دلح لسان الصباح
بنطق تبلجه، وسرح قطع الليل المظلم

بغياهب تلجلجه، وأتقن صنع الفلك
الدوّار في مقادير تبرجه، وشعشع ضياء
الشمس بنور تأججه، يامن دل على
ذاته بذاته، وتنزه عن مجانسة
مخلوقاته... [(١)

هذا الدعاء يذكر الانسان -عبر تلاوته المستمرة- بان كل جوانب
الطبيعة خاضعة لله: تنفس الطبيعة في الصباح، وانهزام قطع الظلام امام
نور الصباح، والافلاك الدائرة في هذا الكون.. كل ذلك انما هو بيد الله
وتحت هيمنته وفي اطار عرشه سبحانه وتعالى وقدرته. لذلك لا مبرر
للخوف من الطبيعة، بل على الانسان ان يتسلح بالايان والعلم للتغلب
عليها وتسخيرها لما ربه.

٣- يواجه المؤمن - كذلك- الخوف من عذاب الله وبلائه، والدعاء
هو سلاح المؤمن امام عذاب الله وبلائه. ففي الحديث الشريف ان:

(الدعاء يرد القضاء وقد ابرم
إبراماً) (٢)

ونقرأ في الروايات عن قوم يونس الذين نزل عليهم العذاب، واقترب
منهم مسافة قامه رجل، اي حوالي المترين، كان العذاب مشرفاً عليهم،
يروونه بام اعينهم، ولكنهم تضرعوا الى الله سبحانه وتعالى ودعوا ربهم

(١): المفاتيح- طبعة بيروت/ ص ٩١.

(٢): أصول الكافي/ج، ص ٢١٦

فانقشع عنهم العذاب.

والدعاء سلاح المؤمن امام عذاب الله سبحانه وتعالى، هذا العذاب الذي ينزله الله على الانسان بسبب اعماله، وما يرتكب من سيئات.

الثانية: عماد الدين

للدين مظهر وجوهر. مظهر الدين هو الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، والخمس.. الى آخر العبادات، ولكن ما هو جوهر الدين ما هو قوام الدين وعماده؟ إنه الدعاء، لان جوهر الدين هو اتصال الانسان بالله، وعماد الدين هو عروج الانسان الى الله. (فالصلاة معراج المؤمن) كما جاء في الحديث الشريف، اما الصيام فتحدد الاية الكريمة الهدف منه:

*يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم
الصيام كما كتب على الذين من
قبلكم لعلكم تتقون*

(البقرة/١٨٣)

فالهدف من الصيام هو التقوى..

وتزودوا فان خير الزاد التقوى

(البقرة/١٩٧)

الهدف من العبادات هو حالة العروج والتقوى، حالة الاتصال الغيبي بالله سبحانه وتعالى، وهذا يتحقق بالدعاء. ان الله سبحانه وتعالى

تحدث الى الانسان عبر القرآن الحكيم. ولكن كيف يتحدث الانسان مع الله سبحانه وتعالى؟

— ان جواب الانسان وحديثه مع الله تعالى هو الدعاء، لذلك كان الدعاء (عماد الدين).

في المناجاة الشعبانية نقرأ هذه الفقرة التي تقول:

[واجعلني ممن ... فناجيته سرّاً وعمل لك جهراً] (١)

فمظهر الدين هو العمل الذي يقوم به الانسان من اجل الله سبحانه وتعالى، بينما روح الدين هو مناجاة الله للانسان.

الثالثة: نور السموات والارض

قد نفهم من التعبير عن الدعاء بانه (نور السموات والارض) ان للدعاء دوراً كبيراً في تحريك وتغيير امور السموات والارض.

ان جوهر وجود السموات والارض انما يكون بالدعاء. ونقرأ في القرآن:

* الله نور السموات والارض مثل نوره

(١): مفاتيح الجنان—بيروت/ ص ٢١٤

كمشكاة*

(٣٥/النور)

فالدعاء مشكاة نور الله سبحانه وتعالى لانه عبر الدعاء، وعبر ذكر الله والتوسل به، تصلح امور السموات والارض، ويصلح الله مافسد منها والفساد لا يكون الا بسبب اعمال الناس:

* ظهر الفساد في البر والبحر بما
كسبت ايدي الناس *

(٤١/الروم)

وبلجوء الانسان الى الدعاء، والتضرع، وتمتين الاتصال بالله والخضوع لتعاليمه من خلال الدعاء، فان الفساد في السموات والارض يتقلص، وبذلك يكون الدعاء نور السموات والارض، الذي يقضي على عوامل الفساد من خلال تزكية النفس البشرية، والسموبها في آفاق التقوى، والمعنويات السامية.

اذن، الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض

الدعاء يرد القضاء

جاء في الحديث عن الامام الصادق(ع):

(ان الدعاء يرد القضاء، وان المؤمن

ليذنب، فيحرم بذنبه الرزق)(١)

وهناك قول مأثور بان: (الصدقة تدفع البلاء) وهذا يعني ان الصدقة تمنع نزول البلاء بالانسان، بينما الدعاء يكشف البلاء حتى بعد نزوله وبعد ان يصبح قضاءً.

فان الله قد يقضي عليك ببلاء، فتدعوه وهو يستجيب لك و يرد القضاء، فالدعاء يرد القضاء (وان المؤمن ليذنب فيحرم بذنبه الرزق).

لماذا؟

لان الكافر اذا اذنب، فان الله سبحانه وتعالى يأخذه بذنوبه في يوم القيامة الا بعض الذنوب العظيمة، اما المؤمن المحبوب عند الله فانه اذا ارتكب اي ذنب، فان الله يجازيه في الدنيا، حتى يفد على الله في يوم القيامة ولا تثقل ظهره الذنوب، ولذلك فان الكثير من المؤمنين يعيشون في الدنيا ابتلاءات كثيرة لتصفية ذنوبهم في الدنيا قبل الآخرة.

فالحديث يقول ان المؤمن حينما يذنب ذنباً فانه يحرم من رزقه جزاءً على الذنب، فماذا نعمل حتى لا نحرم من رزقنا؟

الجواب: — علينا بالدعاء، إذ(ان الدعاء يرد القضاء)

﴿١﴾: بحار الأنوار ٢٨٨/٩٣

ويدفع البلاء

وجاء في حديث مروى عن الامام الصادق عن ابيه (ع) عن رسول
لله (ص) انه قال:

(داووا مرضاكم بالصدقة، وادفعوا
ابواب البلاء بالدعاء، وحصّنوا
اموالكم بالزكاة فانه ما يُصاد ما تصيد
من الطير الا بتضييعهم التسبيح) (١)

ربما تعني الكلمة الاخيرة من هذا الحديث، ان الطير الذي يسقط في
شرك الصياد، لا يسقط بالصدقة كما نتصور نحن، وانما لسبب وقدر، هو
انه لم يسبح الله تعالى.

فامور الكون كلها تجري باقدار بينما الانسان يتصور ان الامور تجري
صدقة ودون تقدير. وجاء في حديث آخر عن رسول الله (ص):

(ان الرزق لينزل من السماء الى
الارض على عدد قطر المطر، الى
كل نفس بما قدرها، ولكن لله فضول
فاسألوا الله من فضله) (٢)

(١): بحار الأنوار ٢٨٨/٩٣

(٢): بحار الأنوار ٢٨٨/٩٣

فالامور والارزاق محددة ومقدرة من قبل الله تعالى، ولكن اذا اراد الانسان المزيد فعليه ان يدعوره من فضله.

وجاء في حديث آخر عن الامام امير المؤمنين (ع):

(إدفعوا أمواج البلاء عنكم
بالدعاء قبل ورود البلاء، فوالذي
فلق الحبة، وبرأ النسمة، للبلاء اسرع
الى المؤمن من انحدار السيل من اعلى
التلعة الى اسفلها ومن ركض
البراذين). (١)

(١): بحار الأنوار ٢٨٩/٩٣

٢ - الدعاء وتطهير النفس

«ما زالت نعمة ولا نضارة عيش إلا بذنوب اجترحوا، ان الله ليس بظلام للعبيد، ولو أنهم استقبلوا ذلك بالدعاء والانابة لم تنزل، ولو أنهم اذا نزلت بهم النقم وزالت عنهم النعم فرعوا الى الله بصدق من نياتهم، ولم يهنوا ولم يسرفوا لأصلح الله لهم كل فاسد، ولرد عليهم كل صالح». (١)

لماذا تتواتر النقم؟

أن تنزل النعمة بالانسان بعدما كان يتمتع بالنعمة، فهو من أصعب ما يواجهه الانسان في حياته، وأن أجمل ما يواجهه الانسان في الحياة هو أن تتوالى عليه النعم من ربه بعد أن قضى فترة طويلة يعاني فيها من النقم والمصائب.

وفي هذا المجال فان الناس تتفاوت أوضاعهم، فبعضهم يصاب

(١): بحار الأنوار - ٢٨٩/٩٣.

بمشكلة أو مصيبة سرعان ما يتغلب عليها نفسياً واجتماعياً ويستمر في حياته العادية، إلا أن بعض الناس يصابون بتواتر الأحزان والنقمة وتوالي المصيبات والمشاكل، مما يواجهون موقفاً صعباً للغاية، فهم لا يتخلصون من مصيبة إلا ويصابون بأعظم منها، هؤلاء الناس ينبغي أن يطرحوا هذا السؤال على أنفسهم: لماذا؟ لماذا تخصهم المصائب والمشاكل؟

نجد الجواب في كلام الامام علي (ع) حيث يُعزي الامام سبب توالي المصائب على الانسان الى اجتراح السيئات المتوالية، فكما يرتكب الانسان السيئات واحدة بعد الأخرى، كذلك تتوالى عليه المصائب واحدة تلو الأخرى.

اذا كانت هنالك في بيتك منطقة قدرة تتراكم عليها الحشرات، فليس الحل هو أن تقوم بابتدائها فحسب، إذ كلما قتلت قسماً منها تراكمت موجة جديدة منها على المنطقة القدرية.

إذن، ماذا عليك أن تصنع؟ عليك أن تنظف بيتك من القذارة. كذلك الأمر حينما تتوالى عليك المصائب والنقم والمشاكل، فلا بد أن تعرف أن قذارة معنوية تعيش فيها هي سبب كل ذلك، ولا بد أن تبادر الى تطهير نفسك منها.

دور الخمول والاسراف

ويحدد الامام علي في الحديث الشريف ان عملية التطهير هذه

والتحصن ضد المشاكل والنقمتان إنما تتم: بالانابة الى الله، والتوبة من الذنوب، والتوسل بالدعاء، وان لا يهن الانسان ولا يسرف بل يتخذ بين ذلك سبيلاً فلا الوهن والخمول وعدم النشاط والتكاسل عن القيام بالواجبات صحيح، ولا الاسراف صحيح، فقسم من الذنوب يأتي بسبب الخمول، بينما القسم الآخر من الذنوب يأتي من الاسراف، فحينما يسرف الانسان في أكله وشربه واهتمامه بنفسه، يحتاج الى ما يعوض عن سرفه ويتم ذلك - عادة - بالسرقة والاستغلال والاستثمار اللامشروع.

وكذلك حينما يكون الانسان خاملاً، فلا يتحرك ولا ينشط هو الآخر يحتاج الى الحيلة والمكر والخدعة والسرقة من نوع آخر، فالعامل الذي لا يعمل بصورة منتظمة بسبب خموله، فانه يسرق وقتاً معيناً من العمل، والذي يتكاسل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو مذنب، وهكذا نجد أن الخمول، وعدم النشاط يتسببان في ارتكاب السيئات والذنوب، لذلك يقول الامام علي:

«ولو أنهم اذا نزلت بهم النقم وزالت
عنهم النعم فزعوا الى الله بصدق من
نياتهم، ولم يهنوا ولم يسرفوا لأصلح
الله لهم كل فاسد، ولرد عليهم كل
صالح».

الفرع الى الله

إذن، فحينما تنزل النقم، وترحل النعم، فان على الانسان أن يفرع

الى الله، أي يستغيثه ويلجأ إليه، ولا يتحقق الفرع الى الله بأن ترفع يديك مرة واحدة وتسال الله أن يكشف عنك النقم، بل يجب الاحاح في الدعاء حتى يستجيب الله لك، ففي الحديث:

«من أكثر طرق الباب أوشك أن يسمع الجواب، ومن لج ولج».

وكذلك جاء في الحديث:

«ان الله يحب الدعاء الملح».

فادع الله واقسم بأسمائه الحسنی وبأوليائه الصديقين واعترف بضعفك وعجزك حتى يستجيب لك دعائك. ثم يجب أن يكون الفرع الى الله «بصدق من نياتهم» وحينما تكون نية الانسان صادقة فان الله سبحانه وتعالى وهو العالم والخبير والبصير بنيات الناس، يستجيب دعاءه. ثم بعد ذلك: لم يهنوا ولم يسرفوا يتردون عن حياتهم الكسل والخمول والوهن، ولم يجعلوا الاسراف طريقة العيش في الحياة.

« لا صلح الله لهم كل فاسد ولرد عليهم كل صالح».

الدعاء عدة

وفي حديث آخر عن الامام علي عليه السلام:

« الدعاء يرد القضاء المبرم، فاتخذوه

عدة»

الذي يملك الدعاء يملك العدة والترس، يرد بهما البلاء اذا نزل به .
والدعاء سلاحك وعدتك الذي تعتمد عليه من أجل درء البلاء. وجاء في
الحديث عن الامام الصادق عليه الصلاة والسلام انه قال:

«ثلاث لا يضر معهن شيء: الدعاء

عند الكربات، والاستغفار عند

الذنب، والشكر عند النعمة» (١)

فالانسان الذي لا يدعوربه عند الكربة والمصيبة، ولا يستغفر عند
الذنب، ولا يشكر عند النعمة، ليس فيه خير، يضره كل شيء ولا ينفعه
شيء، بينما الذي يدعوا لله حينما تنزل عليه المصيبة، فان الله يرفع
المصيبة عنه، الذي يستغفر حينما يذنب فان الله يغفر له ذنبه، واخيراً
الذي يشكر الله حينما يتفضل عليه بالنعمة فانه يرد عن نفسه سلبيات
النعمة. وهنا نقطة هامة يجدر الاشارة اليها، وهي ان النعمة مثلما تأتي
باجبايات، كذلك تولد للانسان بعض السلبيات وعلى الانسان ان يدفع
سلبيات النعمة بالشكر، فالمال والاولاد، والمنصب، والقدرة، كل تلك
نعم تحمل معها السلبيات العديدة الى جانب الاجبايات. والذي لا يشكر
النعمة لا يلتفت الى الجوانب السلبية فيها ويغتر بها.. يأخذ بالاسراف

(١) بحار الأنوار- ج ٩٣/ ص ٢٨٩.

والتبذير والاستثثار، لا يعطي حقوق الآخرين، وبالتالي يجبر لنفسه الاثار السلبية لهذه التصرفات فتتحول النعمة بالنسبة اليه نقمة.

ان كثيراً من الناس حينما يتفضل الله عليهم بالنعمة لا يحسنون التصرف فيها، فتكون النعمة وبالاً عليهم. يشترط الامام الصادق «الشكر عند النعمة» حتى يتحصن المرء ضد الاضرار والسلبيات.

الدعاء والرزق

يقول الامام الصادق(ع):

«ان الله عز وجل جعل ارزاق المؤمنين من حيث لم يحتسبوا، وذلك ان العبد اذا لم يعرف وجه رزقه كثر دعاؤه» (١)

فالله يحب ان يسمع دعاء الانسان المؤمن، ويجب ان يعطيه اجر دعائه، لان الدعاء بالاضافة الى نتائجه النابعة من الاستجابة الالهية، فان له تأثيرات واقعية اخرى، الدعاء يجعل قلب الانسان خاشعاً، ويجعل روحه نظيفة، كما يضاعف حسنات الانسان وبالتالي ثوابه عند الله. فلذلك يجعل الله رزق المؤمن من حيث لا يحتسب، ومن دون الاعتماد على مورد ثابت للرزق، حتى تبقى يده -دائماً- مرفوعة الى الله بالدعاء،

(١): بحار الأنوار- ٢٨٩/٩٣.

وعبر الدعاء يرزقه الله و يؤتيه - ايضاً - اجراً عظيماً.

افضل الكلام .. الدعاء

وسأل رجل شامي الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام):

أي الكلام افضل عند الله عز وجل؟ فاجاب الامام قائلاً:

« كثرة ذكر الله، والتضرع اليه،

والدعاء» (١)

فالله يحب الدعاء، وهو افضل ما ينطق به الانسان. وجاء في بعض

الاحاديث .. ان الله اوحى الى موسى (ع):

[ياموسى ادعني لملح طعامك]

لان هذا هونوع من التضرع الى الله، نوع من الاتصال بين العبد

وبين ربه، والله يحب هذه العلاقة، وبالطبع عندما يحب الله احداً فانه

يستجيب له و يؤتيه اجراً عظيماً.

وفي تفسير الآية الكريمة:

* ان ابراهيم لاواه حليم *

(١): بحار الأنوار- ١٥٩/٩٣.

جاء عن ابي جعفر أنه قال:

«الآواه: المتضرع الى الله في صلاته،
واذا خلا في قفرة من الارض وفي
الخلوات» (١)

فالآواه هو الذي يتضرع في صلاته، واذا خلا لوحده، أو كان في الصحراء، فانه يعوض عن وحدته ووحشته بالاتصال بالله سبحانه وتعالى، عن طريق التضرع والدعاء.

فضل الله امتي بالدعاء

وجاء في حديث مروى عن النبي (ص) انه قال:

«مما اعطى الله به امتي وفضلهم به على سائر الامم، اعطاهم ثلاث خصال لم يعطها الا نبي: وذلك ان الله تبارك وتعالى كان اذا بعث نبياً قال له: اجتهد في دينك ولا حرج عليك، وان الله تبارك وتعالى اعطى ذلك امتي، حيث يقول:

* وما جعل عليكم في الدين من

حرج *

وكان اذا بعث نبياً قال له: اذا

(١): بحار الأنوار- ٢٩٠/٩٣.

احزنك امر تكرهه فادعني استجب
لك، وان الله اعطى امتي ذلك حيث
يقول:

* ادعوني استجب لكم *
وكان اذا بعث نبياً جعله شهيداً
على قومه وان الله تبارك وتعالى جعل
امتي شهداء على الخلق حيث يقول:
* ليكون الرسول عليكم شهيداً
وتكونوا شهداء على الناس *» (١)

وفي هذا الحديث نجد تأكيداً كبيراً على اهمية الدعاء، وان الامم
لسابقة لم يكن للدعاء فيها دور بارز وكبير كما هو الامر بالنسبة للامة
الاسلامية.

الذين يعجزون عن الدعاء

وجاء ايضاً عن رسول الله (ص) انه قال:

« ان اعجز الناس من عجز عن
الدعاء، وان ابخل الناس من بخل
بالسلام » (٢)

ان التضرع الى الله، وطرق بابه، والاتصال به، كل ذلك لا يحتاج

(١): بحار الأنوار- ٢٩٠/٩٣.

(٢): بحار الأنوار- ٢٩١/٩٣.

الى وسائط واسباب، ليس امامك الا ان تحرك لسانك وان توصل قلبك بالله. فاذا وجدنا انساناً تصيبه مصيبة او كربة ولم يدع الله سبحانه وتعالى لرفع مصيبته وكربته فانه يعتبر من اعجز الناس.

ان كل واحد منا يمتلك نسبة كبيرة من هذا العجز، اذ اننا نعاني في حياتنا كثيراً من المشاكل، ونواجه عدداً كبيراً من النواقص ومن نقاط الضعف وليس هناك من يدعي انه كامل، وانه لا يشكو من اي مشكلة، فالعجز موجود ومحيط بنا من جميع جوانبنا، ولكن مع ذلك ترى اننا لا ندعو الله سبحانه وتعالى. اذن، فاذا كانت اخلاقك سيئة فادع الله لكي يصلحها لك، واذا كان عملك قليلاً فاسأل الله ان يضاعفه، واذا كنت تعاني من ضعف الارادة، فادع الله لكي يقوي فيك الارادة، واذا كان وضعك الاقتصادي متأزماً، او لم تكن ترزق الاولاد، فادع الله في ذلك. ولنتعلم الدعاء من سليمان (ع) الذي طلب من الله سبحانه وتعالى ان يعطيه ملكاً لا ينبغي لاحد من بعده، واستجاب الله له، واعطاه ما اراد.

لا مضرة مع الدعاء

وروي عن الامام الصادق عليه الصلاة والسلام عن ابائه انه قال:
قال علي (ع):

«اربع للمرء لا عليه، -اي ان اموراً
اربعة هي لمصلحة الانسان وليس
في مضرتة-: الايمان والشكر، فان الله

تعالى يقول: * ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وامنتم *

فالله ليس له حاجة في عذابكم، انما انتم تجرون العذاب لانفسكم
فاذا شكرتم وآمنتهم فان الله لا يعذبكم ..

والاستغفار فانه قال: * وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون *

العذاب لا ينزل بالانسان الا اذا ارتكب المعاصي والذنوب ولم
يستغفر الله سبحانه وتعالى.

والدعاء فانه قال تعالى:

* قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم * (١)

فالشكر والايمان والاستغفار والدعاء امور اربعة تكرر مصالح
الانسان، ولا تكون - باي حال من الاحوال - ضد مصالحه.

(١) بحار الأنوار - ٢٩١/٩٣.

٣- الدعاء وتوفير الامن والرفاه

روي عن نبينا رسول الله محمد (ص) انه خاطب جماعة من المسلمين

قائلاً:

«ألا ادلكم على سلاح ينجيكم من
عدوكم ويدررزقكم؟ قالوا: نعم.
قال: تدعون بالليل والنهار، فان سلاح
المؤمن الدعاء» (١)

الأمن والرفاه هما أهم جانبين يريد الانسان أن يحققهما في حياته، ولا يتحقق الأمن إلا من خلال القضاء على الأعداء، والتخلص من شرورهم، كما لا يضمن الانسان الرفاه إلا اذا تفضل الله عليه برزق وافر، والدعاء - كما في الحديث - هو سلاح الانسان المؤمن ضد أعدائه،

(١) : البحار ٩٣/ص ٢٩١

وهو وسيلة لاستدرار الرزق الواسع.

وفي حديث آخر، يقول النبي الكريم (ص):

[ما من عبد يسلك وادياً فيسقط كفيه
فيذكر الله ويدعو، إلا ملأ الله ذلك
الوادي حسنات فليعظم ذلك
الوادي، أولي صغيراً (١)]

إذا دخل المؤمن وادياً وذكر الله ودعاه، فإن الحسنات والبركات تملأ الوادي، سواء كان عظيماً أو صغيراً. فمن صفات المؤمن أنه مبارك أين ما كان، تحمل البركة أينما يهبط المؤمن لذلك يشير الرسول الى أن المؤمن حينما ينزل أرضاً ويرفع كفيه الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء. فإن الأرض تخضر وتنزل عليها بركات السماء. وهذا الحديث يكشف عن حقيقة هامة وهي ان ما نسميه نحن بالصدفة ليس في الواقع كذلك، اذ ان كل التغييرات التي تحدث في الارض والسماء لابد ان تكون وفق قوانين وسنن مقدرة سلفا فالناس قديما وحينما لم تكن الانظمة الكونية معروفة لديهم، كانوا يربطون كل شيء بالصدفة حتى المرض، والموت، والقحط والرخاء، كل ذلك كانوا يتصورونه صدفة ولكن بعد ان اكتشفنا مجموعة الانظمة التي تجري في الطبيعة من حولنا عرفنا ان هذه

(١) : البحار ٩٣/ص ٢٩٢

التطورات والتغيرات ليست في الواقع مجموعة صدفة، وإنما هي تابعة
لأنظمة وقوانين لم يكن يعرفها الانسان ولكن ظلت هنالك مجموعة قضايا
اخرى لايزال الانسان ينسبها الى الصدفة، لماذا؟

الجواب:

لان علاقتها ببعضها وعلاقتها بعمل الانسان غير معروفة لدينا حتى
الآن، وقد لانعرفها الى الابد. فحينما يخرج الواحد متا في مهمة شاقة،
ويدفع الصدقة للفقير، فانه ينجز مهمته دون ان تصيبه اية بلية، ومرة
اخرى يخرج الانسان من بيته بعد ان يكون قد ارتكب ذنبا من الذنوب
وعصى ربه، وصدقة يواجهه في يومه العديد من المشاكل والمصائب.. فهل
حقا لعامل الصدقة اي دور في الحاليتين؟ كلا.. ففي الحالة الاولى فان
الصدقة هي التي دفعت البلاء، وفي الحالة الثانية كان الذنب سببا في
نزول المشاكل والمصائب.

ان عشرات من امثال هذه الامور التي تواجه الانسان كل يوم،
لا يمكن ان نربطها بالصدقة وإنما لكل قضية قانون، ولكننا لانعرف هذا
القانون، اذ انه قانون غير مادي لم نكتشفه حتى الان، الا ان العقل
يكشف لنا ان هنالك رابطة بين الدعاء وبين نزول الخير والبركة، بين
الصدقة وبين دفع البلاء، وهكذا الامر بالنسبة للمؤمن يدخل ارضا
ويدعو الله سبحانه وتعالى، يصلي ويخشع قلبه لله، فبسببه يتفضل الله على

تلك الارض فتمتليء بالحسنات والبركات، بالزروع والثمار، تتفجر فيها العيون الصافية، ويقبض الله لها رجالا يحرثونها ويعمرونها.. كل ذلك بتقدير الهى، وبسبب دعوة المؤمن الصالح.

ربنا يحب الدعاء

وفي حديث عن الامام ابى جعفر الباقر(ع):

«ما من شيء احب الى الله من ان يُسأل» (١).

لماذا السؤال هو احب شيء الى الله؟

لان الله سبحانه وتعالى رحمن رحيم، وهاب كريم، ولان من ابرز صفاته الجمالية هو العطاء والرحمة يوسعها لتشمل حياة الانسان، وافضل ساعات البشر عند الله تعالى هي تلك الساعة التي يتلقى الرحمة فيها من الله عبر السؤال والدعاء، لذلك جاء في الحديث عن الامام الرضا(ع):

«اقرب ما يكون العبد من الله عزوجل وهو ساجد» (٢)

لان الانسان حين السجود يتذلل لربه، وحينها يكون في حالة

(١) : البحار ٩٣/ص ٢٩٢

(٢) : البحار ٩٥/ص ١٦٢

العبودية والسؤال من الله، وهذه هي الحالة الحقيقية للانسان بازاء الله تعالى، وفي حقيقة الامر فان البشر هو مجموعة حاجات، والله سبحانه وتعالى هو الغني الحميد ذو الرحمة الواسعة الذي يوفر هذه الحاجات. هذه هي المعادلة الحقيقية بين البشر وبين ربه: حاجة مطلقة في الانسان، ورحمة واسعة يجود بها الله، من هنا نفهم لماذا كان احب الاشياء الى الله هو ان يسأله العباد.

الدعاء والاستغفار

«ان الله يحب العبد ان يطلب اليه في
الجرم العظيم، ويبغض العبد ان
يستخف بالجرم اليسير» (١)

بعض الناس حينما يرتكبون السيئات الصغيرة فانهم يستخفون بها ولا يستغفرون الله منها، لكن حينما يرتكبون ذنباً عظيماً فانهم يستغفرون الله، فأبي الحالتين افضل؟

لاشك ان الحالة الثانية افضل من الاولى، لان الحالة الاولى هي حالة الغرور والعجب والاستكبار، حالة التحدي امام الله، بينما الحالة الثانية هي حالة الخضوع، والخشوع والتذلل امام الله تعالى، وفي كثير من الاوقات تحصل في قلب الانسان حالة من الذلة بعد الذنب وذلك عبر

(١) : البحار ٩٣/ص ٢٩٢

التوبة وطلب الاستغفار، وقد جاء في مضمون بعض الاحاديث: ان المذنب الذي يستغفر الله ويتوب الى ربه توبة نصوحا، افضل ممن لا ذنب له، من هنا فان الله يحب العبد الذي يطلب منه الغفران والتوبة على الذنب العظيم.

الدعاء والشفاء

روي عن الامام الكاظم (ع):

«لكل داء دعاء، فاذا ألهم العليلُ
الدعاء، فقد أُذِنَ في شفائه» (١)

اذا حصلت عند المريض حالة الدعاء والتوجه الى الله سبحانه وتعالى، يعني ان شفاؤه قد اقترب، اما المريض الذي لا يدعو الله، يعني ان الشفاء يتأخر عنه او قد لاياتي

ثم يضيف الامام:

«الدعاء افضل من قراءة
القرآن، لان الله جل وعز يقول:

* ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد
كذبتم فسوف يكون لزاما * (٢)

(١): البحار ٩٣ ص ٢٩٢

(٢): الحديث نفسه

والذي استوحيه من هذه الكلمة هو ان الدعاء الذي يُعتبر افضل من قراءة القرآن ليس بمعنى لقلقة اللسان وتلاوة بعض الاذكار والادعية المأثورة، فان هذه التلاوة ليست بلا شك افضل من قراءة القرآن وانما المقصود هو حقيقة الدعاء، أي حقيقة اتصال قلب الانسان بالله.

و يروي الراوي عنه يقول:

« ان الدعاء يدفع من البلاء ما قدّر
وما لم يقدر»

قيل:

«وكيف يدفع ما لا يقدر»

قال:

«حتى لا يكون»

فمرة يدعو الانسان حتى يرفع عنه البلاء، ومرة يدعو الله حتى يمنع عنه البلاء، لان في العالم العلوي وفي اللوح المحفوظ تقدر للانسان تقديرات محددة. وقد يكون من بين هذه التقديرات حلول البلايا والامراض مثلاً بالانسان، فاذا دعا الانسان ربه فانه يمنع عنه البلاء، ويرفع عنه تقديرات السوء. حينما ندعو في ليالي شهر رمضان:

(١): الحديث نفسه

[وان تجعل فيما تقضي وتقدر ان تطيل
عمري في خير منك وعافية، وان توسع
في رزقي وان تجعلني ممن تنتصر به
لدينك ولا تستبدل بي
غيري] (١)

فان الله يستجيب لك، ويمنحك طول العمر والعافية.

وفي حديث عن معاوية بن عمار انه قال للامام:

(رجلان دخلا المسجد جميعاً، افتتحا الصلاة في ساعة واحدة، فتلا هذا من
القرآن وكانت تلاوته اكثر من دعائه، ودعا هذا وكان دعاؤه اكثر من تلاوته ثم
انصرفا في ساعة واحدة ايهما أفضل؟)

اي ان رجلين دخلا في الصلاة واتمها في وقت واحد، الا ان احدهما
تلا في الصلاة آيات من القرآن اكثر من الدعاء، بينما الآخر كانت
ادعيته في الصلاة اكثر من تلاوته للقرآن، وربما اقتصر من القرآن على
المقدار الواجب في الصلاة.. فايهما أفضل؟

قال الامام:

« كلٌّ فيه فضل.. كلٌّ حسن »

فقال الراوي: اني قد علمت أنّ كلاً حسن، وان كلاً فضل. قال:

الدعاء افضل أما سمعت قول الله تعالى:

(١): المفاتيح-بيروت/ ٢٣٦

* ادعوني استجب لكم، ان الذين
يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين *

«وهي والله افضل، هي والله افضل،
هي والله افضل اليس هي العبادة؟
اليس است اشد؟ هي والله اشد.. هي
والله اشد.. هي والله اشد ثلاث
مرات» (١)

فالامام يعتبر (العبادة) التي تشير اليها الآية هو الدعاء، فالذين لا
يدعون الله فانهم يستكبرون عن عبادته.

وهنا يجب ان نشير مرة اخرى الى ان افضلية الدعاء على قراءة القرآن
الكريم، لا تتحدد في اطار التلاوة المجردة الجافة، وانما الدعاء الذي
يربط الانسان بالله، ويفعم قلبه بنور الايمان، وخشية الرب العظيم، ذلك
الدعاء الذي يرتفع بالانسان عن حضيض الاهواء، والشهوات والاغلال
الى مصاف الاولياء، والصديقين، والصالحين.

(١): البهارج ٩٣/ص ٢٩٢

٤- الدعاء وضعف الانسان

قال الرسول العظيم محمد (ص) عن جبرئيل عن الله عزوجل انه قال:

[ياعبادي كلکم ضالّ الا من هديته، فاسألوني الهدى اهدکم،
وکلکم فقير الا من أغنيته، فاسألوني الغناء أرزقکم، وکلکم مذنب
الا من عافيته، فاسألوني المغفرة أغفر لکم، ومن علم أنّي ذو قدرة على
المغفرة فاستغفروني، بقدرتي غفرت له ولا أبالي، ولو ان اولکم وآخرکم،
وحيکم وميتکم، ورطبکم ويابسکم، اجتمعوا على انقاء قلب عبد من
عبادي لم يزدوا في ملكي جناح بعوضة، ولو ان اولکم وآخرکم،
وحيکم وميتکم، ورطبکم ويابسکم، اجتمعوا على اشقاء قلب عبد
من عبادي لم ينقصوا من ملكي جناح بعوضة، ولو ان اولکم
وآخرکم، وحيکم وميتکم، ورطبکم ويابسکم، اجتمعوا فيتمنى کل
واحد ما بلغت امنيته، فاعطيته لم يتبين ذلك في ملكي، كما لو ان
احدکم مرّ على شفير البحر فغمس فيه ابرة ثم انتزعها، ذلك باني جواد
ماجد واجد، عطائي كلام، وعداتي كلام، فاذا اردت شيئاً فانما اقول

له كن فيكون) (١)

يعتبر هذا الحديث القدسي دعوة الهية للبشر بان يستقبل نعم الله
ورحمته، يبدأ الحديث ببيان ان الانسان هو عجيبة من الفقر والعجز
والضعف:

* وخلق الانسان ضعيفاً *

(٢٨/النساء)

والضعف هو من طبيعة الانسان، وهو لا يقدر على ان يوفر لنفسه اقل
قدر ممكن من حاجاته، وان كل ما يملكه البشر من نعم انما هو فضل من
الله سبحانه وتعالى، ولكن هل يعترف الانسان بهذه الحقيقة اعترافاً قلبياً
صادقاً؟

إن الأكثر والاغلب منا لا يعرف هذه الحقيقة عمق المعرفة.. لا
يعرف ان ما تحيط به من نعم الوجود، والعلم، والامان، والعافية،
والغنى، انما هي فضل من الله سبحانه، ذلك لان الانسان لم يكن شيئاً
يُذكر قبل ان يوجَد في هذه الحياة:

* هل أتى على الانسان حين من الدهر
لم يكن شيئاً مذكوراً * إنا خلقنا
الانسان من نطفة أمشاج نبتليه
فجعلناه سميعاً بصيراً *

(١-٢/الدهر)

(١): بحار الأنوار ج ٩٠/ص ٢٩٣

لا يستطيع الواحد منا ان ينكر حقيقة انه كان في يوم من الايام نطفة صغيرة جداً لا حول لها ولا طول، ولم تكن تتمتع باية مقومات فعلية للحياة خارج اطار الاصلاب والارحام، فمن الذي اعطاها هذا الوجود، ثم اضفى عليها كل هذه النعم التي لا تحصى حتى اصبحت النطفة الحقيرة انساناً يتمتع بالحياة والقوة، والعلم، والامان، والعافية، والغنى، بفضل الله ورحمته عزوجل، ولكن هذا الانسان الذي لم يكن شيئاً مذكوراً يصبح بعد وجوده في الحياة كتلة من الغرور والعجب وحياناً من الطغيان والاستكبار، وينسى انه سيعود مرة اخرى تراباً رميمًا.. و يعود شيئاً لا يُذكر، و يطويه الاولاد، والتاريخ في سجل النسيان والعدم.

لذلك يؤكد ربنا على هذه الحقيقة الضائعة من قلوبنا والغائبة عنا و يقول في بداية الحديث القدسي المروي عن النبي (ص):

[يا عبادي! كلكم ضالّ الا من هديته، فاسألوني الهداية اهدكم، وكلكم فقير الا من اغنيته، فاسألوني الغنى ارزقكم، وكلكم مذنب الا من عافيته، فاسألوني المغفرة اغفرلكم...]

اذن، فاذا كان العبد كله ضللاً، وفقراً، وذنباً، فليس امامه الا ان يدعو الله سائلاً اياه: الهداية، والغنى، والمغفرة، والعافية.

ان الانسان لا يستطيع ان يدعي انه يملك كل ما بين يديه من الاموال

والاولاد، والعافية، والامن، والعلم، ذلك لان الله سبحانه وتعالى هو الذي يتفضل عليه بهذه النعم، ومن ثم هو الذي يسلبها منه اذا شاء، وعلى الانسان ان لا يفرح بما آتاه الله، ولا يحزن على ما فاته، كما ان عليه ان لا ييأس من رحمة الله اذا لم يكن يملك بعض النعم، اذ انه يستطيع بالدعاء ان يطلب من الله منحها اياه، فربنا قادر على ان يملكنا ما لا نملك واكثر مما نتصور، لذلك يجب ان نكون كما قال الامام علي (ع):

(كن لما لا ترجو أرحى منك لما
ترجو) (١)

واذا كانت حقيقة الامر هكذا، فان ايدينا يجب ان تكون دائماً مبسوطة الى الله سبحانه وتعالى، كما علينا ان لا نغتر بما نملك والذي هو في الواقع ليس ملكاً لنا، اذ ان الله يمكن ان يسلبه منا في اية لحظة، والذي لا نملكه لانيأس منه ايضاً، ففي اية لحظة يمكن ان يتفضل الله به علينا، اذا فقدنا شيئاً صبرنا دون أن نياأس، واذا كسبنا شيئاً شكرنا دون ان نغتر به:

* لكي لا تأسوا على ما فاتكم، ولا
تفرحوا بما آتاكم، والله لا يجب كل
مختال فخور*

(٢٣/الحديد)

بل الحقيقة هي اعمق من ذلك بكثير، اذ ان الانسان لا يملك حتى

(١): بحار الأنوار ج ٧١ / ص ٣٤

اعضاء جسمه، فالعين، والاذن، واليد، والرجل، وكل الاجزاء الاخرى لا نملكها نحن، انما هي وديعة من الله سبحانه وتعالى خولت الينا، ليعلم الله كيف نصبر وكيف نشكر! واذا عرفنا هذه الحقيقة وآمنا بها فان قلوبنا تبقى دائماً متجهة الى الله سبحانه وتعالى لطلب المزيد من فضله ونعمه، ونهاية الحديث القدسي تذكرنا بهذه الحقيقة، اذ يقول الله تعالى مخاطباً الانسان:

«ولو ان أولكم وآخركم، وحيكم وميتكم، ورطبكم ويابسكم، اجتمعوا فيتمنى كل واحد ما بلغت امنيته فاعطيته لم يتبين ذلك في ملكي...»

لو ان كل العباد من الاولين والآخرين، من الاموات والاحياء طلبوا من الله العلي القدير كل ما يخطر على بالهم واعطاهم الله كل ذلك، لكان هذا الامر بالنسبة الى الله..

« كما لو ان احدكم مرّ على شفير البحر فغمس فيه ابرة ثم أنتزعها... »

فهل يؤثر ما تحمله هذه الابرة من الماء على البحر؟ وهل ينقص منه شيئاً؟ كذلك عطاء الله اللامتناهي، فانه: (لا تزيده كثرة العطاء الا جوداً وكرماً)، - كما جاء في الدعاء المأثور- واذا كان هذا هو حقيقة الامر بالنسبة الى كرم الله وعطائه وجوده فعلى الانسان ان يؤهل نفسه لاستقبال رحمة الله، والانتهاال من معين جوده الذي لا ينضب، عليه ان لا يقصر

دعاه على طلب الحاجات الصغيرة والتافهة. فبعض الناس المؤمنين يدعون الله فلا يُستجاب لهم، ذلك لانهم لم يسألوا الله الا شيئاً تافهاً، ولانهم يمدون ايديهم لبحر رحمة الله وجوده ولا يريدون منه الا شيئاً بسيطاً، فيمنع الله عنهم إجابة دعائهم في الدنيا ليجزيهم في الآخرة اضعافاً مضاعفة، يقول الله في ختام هذا الحديث:

«ذلك بانني جواد ماجد واجد،
عطائي كلام، وعداتي كلام، فاذا
اردت شيئاً فانما اقول له كن فيكون»

ولكن لا يعني هذا اننا لا نسأل الله تعالى في الامور الصغيرة، ففي الحديث عن الامام الصادق (ع):

(عليكم بالدعاء فانكم لا تتقربون
بمثله، ولا تتركوا صغيرة لصغرها ان
تسألوها، فان صاحب الصغائر هو
صاحب الكبائر) (١)

فلا تقل كيف أتوجه الى الله وأسأله ملح طعامي؟

لان الله سبحانه وتعالى لا يختلف بالنسبة اليه ان يعطيك مثقالاً من الملح او يعطيك جبلاً من الذهب، لان عطاء الله كلام يقول للشيء كن فيكون، والرب الذي يعطي الأشياء الكبيرة يعطي الأشياء الصغيرة أيضاً.

(١): بحار الأنوار ج ٩٠ ص ٢٩٣

وجاء عن الرسول (ص) أنه قال:

(ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة
ليست فيها قطيعة رحم، ولا
استجلاب اثم، الا اعطاه الله تعالى بها
احدى خصال ثلاث: اما ان يعجل له
الدعوة، واما ان يدخرها في الآخرة،
واما ان يرفع عنه مثلها من السوء) (١)

فالدعاء يُشترط فيه:

اولاً: أن لا يؤدي الى التأثير السلبي على العلاقات الاجتماعية
وبالذات الروابط الاسرية، فاذا دعا الانسان ربه ان ينتقم من احد
اقربائه مثلاً، فان هذه الدعوة لا تُستجاب لانها تؤدي الى قطيعة رحم.

ثانياً: أن لا يجر الدعاء وراءه اثماً وذنباً، كأن يسأل الانسان أن
يرزقه الله قنينة خمر- والعياذ بالله- أو أية دعوة اخرى تؤدي الى ارتكاب
إثم أو جريرة. فانها لا تستجاب بالطبع، وحينما يدعو الانسان بدعاء
ليس فيه قطيعة رحم، ولا يستجلب اثماً فان الموقف بازائه يكون احد
ثلاث: اما ان يستجيب الله دعاءه ويعطيه ما يريد فعلاً، كأن يطلب
الانسان من ربه بيتاً، فيهيء الله له الاسباب حتى يحصل على بيت
يسكنه، واما ان يدخر الله تعالى الاستجابة في الآخرة كأن يكتب له بيتاً

(١): بحار الأنوار/ج ٩٠/ص ٢٩٤

في الجنة ولا يستجيب له في الدنيا لسبب من الاسباب، واما ان يعوضه الله تعالى بان يدفع عنه بلاء كان قد كُتب عليه..

اذن، ففي كل الاحوال فان الانسان لا يخسر بدعائه شيئاً، بل هو الرابع على اي حال، ولكن مع ذلك فان الكثير من الناس لا يعتني بالدعاء، ولا يعقب صلواته بالادعية، وكأنه ليست له حاجة في الدنيا، ولا يواجه اية مشكلة في حياته. ان علينا ان ندعو الله دائماً وابدأ وان نسأله كل حاجاتنا ونطلب منه ان يكشف عنا السوء والبلاء.

ليس هذا فحسب، وانما ايضاً علينا ان نطلب من اخواننا المؤمنين ان يدعوا لنا بالخير والعافية والامن والامان، ذلك لان دعوة المؤمن في اخيه مستجابة، وعلينا ان لا نحتقر أية دعوة، أياً كان صاحب الدعاء، فقد جاء عن الامام علي (ع) انه قال:

(لا تستحقروا دعوة احد، فانه
يُستجاب لليهودي فيكم ولا يُستجاب
له في نفسه)

فاذا دعا اليهودي لمسلم بالخير لانه أسدى له خدمة معينة، فان هذه الدعوة تُستجاب، رغم إن دعوة اليهودي لنفسه لا تُستجاب.

٥- شروط الدعاء

-: ماهي شروط الدعاء؟

-: نستطيع ان نستلهم شروط الدعاء من خلال الادعية القرآنية والادعية الماثورة التي سنتطرق اليها في الاحاديث القادمة، الانا في هذا الحديث نبحث عن شروط الدعاء من خلال احاديث الرسول واهل بيته عليهم افضل الصلاة والسلام.

الصلاة على محمد وآله

قال ابو عبد الله الصادق عليه السلام:

«لا يزال الدعاء مجوباً عن السماء
حتى يصلى على محمد وآل

ان العلاقة بين الانسان وبين الله هي علاقة المربوب بالرب، علاقة المخلوق بالخالق، وعلاقة الفقير الفاني بالحي القيوم، ولكن اسمى انواع هذه العلاقة هي التي كانت بين الرسول (ص) واهل بيته المعصومين من جهة وبين ربهم الكريم من جهة اخرى، لقد كانوا عباداً مربوبين بلغوا في العبودية ذروتها، وفي الطاعة لله ارفع مستواها، ونحن حينما نذكر رسول الله ونصلي عليه وعلى آله، انما نركز على هذه العلاقة، لنتخذ منها قدوة لانفسنا: كيف ينبغي ان تكون صلتنا بالله؟ واذا كانت صلتنا بالله صلة العبودية التامة والطاعة التامة، فكيف تكون صلة الله بنا؟ ترى حين تكون صلتنا بالله كصلة الرسول وصلة الائمة بربهم، فهل تكون صلة الله بنا مثل صلته بهم؟

لذلك ترانا نصلي على محمد وآل محمد، في كل صلواتنا، اذ ان من لم يصل على النبي وآله في صلاته، تبطل صلاته عند كثير من المذاهب الاسلامية.

ان هذه الصلاة تعني اننا نلقي الضوء على هذه العلاقة لكي نستلهم منها، فحينما نصلي على محمد وآله، فاننا من جهة ننفي عنهم صفة الالهية باعتبار ان الصلاة تأتي من فوق، ومن جهة اخرى فان الصلاة على الرسول وآله تشير الى ثلاث علاقات اولاً: رابطتنا بهذه الصفوة

الميمونة باعتبارنا نحن الذين نصلي عليهم، وثانياً: علاقة الله بهم باعتبار ان ربنا سبحانه وتعالى هو الذي يستجيب دعاءنا في ان يعطيهم الفضيلة والدرجة الرفيعة، وثالثاً: علاقتهم بالله باعتبارهم مربوبين ومكرمين، ولكن هنا يطرح السؤال التالي: ما هي علاقة الصلاة على النبي وآله بالادعية؟ لماذا الدعاء يكون محجوباً حتى يصلي المرء على النبي وآله؟

الجواب هو: ان من يدعو للاخرين فان الله يستجيب له و يعطيه مثل ذلك، فقد جاء في الحديث الشريف عن الامام الصادق (ع):

(دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب
يسوق الى الداعي الرزق، ويصرف
عنه البلاء، ويقول له الملك: لك
مثلاه) (١)

فحينما ندعو للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ونقول: (اللهم صلّ وسلم وبارك وتحنن وتفضل على محمد وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت وتحننت وتفضلت على ابراهيم وآل ابراهيم)، فان الملائكة يقولون: ولك مثله، وتتفتح ابواب السماء امام هذا الدعاء، واذا انفتحت ابواب السماء لدعاء الخير، فان الادعية الاخرى تصعد مع ذلك الدعاء وتُستجاب، لذلك اذا اراد الواحد منا ان تستجاب دعوته فعليه ان يصلي على محمد وآله قبل ذلك، وفي حديث مروي عن الامام علي (ع) يكشف لنا عن العلاقة بين الصلاة

(١): بحار الأنوار/ج ٩٠/ص ٣٨٥

علی النبي وآله وبين استجابة الدعاء، فيقول:

(إذا كانت لك إلى الله سبحانه
حاجة، فابدأ بمسألة الصلاة على
النبي وآله ثم سل حاجتك، فإن الله
أكرم من أن يُسأل حاجتين يقضي
أحدهما ويمنع الأخرى) (١)

فإن الله الغني الكريم حينما يستجيب دعائك في الصلاة على رسوله
وآل بيت الرسول، فإنه سوف يستجيب لك دعائك الخاص بحوائجك، إذ
إن الله تعالى هو أكرم من أن يستجيب لدعاء، ويدع الأخر.

إذ كر حاجاتك عند الدعاء

وجاء عن الإمام الصادق (ع):

(إن الله تبارك وتعالى يعلم ما يريد
العبد إذا دعاه ولكن يجب أن يبت
إليه الحوائج، فإذا دعوت فسم
حاجتك، وما من شيء أحب إلى الله
من أن يُسأل) (٢)

ونستلهم من هذا الحديث امرين:

(١): بحار الأنوار، ج ٩٠/ص ٣١٣

(٢): المصدر - ص ٣١٢

الاول: إن الانسان لا يصح ان يقول: الله تعالى هو العليم بما في الصدور ولذلك فهو يعلم حوائجي ومشاكلي ولا داعي للدعاء والسؤال، كلا.. فعلى الانسان ان يدعور به ويسأله، إذ (ما من شيء أحب الى الله من ان يُسأل).

الثاني: لا يصح أيضاً ان يدعو الانسان ربه دعاء عاماً، أي أن يكتفي بالقول: اللهم إقض لي حوائجي، بل عليه أن يسميها واحدة واحدة فالله (يجب ان تبث اليه الحوائج) بالأسماء والتفاصيل.

اما عن الحالة النفسية للانسان.. فكيف يجب ان تكون حينما يدعور به؟

نجد الجواب في الحديث المروي عن الامام الصادق:

(عليكم بالدعاء فانه شفاء من كل داء، واذا دعوت فظن حاجتك-
بالباب)(١)

فالانسان يدعور به بحالة نفسية وكأن الحاجة على الباب..

آداب الدعاء

للدعاء آداب عديدة تشير اليها الروايات والاحاديث المختلفة، نذكر

هنا اهمها:

(١): المصدر ص ٣٠٥

(١) أن يكون الدعاء في السر، فالدعاء في العلن وفي صلاة الجماعة وامام الاخرين عمل جيد بلا شك، الا ان الدعاء في جوف الليل بين العبد وربه، فهو يختلف عن الدعاء الاول من حيث الاخلاص وعمق الاتصال بالله، لذلك يقول النبي (ص):

(دعوة السر تعدل سبعين دعوة في العلانية) (١)

(٢) أن يدعو الانسان ربه في حالة الرخاء، الرفاه، وتواتر النعمة عليه ايضاً، وليس فقط عند ما تحقق به الكربات والمشاكل فحينما يدعو الانسان ربه وهو لا يشكو من اية امراض، او مشاكل او مصاعب في حياته، فان دعائه يُستجاب، كما يؤثر هذا الامر في ان يستجيب الله دعائه حين الكربات ايضاً، ذلك لان هذا يعني ان الانسان لم ينس ربه في حالة الرخاء والراحة، لذلك يقول النبي صلوات الله وسلامه عليه:

(من سرّه أن يستجيب الله له في الشدائد والكرب فليكثر الدعاء عند الرخاء) (٢)

فعليك أن تعمق روابطك بالله في ايام الرخاء ايضاً، حتى يذكرك الباري عزوجل في ايام الشدة ويستجيب لك في الكربات..

(٣) أن يقرن الدعاء بالعمل، اما الانسان الذي يجعل الدعاء تغطية

(١): بحار الأنوار/ج ٩٠/ص ٣١٢

(٢): المصدر-ص ٣١٢

للكسل، وتبريراً للخمول فإن دعاءه لا يُستجاب.

لذلك جاء في حديث عن رسول الله (ص):

(الداعي بلا عمل كالرامي بلا

وتر)^(١)

فالذي يرمي الرصاصة دون بندقية تنطلق منها، فإن رميته هذه تكون هباءً ودون جدوى، اذ ان الرصاصة انما تؤثر اذا انطلقت من فوهة ثابتة، وكذلك الدعاء يبقى مجرد طقوس جافة وغير نافعة اذا لم يقترن مع العمل، فالعمل يُعتبر قاعدة ينطلق منها الدعاء المستجاب.

(٤) أن يبدأ الانسان دعاءه اولاً بالثناء على الله والحمد والشكر له، ثم الصلاة على محمد واهل بيته، ثم يدعو بدعواته وحاجاته، وهذه الطريقة تكون اكثر ضماناً للاستجابة. روي عن الامام الصادق عليه السلام انه قال:

(ياكم أن يسأل احد منكم ربه شيئاً
من حوائج الدنيا والاخرة حتى يبدأ
بالثناء على الله تعالى والمدحة له،
والصلاة على النبي وآله، ثم
الاعتراف بالذنب، ثم المسألة)^(٢)

(١): المصدر-ص ١٢

(٢): المصدر-ص ٣١٢

من هنا ايضاً نشاهد ان الادعية الماثورة عن رسول الله واهل بيته (عليهم الصلاة والسلام) تنتهج هذا الاسلوب، ولكن يحدث احياناً ان يستغرق الانسان المؤمن في الثناء والحمد لله، ويتفاعل مع الدعاء الى درجة ينسى حاجاته الخاصة، فما هي النتيجة في هذه الحالة؟

عن هذا يجيب الحديث المروي عن الامام الصادق عليه السلام:

(إن العبد لتكون له الحاجة الى الله،
فيبدأ بالثناء على الله، والصلاة على
محمد وآله حتى ينسى حاجته، فيقضيها
الله له) (١)

فالله سبحانه وتعالى يقضي حاجته، دون السؤال، لان الله يعلم بما في الصدور، ولان العبد انما نسي ذكر حاجاته بسبب استغراقه في الحمد والثناء والصلاة

روي عن الامام الصادق (ع) أنه اذا بدأ الرجل بالثناء قبل الدعاء فقد استوجب، واذا بدأ بالدعاء قبل الثناء كان على رجاء، وقد ادبنا رسول الله (ص) بقوله: (السلام قبل الكلام) (٢). فحينما ندعو الله، علينا ان نسبق دعاءنا بالسلام، ولكن كيف يكون السلام على الله؟

:- يكون ذلك بالحمد والثناء والتهليل والتمجيد..

٥) أن يدعو الانسان ربه وقد غمرته حالة من التذلل، والخشوع،

(١): المصدر-ص ٣٤٢

(٢): المصدر-ص ٣١٣

والخضوع، وليس في حالة من الغرور والتكبر والتعالي، وحتى لو لم تحصل له حالة حقيقية من التذلل والخشوع، فعليه ان يتظاهر بذلك، جاء في الحديث المروي عن الامام الصادق (ع):

إن الله تبارك وتعالى اوحى الى
موسى: اذا وقفت بين يدي، فقف
وقف الدليل الفقير

وتشير بعض الروايات الى ضرورة ان يرفع الانسان يديه اثناء الدعاء، ويمدهما امامه، و ينظر اليهما ولا ينظر الى السماء، امعاناً في التذلل والخشوع.

(٦) عدم الاكتفاء بحاجات الذات، وانما تعميم الدعاء الى الاخرين، بل وتقديم اربعين مؤمناً في الدعاء، ثم التعرض للحاجات الخاصة، وهذا الاسلوب هو احد عوامل الاستجابة.

جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال:

(إذا دعا أحد فليعم، فإنه أوجب
للدعاء، ومن قدم أربعين رجلاً من
أخوانه قبل ان يدعو لنفسه، أستجيب
له فيهم وفي نفسه) (١)

(١): المصدر-ص ٣١٣

(٧) أن يصوم الانسان في الشدائد والحاجات، فانه يساعد على استجابة الدعاء، وقال الامام ابوالحسن عليه السلام بهذا الشأن:

(إذا نزل بالرجل الشدة والنازلة
فليصم، فان الله يقول: «إستعينوا
بالصبر والصلاة»، والصبر هو الصوم،
قال: دعوة الصائم تُستجاب عند
إفطاره) (١)

فالصائم الذي قاوم طوال النهار شهواته، يتمتع بروح اكثر شفافية عند نهاية الصوم، وبذلك يكون اقدر على تعميق الاتصال الروحي بالله، لذلك فان رحمة الله تنزل عليه، و يُستجاب دعاؤه، من هنا فان على الانسان ان يستغل لحظات الافطار في ايام شهر رمضان المبارك للدعاء ليس للذات فقط، وانما قبل ذلك لاخوانه المؤمنين وبالذات الذين يواجهون الطواغيت في السجون والمعتقلات، وان يدعو للمجاهدين المسلمين في كل جبهات الصراع بين الحق والباطل.

(٨) أن تكون بينك وبين الله اعمال صالحة تدعو الله سبحانه وتعالى على اساسها، وتجعلها وسيلة للتقرب الى الله، اذ ان الاعمال الصالحة تسبب بالطبع نشوء علاقة حسنة واجيائية بين العبد وربه، فاذا وضع العبد اعماله الصالحة بين يدي الله وسأله ان يعطيه حاجته فان احتمالات الاستجابة تتضاعف، وفي هذا المجال نشر الى رواية مفصلة مروية في

(١): المصدر-ص ٣١٣

«أن ثلاثة نفر كانوا يمشون في صحراء إلى جبل فأخذتهم السماء فألجأتهم إلى غار كانوا يعرفون، فدخلوه يتوقون به من المطر، وكان فوق الغار صخرة عظيمة تحتها مدرة هي راكبتها، فابتلت المدرة فتدحرجت الصخرة، فصارت في باب الغار فسدت وأظلمت عليهم المكان، وقال بعضهم لبعض، قد عفا الأثر، ودرس الخبر، ولا يعلم بنا أهلونا، ولو علموا ما أغنوا عتاً شيئاً لأنه لا طاقة للآدميين بقلب هذه الصخرة عن هذا الموضع، هذا والله قبرنا الذي فيه نموت ومنه نحشر.

ثم قال بعضهم لبعض:

أوليس موسى بن عمران ومن بعده من الانبياء (عليهم السلام) أمروا أنه إذا دهمتنا داهية أن ندعو الله بمحمد وآله الطيبين؟ قالوا: بلى، قالوا: فلا نعرف داهية أعظم من هذه، فقالوا: ندعو الله بمحمد وآله الطيبين ويذكر كل واحد منا حسنة من حسناته التي أراد الله بها فعل الله أن يفرج عتاً.

فقال أحدهم: اللهم إن كنت تعلم أنني كنت رجلاً كثير المال، حسن الحال أبني القصور، والمساكن والدور، وكان لي أجراء وكان فيهم رجل يعمل عمل رجلين، فلما كان عند المساء عرضت عليه أجرة واحدة، فامتنع، وقال: إنما عملت عمل رجلين، فأنا أبغي أجرة رجلين فقلت له: إنما شرطت عليك عمل رجل والثاني فأنت به متطوع لا أجرة لك، فذهب وسخط ذلك، وتركه علي، فاشترت بتلك الأجرة حنطة فبذرتها، فزكت ونمت، ثم أعدت بعد ما ارتفع من الأرض فعظم زكاؤها ونماؤها ثم أعدت بعد مرتفع من الثاني في الأرض فعظم الزكاء والنماء ثم ما زالت هكذا حتى عقدت به الضياع والقصور والقرى والدور والمنازل والمساكن، وقطعان الابل والغنم وصوآر العنز والدواب والأثاث والأمتعة

والعبيد والاماء والفراش والالات والنعم الجليلة، والدراهم والدنانير الكثيرة.

فلما كان بعد سنين مرَّ بي الاجير، وقد ساءت حاله، وتضعضت واستولى عليه الفقر، وضعف بصره، فقال لي: يا عبد الله أما تعرفني؟ أنا أجيرك الذي سخطت أجره واحدة ذلك اليوم، وتركتها لغنائي عنها، وأنا اليوم فقير، وقد رضيت بها فأعطينها، فقلت له: دونك هذا الضياع والقرى والدور والقصور والمساكن وقطعان الابل والبقر والغنم وُصوار العنز والدواب والأثاث والأمتعة والعبيد والاماء والفراش والآلات والنعم الجليلة والدراهم والدنانير الكثيرة، فتناولها إليك أجمع، مباركة لك، فهي لك.

فبكى وقال: يا عبد الله سوف تحقِّي ثمَّ الان تهزأ بي فقلت: ما أهزأ بك وما أنا إلاَّ جادٌ مجدٌ، فهذه كلُّها نتائج أجرتك تلك، تولدت عنها، فالأصل كان لك، فهذه الفروع كلُّها تابعة للأصل فهي لك فسلمتها أجمع، اللهمَّ إن كنت تعلم أنني إنما فعلت هذا رجاء ثوابك، وخوف عقابك، فافرج عتاً بمحمد الأفضل الأكرم سيّد الأولين والآخرين الذي شرفته بأله أفضل آل النبيين، وأصحابه أكرم أصحاب المرسلين، وأُمَّته خير الأمم أجمعين. قال (عليه السلام): فزال ثلث الحجر ودخل عليهم الضوء.

وقال الثاني: اللهمَّ إن كنت تعلم أنه كان لي بقرة احتلبها ثمَّ أروح بلبنها على أمي ثمَّ أروح بسورها على أهلي وولدي، فأخزني عائق ذات ليلة، فصادفت أمي نائمة، فوقفت عند رأسها لتنتبه لا أنتبهها من طيب وسادها، وأهلي وولدي يتضاغون من الجوع والعطش، فما زلت واقفاً لا أحفل بأهلي وولدي حتى انتبهت هي من ذات نفسها وسقيتها حتى رويت، ثمَّ عطفت بسورها على أهلي وولدي اللهمَّ إن كنت تعلم أنني إنما فعلت ذلك رجاء ثوابك، وخوف عقابك، فافرج عتاً بحق محمد الأفضل الأكرم سيّد الأولين والآخرين، الذي شرفته بأله أفضل آل النبيين، وأصحابه أكرم صحابة المرسلين، وأُمَّته خير الأمم أجمعين، قال (عليه

السلام): فزال ثلث آخر من الحجر وقوي طمعهم في النجاة.

وقال الثالث: اللهم إن كنت تعلم أني هويت امرأة في بني إسرائيل فراودتها عن نفسها، فأبت عليّ إلا بمائة دينار، ولم أكن أملك شيئاً فما زلت أسلك براً وبحراً، وسهلاً وجبلاً، وأبأشر الأخطار، وأسلك الفيافي والقفار، وأتعرض للمهالك والمتالف، أربع سنين، حتى جمعتها وأعطيتها إياها وأمكنتني من نفسها فلما قعدت منها مقعد الرجل من أهله، ارتعدت فرائصها، وقالت لي: يا عبد الله إني جارية عذراء فلا تفضّ خاتم الله إلا بأمر الله عزّوجلّ، وإنما حملني على أن أمكنك من نفسي الحاجة والشدة، فممت عنها وتركتها، وتركت المائة الدينار عليها، اللهم إن كنت تعلم أني إنما فعلت ذلك رجاء ثوابك وخوف عقابك، فافرج عتاً بحق محمد الأفضل الأكرم سيّد الأولين والآخرين، الذي شرفته بأله أفضل آل النبيين وأصحابه أكرم أصحاب المرسلين وأُمَّته خير الأمم أجمعين، قال: فزال الحجر كله، وتدحرج وهو ينادي بصوت فصيح بين يعقلونه ويفهمونه: بحسن نياتكم نجوتهم، ومحمد الأفضل الأكرم سيّد الأولين والآخرين المخصوص بأله أفضل آل النبيين، وبخير أُمَّته سعدتم ونلتم أفضل الدرجات» (١)

فالله تعالى إستجاب للرجال الثلاثة وفرّج عنهم بسبب اعمالهم الصالحة اذ كان احدهم قد اهتم باموال الناس واستثمرها ثم اعادها لصاحبها.

والثاني كان كثير الاحترام والحب لوالديه، والثالث كان قد اقترب من الزنا، ولم يدع ذلك الا خوفاً من الله، وهكذا تكون الاعمال الصالحة عنصراً فعالاً في إستجابة الدعاء.

(١): بحار الأنوار/ ج ٩٠/ ص ١٣

الفصل الثالث:

التدبر في الدعاء

- ١- مفردات الدعاء.
- ٢- الخطوات الاساسية في التدبر.
- ٣- التدبر في الذكر.

١- مفردات الدعاء

الأدعية المأثورة عن النبي (ص) أو الأئمة الهداة إنما هي استلها من القرآن الحكيم، وتعبير آخر عن ذات الأفكار والمفاهيم التي عبر عنها الذكر الحكيم بلغته الخاصة، وهي في ذات الوقت تعبير عن الأدعية التي نزلت في العصور السابقة قبل الإسلام، وهذه الأدعية التي نقلت إلينا عبر الرواة الثقات، بل تداولتها الألسن والأيدي جيلاً بعد جيل، هي في الواقع تشكل صدى المعارف القرآنية. فحينما أنزل القرآن على تلك القلوب النقية الطاهرة، والتي أشربت بمعارف الكتاب العزيز، انعكست هذه المعارف على ألسنتهم وعبروا عنها بالأدعية المأثورة، فهي إذن لا يمكن أن تُفصل عن القرآن الحكيم، وأشد ما يدهش الإنسان هو: كيف ان المسلمون انتبهوا الى ضرورة تفسير القرآن بالأحاديث، باعتبارها جاءت مفسرة للقرآن وهي تعبير عما تلقاه الرسول الكريم (ص) والأئمة (ع) من معارف القرآن، ولكنهم لم ينتبهوا الى أهمية تفسير القرآن

بالدعاء، علماً بأن كثيراً من آيات القرآن هي ذكر- كما صرح القرآن- وبصيرة وهدى وتركية للنفوس، وهذه المفردات تشكل مضامين الأدعية الماثورة كما سنبين ذلك فيما يأتي:

ان الأدعية الماثورة تركز- في الأغلب- على مفردات معينة تعبر عن المفاهيم والمعارف القرآنية، ومعرفة هذه المفردات ركن من أركان التدبر في الدعاء ونحن نشير الى هذه المفردات أولاً ثم بعد ذلك سنشير الى بعض أساليب التدبر في الدعاء الذي يشبه الى حد بعيد التدبر في القرآن الحكيم وتحتوي الأدعية الماثورة عادة على المفردات التالية:

الأولى: الذكر

ذكر الله سبحانه وتعالى أمر يؤكد عليه القرآن الحكيم في كثير من آياته المباركة، ففي الآية (٤١) من سورة الأحزاب نقراً:

* يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً
كثيراً *

(٤١/ الأحزاب)

(وفي سورة البقرة):

* واذكروه كما هداكم *

(١٩٨/ البقرة)

والذكر يكون متبادلاً بين العبد وربه فحينما يذكر الانسان رب العالمين، فان الله تعالى يذكره أيضاً:

*فاذكروني أذكركم، واشكروا لي
ولا تكفرون*

(البقرة / ١٥٢)

وفلسفة الذكر تأتي من أنه يعمل على زرع حب الله في الانسان فلا يكفي أن يعرف الانسان ربه، وإنما لابد أن يحب الله، واذا وصل العبد الى مرحلة الحب لله، واعتمر قلبه بمحبة الله سبحانه وتعالى فان الطاعات تتسم بطابعين:

أولاً:

تصبح الطاعات ذات محتوى حقيقي، فالصلاة تصبح فعلاً معراجاً للانسان، والصوم صبراً، ومعيناً على مصاعب الحياة، وكل الطاعات تصبح ذات معنى ومحتوى، بعد ان كانت مجرد قشور بلا محتويات.

ثانياً:

تجري الطاعات من جوارح الانسان بصورة طبيعية، كما يجري السيل من أعلى التل. جاء في بعض الأحاديث ان رسول الله (ص) كان يجلس الى الصلاة قبل وقتها، ثم ينظر الى السماء بحثاً عن علامات وقت الصلاة، فاذا حان الوقت الشرعي، يقول: يا بلال أرحنا بالصلاة. فحينما يكون رسول الله على موعد مع ربه سبحانه وتعالى ينتظر هذا الموعد بفارغ الصبر حتى اذا دخل الوقت صاح بلال لكي يؤذن للصلاة. وهكذا

يصبح المحب متشوقاً لطاعة الله. بل ويرى راحته وسعادته في الاستجابة لنداء ربه.

وحينما يحب العبد ربه فان الله يحبه أيضاً، واذا أحب الله أحداً فان ملائكة الله وأوليائه يحبونه، وكذلك الصخور في الأرض والمياه في البحار والهواء في الفضاء وكل الطبيعة ستحبه، وهكذا يعيش الانسان في مهرجان الحب، يعيش في عائلة واحدة مع الكون عضواً محبوباً وليس عضواً شاذاً، والدعاء الذي يحتوي على ذكر الله، يؤدي الى خلق هذا الحب في القلوب.

الثانية: العقائد

الدعاء يعمل على ترسيخ العقائد في قلب الانسان. فليس كل مسلم يُعتبر مؤمناً أيضاً، ذلك لأن الايمان يعتبر مرحلة متقدمة عن الاسلام، والقرآن وضع شروطاً معينة للايمان.

* إنما المؤمنون الذين اذا ذكروا الله،
وجلّت قلوبهم، واذا تليت عليهم آياته
زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون*
(٢/ الانفال)

* قد أفلح المؤمنون* الذين هم
في صلاتهم خاشعون* والذين هم
عن اللغو معرضون* والذين هم

للزكاة فاعلون* والذين هم لفروجهم حافظون*

(١-٥/المؤمنون)

هذه صفات المؤمن وقليلاً ما تتواجد فينا. فكيف نرتقي باسلامنا الى درجة الايمان، وبايماننا الى درجة اليقين، وبيقيننا الى درجة الكمال، وبكمالنا الى العاقبة الحسنة؟.

إنما يكون ذلك عبر الأدعية الماثورة والتي تحتوي عادة على تنزيه الله سبحانه وتعالى وتسييحه، وتحميده، والثناء عليه، هذا على صعيد الايمان بالله. ثم بعدئذ يتطرق الدعاء للصلاة على النبي محمد(ص) وذكره والثناء عليه، وبيان حميد صفاته، مما يعمق إيمانك بالنبي اكثر من ذي قبل، فتحب الرسول وتؤمن برسالته، كما ويثني على اهل بيت النبي(ص) وتحتوي الأدعية على كلام كثير عن القرآن، وأهميته، وعن طريقة التدبر فيه وتلاوته، وانشراح الصدر بقراءته. وأخيراً فان الأدعية فيها الكثير من الحديث حول الآخرة وجزاء الانسان في يوم الدين، وهكذا فان الدعاء يؤدي دوراً أساسياً في ترسيخ عقائد الانسان بالله، ورسالته، والرسول والقرآن والمعاد.

الثالثة: التزكية

يعمل الدعاء أيضاً على تزكية النفس، وتطوير تطلعات الانسان واصلاح أهدافه في الحياة. فلكل انسان أهداف معينة في الحياة سواء

كانت كبيرة أو صغيرة، حسنة أو سيئة. والأدعية تسعى من أجل تغيير أهداف الانسان نحو الأفضل والأكمل.

أو بتعبير آخر: تغيير الاطار العام لحياة الانسان ذلك لأن الانسان حينما يضع لنفسه هدفاً معيناً فإنه يسعى للوصول إليه، ومن أجل ذلك فإنه يقولب حياته طبقاً لذلك الهدف.

إذن فان الاستراتيجية العامة لحياة الانسان يحددها هدفه في الحياة، وهذا الهدف يختلف من فئة لأخرى فبعض الناس يبغون الوصول الى الجنة ورضوان الله سبحانه وتعالى، بينما البعض الآخريبغى الحصول على الكرسي والمنصب، أما البعض الثالث فإنه يبغى الوصول الى الثروة. وتأتي الأدعية لكي تركزى نفس الانسان، وترفع همته، وتجعله يتطلع الى الأعلى، حتى لا تخبو شعلة التطلع في قلبه وهو يرتطم بمشاكل الحياة، فالكثير من البشر يتطلعون الى تحقيق طموحات كبيرة حينما يكونون صغاراً أو شبابياً، لكن الاصطدام بمشاكل الحياة، ومواجهة الصعوبات والمشاق تؤدي الى ضمور طموحاتهم وانطفاء شعلة الطموح في قلوبهم فتتحول الطموحات شيئاً فشيئاً الى امانى بعيدة، ثم هذه الأمانى -بدورها- تتبخرو ويصبح الانسان بذلك مجرد جسم بدون روح وتطلع.

فالمسألة إذن هي تغيير طموحات الانسان ورفعها الى مستوى الطموحات الانسانية الكاملة.. الى مستوى انسانية الانسان وكرامته، وهذا من أهداف الأدعية الماثورة.

الرابعة: الأخلاق

ويقوم الدعاء بتزكية النفس تجاه اصلاح أخلاق الانسان وآدابه. والأخلاق مبنية على أساس اصلاح نفس الانسان وطموحاته، وحينما تصبح طموحات الانسان شريفة وفاضلة فان أخلاقه تنبع من الأرضية الصالحة.

الخامسة: العمل الصالح

والدعاء في مجمله هو دعوة الانسان الى الأعمال الصالحة كالصلاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واصلاح ذات البين والانفاق وما شابه.

ففي أدعية شهر رمضان — على سبيل المثال — نقرأ هذه الفقرة:

[اللهم اني أسألك أن تكتبني من
حجاج بيتك الحرام المبرور حجهم،
المشكور سعيهم المغفور ذنوبهم، المكفر
عنهم سيئاتهم].

والملاحظ هنا هو ان الدعاء لا يقتصر على جعل طموح الانسان متجهاً نحو الحج باعتباره واجباً وهو الجهاد الضعفاء، وإنما أكثر من ذلك يحدد برنامج الحج وما هو الهدف من الحج؟

هذا بالاضافة الى ذكر الجهاد في كثير من الأدعية كوظيفة أساسية

من وظائف الانسان المؤمن ، ونقرأ في أدعية شهر رمضان:

[وقتلاً في سبيلك فوفق لنا..] .

هذه هي مجمل المفردات التي نستطيع أن نستوحيها ونستلهمها من الأدعية الماثورة وهي تعكس بشكل من الأشكال مجمل المعارف القرآنية.

٢ - الخطوات الأساسية في التدبر

سبق وأن ذكرنا ان الأدعية تحتوي - عادة - على عدة مفردات هي: الذكر، وترسيخ العقائد الاسلامية، وتوضيح نية الانسان أو اصلاح أهدافه وتزكية نفسه، وتعليمه الأخلاق والآداب الحسنة، وتشجيعه بالتالي على الأعمال الصالحة وعلى كيفية أدائها هذه هي المفردات الخمس التي تشكل الهيكل العام للأدعية الماثورة، إلا أن (الذكر) يشكل الصبغة العامة لكل الأدعية، ولجميع مراحل الدعاء، فحتى عندما يشجعنا الدعاء على الأعمال الصالحة أو يزكي نفوسنا، فإنه يفعل ذلك عبر (الذكر) فالذكر بالرغم من انه مفردة واحدة الى جنب سائر المفردات، إلا أنه في نفس الوقت الصبغة العامة لكل المفردات الأخرى أيضاً، وتعتبر معرفة هذه المفردات والتفتيش عنها الخطوة الأولى والأساسية من التدبر في الدعاء، أما الخطوات الأخرى فإنها تتشابه الى حد بعيد مع تلك الخطوات التي يجب اتباعها لدى التدبر في القرآن

الحكيم، لأن لغة الأدعية شبيهة الى حد بعيد بلغة القرآن فهي دون القرآن مستوى، وفوق كلام المخلوقين جميعاً، وبعض هذه الأدعية حسب ما نعرف إنما هي أحاديث قدسية رويت عن الله سبحانه وتعالى عبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبعضها ترجمة حقيقية للأدعية المأثورة في الكتب الإلهية السابقة كزبور داود (عليه السلام).

ان الخطوات التي نتبعها لدى التدبر في القرآن وكذلك الأدعية هي
بايجاز كالتالي:

١- التدبر في السياق، لمعرفة جزئيات وخصوصيات العلاقة بين الكلمة الأولى والكلمة الثانية في القرآن أو في الدعاء، وهكذا بين كل جملتين، وبين كل آيتين في القرآن، وفقرتين في الدعاء. وهذه العلاقة هي أما علاقة واقعية خارجية، وأما علاقة نفسية، مثلاً نجد ان العلاقة في الفقرتين التاليتين من (دعاء الافتتاح) هي علاقة واقعية:

[اللهم إني أفتح الشئ بحمدك،
وأنت مسدّد للصواب بمنك..]

فالعلاقة بين (الافتتاح) و(حمد الله) هي علاقة واقعية، لأننا من دون نعم الله التي يستوجب بها حمداً متجدداً، لا نستطيع أن نفتح حديثنا. أليس اللسان من الله؟ والعقل والايان والتوفيق من الله؟ ثم لتأمل
فقرة:

[وأنت مسدّد للصواب بمنك]

انها تدل على ان الانسان قد يفتح حديثه ببداية صائبة إلا أنه سرعان ما ينحرف بالافراط أو التفريط، والله سبحانه وتعالى هو القادر على أن يسدده للصواب.

إذن فالعلاقة بين الفقرتين الأولى والثانية في مبتدأ دعاء الافتتاح هي علاقة واقعية خارجية وقد تكون العلاقة نفسية تربوية تعيشها نفس الانسان وتحتاجها في عملية التزكية كالعلاقة بين كل جملتين من الفقرة الثالثة من دعاء (مكارم الأخلاق).

[اللهم وأوسع علي في رزقك، ولا
تفتني بالنظر، واعزني ولا تبتليني
بالكبر، وعبّدي لك ولا تُفسد عبادتي
بالعجب واجر للناس على يديّ الخير
ولا تمحقه بالمن، وهب لي معالي
الأخلاق، واعصمني من الفخر..]

فالعلاقة بين «وهب لي معالي الأخلاق» وبين «واعصمني من الفخر» بالاضافة الى انها علاقة خارجية واقعية فهي علاقة نفسية، لأن الانسان الذي يملك معالي الأخلاق لا بد أن يحذر من «الفخر» لأن الفخر يهدد عادة ذلك الرجل الذي يتصف بمعالي الأخلاق، كما ان الذي يكثّر من العبادة لا بد أن يحذر من العجب لأن العجب يأتي عادة بعد كثرة العبادة.

[وعبّدي لك ولا تفسد عبادتي
بالعجب]

وهكذا الذي يجري الله على يديه الخير للناس لا بد أن يجذر من المن، لأن المن يأتي عادة بعد هذه الصفة.

إذن فالعلاقة بين الفقرات المذكورة هي علاقة نفسية ترتبط بواقع نفس الانسان، وهكذا الأمر بالنسبة الى الدعاء المأثور عن النبي (ص) بمناسبة ليلة النصف من شعبان نقرأ في هذا الدعاء:

[اللهم أقسم لنا من خشيتك ما يحول
بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك
ما تبلغنا به رضوانك، ومن اليقين ما
يهون علينا به مصيبات الدنيا، اللهم
أمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما
أحييتنا، واجعله الوارث منا واجعل
ثارنا على من ظلمنا، وانصرنا على من
عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا
تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا،
ولا تسلط علينا من لا يرحمنا]

بالتدبر في هذا الدعاء نكتشف ان الفقرات الثلاث الأولى تتحدث عن مراحل كمال الانسان من خشية الله الى طاعة الله والى اليقين ثم في الفقرات التالية نجد الحديث عن الأهداف المادية للانسان مثل: الصحة والعافية ثم الأهداف الاجتماعية، ثم التطلعات البعيدة للانسان، ونجد ان هذا التدرج مرتبط بنفس البشر، باعتبار ان الانسان الذي لا يملك الخشية من الله، ليس من المستحسن أن يطلب من الله الطاعة، لأن

الطاعة تأتي بعد الخشية، والذي لا يملك الطاعة لله ليس من الصحيح أن يطلب اليقين لأن الطاعة تأتي قبل اليقين، والذي لم يكمل بناء نفسه ولم يحصل على درجات الخشية والطاعة واليقين ليس من الصحيح أن يفكر في عينه وأذنه ويده، لأن الصحة الجسمية تأتي أهميتها ودورها بعد الصحة النفسية والتكامل الروحي للانسان، ومن لا يملك العين والأذن واليد وسائر الجوارح السليمة، ليس من المستحسن أن يدعو الله سبحانه وتعالى بأن يرزقه القوة ضد أعدائه. لأن قوة الانسان تأتي من خلال امتلاكه العين، واليد، والأذن وما أشبه والذي لم ينتصر بعد على الظالم الداخلي، ليس من الصحيح أن يفكر في الانتصار على الظالم الخارجي، لأن الانسان يستطيع أن ينتصر على الظالم الخارجي بعد الانتهاء من الظالم الداخلي، من هنا فان الدعاء يقول:

[واجعل ثارنا على من ظلمنا]

ثم يقول:

[وانصرنا على من عادانا]

وهكذا نلاحظ ان التدرج في الدعاء اما يرتبط بالتدرج التربوي، واما بالتدرج الخارجي الواقعي، إذن فالخطوة الأولى هي التدبر في السياق لاكتشاف العلاقة الواقعية أو النفسية بين فقرات الدعاء المختلفة.

٢- ملاحظة ظلال الكلمات: إذ أن الكلمات بالاضافة الى

معانيها القريبة، تحتوي على ظلال توحى إلينا بمجموعة أفكار معينة،
مثلاً.

[اللهم اني أفتح الثناء بحمدك]

لماذا لم يقل «أفتح الثناء»؟ لأن هناك فرقاً كبيراً بين (أفتح) و
(أفتح) في الظلال وان كانت متقاربة في المعنى، وكذلك فقرة:

[وأنت مسدد للصواب بمنك]

لماذا لم يقل: «وأنت مسدد للسليم..» مثلاً؟ إذ أن الصواب في الفكر
والسلامة في الجسم، هكذا فان كل كلمة تحمل -بالإضافة الى جوهر
معناها- إيحاءات خارجية لا بد أن نجعلها ضمن تدبرنا فقد جاء في
الحديث الشريف:

«أعربوا كلامنا»

أي حاولوا أن تفهموا كلامنا بعمق. وجاء في حديث آخر مروى عن
الامام الصادق عليه الصلاة والسلام:

«الفقيه كل الفقيه من عرف

معارض كلامنا»

أي آفاق كلامنا. فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة
الطاهرون الذين تركوا لنا مجموعة الأدعية الماثورة، كانوا يتمتعون بأعلى

درجات البلاغة والتي تعني استخدام الكلمة في موضعها الخاص بالضبط دون أي كلمة أخرى، وهناك خطوات أخرى مشتركة في التدبر لا يسع البحث الاشارة اليها، إلا أن هناك خطوة تختص بالتدبر في الدعاء، وهي:

٣- التدبر في أوقات الدعاء: ان الدعاء يختلف عبر مناسبات عديدة فهناك أدعية النهار، وهناك أدعية الليل، وهناك أدعية المناسبات الدينية، وأدعية المناسبات الطبيعية، وأدعية مرتبطة بتطورات جسم الانسان، وهناك أدعية مرتبطة بتطورات روح الانسان، بل وأكثر من ذلك نجد ان لكل يوم دعاء خاصاً، وليس عبثاً تخصيص دعاءٍ ما لوقت معين أو حالة خاصة. ان هنالك علاقة وثيقة بين الأدعية وبين المناسبات والأوقات التي خصصت لها. بحيث لو غيرنا الوقت أو المناسبة لفقدنا هذه العلاقة وبالتالي ميزة الدعاء. فمثلاً نحن نقرأ دعاء (الافتتاح) في أول الليل من ليالي شهر رمضان، ودعاء (أبي حمزة الثمالي) في السحر، وأدعية أخرى خاصة بالنهار، فلو قرأ الانسان في وقت الظهر مثلاً دعاء (أبي حمزة الثمالي) لم يتلذذ بمناجاة الله بمثل ما لو قرأ هذا الدعاء في وقت السحر، وبالعكس لو قرأ أدعية النهار في آخر الليل. ان أدعية النهار تتناسب مع جو الصخب، بينما أدعية الليل تتناسب مع جو الهدوء والخشوع، وهكذا الأمر بالنسبة لمختلف الأوقات والمناسبات.

إذن فعلينا التدبر في هذا الجانب من الأدعية، حتى نكتشف حقيقة العلاقة بين الأوقات والمناسبات، وبين الأدعية، وقد نستطيع الحصول

على معارف قرآنية والهية كثيرة ومتنوعة.

واذا أمعنا في أدعية الأيام- على سبيل المثال- لوجدنا أنها تبدأ في الغالب بالحديث عن الطبيعة وربطها بخالقها ومبدعها ومنشئها وهو الله سبحانه وتعالى، ففي دعاء يوم الاثنين، نقرأ:

[الحمد لله الذي لم يشهد أحداً حين
فطر السموات والأرض، ولا اتخذ
معيناً حين برأ السمات]

ونقرأ في بداية دعاء يوم الأربعاء:

[الحمد لله الذي جعل الليل لباساً
والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً]

أما في دعاء يوم الخميس فنقرأ:

[الحمد لله الذي أذهب الليل مظلماً
بقدرته، وجاء بالنهار مبصراً برحمته،
وكساني ضياءه وأنا في نعمته]

وفي دعاء يوم الجمعة نقرأ الفقرة التالية:

[الحمد لله الأول قبل الانشاء
والاحياء، والآخربعد فناء الأشياء]

وهنا نلاحظ ان لغة الدعاء في يوم الجمعة اختلفت عن لغة الدعاء في

الأيام الأخرى إذ انها بدأت باستعراض العقائد الاسلامية وبالذات مسألة التوحيد، وكذلك الأمر بالنسبة الى أدعية الحالات المختلفة، إذ أننا نجد هناك علاقة متينة بين تلك الحالة وبين الدعاء، مثلاً الدعاء المأثور لحالة الغضب تتناسب لغته مع هذه الحالة إذ يذكر الانسان بغضب الله، وقدرته وجبروته حتى يخشع قلب الانسان وتنطفيء سورة غضبه، والدعاء الذي يقرؤه الانسان حينما يرزقه الله ولداً يحتوي على الشكر لله، ثم يشير الدعاء الى ان هذا المولود سيرث الوالد، لكي ينبهه على توارد الأجيال، وان قدوم الجيل الجديد يأذن برحيل الجيل السابق فعليه أن يستعد لتوديع الحياة.

ف نجد ان الدعاء يتناسب مع الحالة النفسية للانسان، وانه يشير الى نقطة واقعية تتفاعل معها روح الانسان. وحينما ينظر الانسان الى الهلال في أول الشهر يقرأ الدعاء التالي:

[أيها الخلق المطيع الدائب السريع
المتردد في منازل التقدير، المتصرف في
فلك التدبير، آمنتُ بمن نوربك الظلم،
وأوضح بك البهم، وجعلك آية من
آيات ملكه.. الخ]

هنا أيضاً نلاحظ العلاقة المتينة والتناسب الكامل بين لغة الدعاء، وبين المناسبة.

فكل دعاء يأتي لمناسبة، يهدف تغيير واقع من نفس الانسان،

وربطه بواقع في الطبيعة، وبالحقائق الكونية، إذن فان من أهم البرامج الأساسية للتدبر في الدعاء هو ربط الدعاء بالمناسبة التي جاءت فيها ومن أجلها، واكتشاف العلاقة بينهما.

٣- التدبر في الذكر

يقوم (الذكر) في الدعاء على اساسين هامين:

الاساس الأول: معرفة الله

الاساس الثاني: معرفة النفس.

فما هي العلاقة بين معرفة الله، ومعرفة النفس؟ ولماذا جاء في

الحديث الشريف:

(من عرف نفسه فقد عرف ربه)

الجواب: لانه حسب المنظور الاسلامي ان في هذا الوجود شيئين لا

ثالث لهما. شيان متميزان عن بعضهما تمام التمايز:

-: الله الخالق الرازق الباريء المصور له الاسماء الحسنى.

-: وخلق الله سبحانه وتعالى.

واقول شيئين لمجرد التعبير لانني لا أجد تعبيراً آخر استطيع ان اطلقه في هذا المجال، وليس بين هذين الشئين درجات وطبقات، اي لا يوجد بين الله الخالق، وبين الخلق: أنصاف آلهة.

فكل شيء ما سوى الله، مخلوق مربوب ضعيف بالذات، عاجز بالذات، محدود بالذات، وربنا هو القيوم عليه، وهو الغني والحي بالذات القاهر فوق عباده.. الغني عن الخلائق القيوم في شأن المخلوقين، ويصح ان نطلق على الله كلمة شيء ولكن بهذا المفهوم، لاثبات الشيئية له، وانما فقط نقول: (شيء لا كالايشاء)، لان التعابير تظل عاجزة عن الاداء حينما تصل الى افق الخالق سبحانه وتعالى. فكل الالفاظ تعجز عن ان تصف ربنا سبحانه وتعالى، او ليست الالفاظ بالتالي من صنعنا وفي مستوانا نحن البشر؟ فكيف تصف الالفاظ المخلوقة ذلك الخالق السامي الشامخ السامق، الذي كلت العقول عن وصفه وسمت العقول الا اليه؟ نقول لله (شيء) لمجرد التعبير عن انه غير معدوم وغير مفقود وغير عاجز، ويكفي ان نثبت لله سبحانه وتعالى خلوه عن صفات العجز، اما اثبات صفات الكمال بصورة نتوهم معها تلك الصفات، فهذا لا يجوز بالنسبة الى الله سبحانه وتعالى، نحن نستطيع (اخراج - حد التعطيل) فقط. وحينما نقول: (الله موجود) يعني انه غير مفقود وحينما نقول: (الله غني) نعني به أنه غير عاجز، أما ما هو غناه؟ كيف هو غناه؟ هذه قضايا لا تصل اليها عقولنا، كيف وان العقول قد عجزت عن معرفة المخلوقات

فكيف بالخالق سبحانه وتعالى، اذن ففي هذا الكون شيان: (شيء لا كالأشياء) وهو الله الخالق سبحانه وتعالى، وشيء آخر هو المخلوق لله، واذا اردنا ان نثبت صفة لربنا سبحانه وتعالى، فلا بد ان ننفي عنه صفة المخلوقين فاذا راينا المخلوق عاجزاً، نقول ان ربنا غني عن العجز، واذا رأينا المخلوق ضعيفاً، نقول: ان ربنا غني عن الضعف، اذا رأينا المخلوق محدوداً بوقت نقول: إن ربنا لا حد له، واذا رأينا المخلوق محدوداً بمكان نقول: ان ربنا لا مكان له، ولا نستطيع باي شكل من الاشكال ان نقول: علام؟ وفيهم؟ ولم؟ ومتى؟ وكيف؟ فهذه الكلمات تتساقط كلها امام عزة الله وجلاله وغناه سبحانه وتعالى.

اذن، فاذا لم يكن في الحياة الا شيان: الخالق والمخلوق، فكلما عرف الانسان حقيقة مخلوقيته، وحقيقة ضعفه وعبوديته، كلما عرف ايضاً ربه سبحانه وتعالى باعتبار خلقه خلومنه وهو خلو عن خلقه، اي ان صفات المخلوقين لا تثبت له.

من هنا فاننا نفهم مدى العلاقة بين معرفة الله ومعرفة النفس، فلكي نصل الى معرفة الله، علينا ان ننطلق عبر معرفة انفسنا:

* سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم

حتى يتبين لهم أنه الحق *

(٥٣/فصلت)

معرفة النفس طريق لمعرفة الله، عُذْ الى نفسك وتساءل: أنا ضعيف

أم قوي؟ عاجز أم قادر؟ فقير أم غني؟ وتعود الى عمق واقعك باحثاً عن
الاجابة الصائبة، فتكتشف بفطرتك الحقيقة: انني ضعيف وعاجز وفقير،
إذن فأنا محتاج الى من يكون قوياً، وقادراً، وغنياً.

عبر هذه المعادلة التي نجدها بوضوح وبكثافة في الادعية نصل الى
معرفة الله، هذه المعادلة تكشف لنا أنفسنا، فنعرف من جهة، مدى
الضعف والعجز والفقر الذي ارتكسنا فيه، ونعرف من جهة اخرى رب
العزة.. الخالق، القوي، القادر، الغني.

ولكي نوضح الفكرة اكثر، نقرأ بعض الفقرات من دعاء الامام
الحسين (عليه السلام) المأثور عنه بمناسبة (يوم عرفة)، ولنقرأ الفقرات بمزيد
من التدبر والعودة الى الوجدان والفترة:

[الهي أنا الفقير في غناي فكيف لا
أكون فقيراً في فقري، الهي أنا الجاهل
في علمي فكيف لا أكون جهولاً في
جهلي..] (١)

ثم يواصل الدعاء في فقرة اخرى:

[الهي اخرجني من ذل نفسي،
وطهرني من شكي وشركي قبل حلول

(١١): من دعاء الامام الحسين (ع) في يوم عرفة.

رمسي، بك انتصرفانصرني وعليك
اتوكل فلا تكلني، واياك أسأل فلا
تخبيني وفي فضلك ارغب فلا
تحرمني] (١)

وهكذا يستمر الدعاء في بيان وتوضيح هذه المعادلة:

ان جهل الانسان الحقيقي، وضعفه وفقره الواقعيين، كل ذلك
يكشف عن قيمومة الله وغناه وقدرته، ونواصل قراءة فقرة اخرى من
الدعاء.

[اهي كيف اخيب وأنت أملي؟ أم
كيف أهان وعليك متكلي؟ اهي
كيف أستعز وفي الذلة أركزتي؟ أم
كيف لا أستعز واليك نسبتني؟ إهي
كيف لا أفتقر وأنت الذي في الفقراء
أقمتني؟ أم كيف افتقر وانت الذي
بجودك اغنيتني؟] (٢)

وهكذا يكشف الامام الحسين (عليه السلام) من خلال الدعاء هذه
الحقيقة:

ان الانسان مهما يكن غنياً فعليه ان يتساءل: من اين هذا الغنى؟

(١) : من دعاء الامام الحسين (ع) في يوم عرفة.

(٢) : من دعاء الامام الحسين (ع) في يوم عرفة.

ومن الذي يصون له الغنى ويحفظه؟ أو ليس الله سبحانه وتعالى؟ اذن، فغناه دليل حاجته، وهكذا الامر بالنسبة للعالم، فاذا لم يمه الله بنور الوجود ونور العقل ونور العلم فان علمه سيزول عنه. اذن، فان الانسان جاهل الابه، ولكننا كلما شعرنا بالضعف، والفقر، والمحدودية في حياتنا، فاننا نشعر من جهة اخرى باننا اغنياء، لان لنا رباً غنياً، واننا اقوياء لاننا نتوكل على رب قوي، لذلك يقول الامام الحسين (عليه السلام) في دعائه:

[الهي كيف اخيب وانت املِي؟]

فالخيبة هي من ذات الانسان ولكن حينما يكون الله امله، فانه لا يخيب.

[أم كيف أهان وعليك متكلي]

ذات الانسان هي الالهانة، ولكنه لا يهان حينما يتكل على الله.

[كيف أستعز وفي الدلة أركزتني]

حينما يريد الانسان ان يستعز، ويجلب لنفسه العزة، ما الذي يستطيع ان يفعل اذا كان كل شيء من دون الله ذليلاً؟

[أم كيف لا أستعز واليك نسبتي]

اذن فالعزة تاتي للانسان من خلال انتسابه لله، يكفيه ان يقول اني
(عبد الله) لكي يكون عزيزاً في الحياة. هذه المعادلة نجدها في دعاء
شريف اخر، يقول:

[مولاي مولاي أنت المولى وأنا العبد
وهل يرحم العبد إلا المولى. مولاي
مولاي أنت العزيز وأنا الذليل وهل
يرحم الذليل إلا العزيز...] (١)

اذن، أساس الذكر هو فهم هذه المعادلة: (اذا عرفت نفسك عرفت
ربك)، وبالعكس أيضاً صحيح (كلما تعرفت على الله كلما عرفك الله
نفسه سبحانه وتعالى وعرفك نفسك ايضاً) بالطبع هناك المعرفة العقلية
وهي معرفة الله بالعقل، وبالادلة الكلامية وهناك المعرفة الوجدانية التي
يصل فيها الانسان الى حالة انكشاف الحقائق ليراها بنور قلبه.
وخلاصة القول: إن معرفة الله سبحانه وتعالى انما تتم بمعرفة
خصوصيات النفس، وانما يكون هذا بتدبرنا في الادعية التي نقرأها
وبتفهمنا للصلاة التي نصليها لنعرف إن الله يراقبنا وانما نناجيه
ونخشاه ولا نخشى غيره.

وفي الدعاء يقول:

[اللهم أجعلني أخشاك كأنني أراك]

(١): من دعاء الامام زين العابدين (ع) في التذلل الى الله.

الحي القيوم:

وينقسم الذكر- من جهة اخرى- الى قسمين:

١- الذكر الذي تتجلى فيه صفة (الحي) والذي يُعبر عنه بصفات الذات أو أسماء الذات، والمقصود بأسماء الذات هو مجموعة الصفات والامور الخالدة والازلية كعلم الله وقدرته، وحياته، وغناه، ولان البشر مخلوق، وهو عاجز عن توهم ربه والاحاطة بذاته سبحانه وتعالى، فان علينا -بالنسبة لاسماء الذات- ان نسبح الله، ونقدسه، وننزهه عن صفات المخلوقين، ونخرجه عن حد التعطيل والتشبيه.

٢- الذكر الذي تتجلى فيه صفة (القيوم) وهي ما يُعبر عنها بصفات الفعل او اسماء الفعل، وهي تعني اسماء لمجموعة الصفات المنظورة من قبل الله سبحانه وتعالى كصفات: الخالق، الرازق، الفعال لما يريد، المنشيء، المبدع، المعين، وهذه الاسماء تعبر عن الصفات التي ينعكس اثرها المباشر على المخلوقات، لذلك فان الذكر في هذا المجال يتجسد في حمد الله وثنائه، والشكر له.

وسنحاول -من خلال التدبر في دعاء الافتتاح- ان نكتشف هذين القسمين من اقسام (الذكر) انشاء الله تعالى.

ودعاء (الافتتاح) هو دعاء معروف ومروي عن الائمة الطاهرين (عليهم السلام) ومخصص للقراءة في ليالي شهر رمضان المبارك،

وقد أختارنا هذا الدعاء للتدبر والتأمل لانه يجمع بين مفردتين اساسيتين
من مفردات الادعية، هما:

١- الذكر.

٢- ترسيخ العقائد الاسلامية.

تأملات في دعاء الافتتاح

- ١- الحمد والدعاء.
- ٢- توحيد الله.
- ٣- خزائن الله.. لا تنفذ
- ٤- علاقة الانسان.. بالله.
- ٥- الدعاء ومعالجة الغيب والشهود
- ٦- حاجة الانسان الى الله.
- ٧- الاعتماد على الله.
- ٨- معرفة الرسول.
- ٩- معرفة الوصي.
- ١٠- حجج الله على العباد.
- ١١- دور الامام المنتظر.
- ١٢- اسس الدولة الاسلامية.
- ١٣- الايمان بالآخرة.

١ - الحمد والدعاء

[اللهم اني أفتّحُ الشّاءَ بِحمدِكَ، وانت مُسدّدٌ للصوابِ بِمِنِكَ، وأيقنْتُ أنّكَ أنتَ أرحمُ الرّاحمينِ في مَوْضِعِ العَفْوِ والرّحمةِ، وأشدُّ المعاقبينِ في مَوْضِعِ النّكالِ والنّقيمةِ، وأعظمُ المُتّجبرينِ في مَوْضِعِ الكبرياءِ والعظمةِ، اللهم أذِنْتَ لي في دُعائِكَ ومَسألتِكَ، فأسمع يا سميعُ مِدحتي، وأجب يا رحيماً دَعْوَتِي، وأقل يا غفورُ عَثرتي، فكم يا إلهي مِن كُرْبَةٍ قد فَرّجتها، وهُمومٍ قد كَشَفتها، وَعَثرةٍ قد أَفَلتها، ورَحمةٍ قد نَشَرتها، وحَلقةٍ بلاءٍ قد فَككتها...]

[اللهم اني أفتّحُ الشّاءَ بِحمدِكَ،
وانت مُسدّدٌ للصوابِ بِمِنِكَ]

-: ينبغي للداعي ان يبدأ حديثه ودعائه بالثناء على الله سبحانه وتعالى، والثناء على الله قد يكون بالشكر لله وحده، وقد يكون بتسبيحه سبحانه وتعالى وتقديسه، (اللهم اني افتتح الشناء بحمدك)، سوف يكون اول

ثنائي لك حمدي لك، وقد تعني هذه الجملة ان الثناء انما هو بما وهب الله لنا واعطانا من فضل يجب ان نحمده عليه، فثنائي عليك انما يكون بحمدك، فلولا انك رزقتني القدرة على الثناء ووفقتني للدعاء كيف كنت استطيع ان احمك او اثني عليك..

[وانت مسدد للصواب بمنك..]

-: ان حسن الافتتاح لا يدل على حسن الختام، فربما يكون الانسان في مفتح حياته، ومفتح حديثه حسناً صالحاً، صائباً لكنه ينحرف بعدئذ تحت تأثيرات مختلفة، لذلك فنحن نطلب من رب القدرة لتستمر استقامتنا على الصواب: (وانت مسدد للصواب بمنك)، انت الذي تسدني للصواب.

حينما يرمي الانسان سهماً و يصيب الهدف، يكون قد سدّ الرمية، لانها اصابته هدفها، ونحن حينما ندعور بنا نطلب منه ان يسدد دعوتنا للصواب و يستجيبها، وهو المسدد للصواب، الا اننا يجب ان لانغفل عن ان نعم الله تعالى علينا ومنها تسديده لنا للصواب، ليس امراً نستحقه نتيجة اعمالنا وجهدنا، وانما هي بمن الله سبحانه وتعالى لذلك فاننا نقول في دعائنا وبكل خشوع: (وانت مسدد للصواب بمنك...).

[وأيقنتُ (١) أنك انت ارحم

(١): تكتب بعض كتب الادعية كلمة (وأيقنتُ) بضمير المخاطب اي (وأيقنتَ) ويعني هذا الاتجاه ان الله هو

الراحمين في موضع العفو والرحمة واشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة..]

-: ينبغي ان يكون الداعي بين اليأس والرجاء او بتعبير افضل بين الخوف والامل (يدعونه رغباً ورهباً)، خوفاً واملأً، لذلك ترى في بداية دعاء الافتتاح يضع الامام الدعاة بين الرغبة والرغبة (وايقنتُ انك انت ارحم الراحمين في موضع العفو والرحمة)، اذا كنت أهلاً للعفو والرحمة، فان الرحمة تنزل عليك بحيث لا تستطيع استيعابها، مثلاً: حينما تهطل الامطار من السماء كمظهر من مظاهر رحمة الله، فانها تكون من الكثرة بحيث تفيض الاودية بالماء، ولا تستطيع ان تستوعب الكمية الهائلة من الامطار التي تنزل من السماء، او اذا فتح الله على الانسان ابواب الرزق، فانه يغمر الانسان بحيث لا يعرف ماذا يصنع به، هذا اذا كان الانسان مستحقاً للرحمة.

اما اذا كان الانسان مستحقاً للعذاب فان العذاب ياتيه بشدة و بصورة لا يتصورها، اذن، فان الانسان بين امرين:

الذي يقن بأنه ارحم الراحمين.. اذ ان كثيراً ممن يقرأون الدعاء قد لا يكونون من الموقنين، فكيف يمكن لغير الموقن أن يقول (وايقنتُ انك انت ارحم الراحمين) في الوقت الذي لم يصل بعد الى مرحلة اليقين؟ اما نحن فنفضل القراءة المعروفة وهي (وايقنتُ) بضمير المتكلم، لاننا لا نعرف هل ان استخدام كلمة (اليقين) في الله سبحانه وتعالى له معنى ام لا. ثم من جهة اخرى: ان الادعية هي -في الغالب- اعتبارات اي انها تجعل الانسان يفكر وكأنه من الموقنين، مثلاً: حينما نقول: (اللهم اني وعزتك من النادمين) فليس هذا اخباراً عن حالة سابقة، وانما هو انشاء لهذه الحالة، والادعية هي عادة مجموعة انشاءات الا انها تتحدث بلغة الماضي ولكن تعبيراً عن الحاضر. اذن حينما نقول: (وايقنتُ) يعني اننا ينبغي ان نرتفع الى درجة اليقين، واذا لم اكن من (الموقنين) فعلاً فاني يجب ان اكرر هذا الاجاء حتى ارتفع الى هذا المستوى، بل وتعبيراً عن رغبتي الشديدة في بلوغ مرحلة اليقين.

اما رحمة واسعة نسالها من الله، واما عذاب شديد نستجير بالله منه،
(وايقنت انك انت)، وليس غيرك يارب (ارحم الراحمين، في موضع العفو
والرحمة)، فاذا كنت مذنباً ودعوت الله سبحانه وتعالى، مددت اليه يد
الضراعة والمسكنة ليغفر لك ذنبك، فان الله لا يعفو عن الذنب فقط، وانما
يزيدك من رحمته، وهذا من اسماء الله سبحانه وتعالى.

فالانسان المذنب يطلب من الله ان يتجاوز عن سيئاته ويغفر له
ذنوبه من قبيل: ترك الصلاة، ايداء الناس وتضييع حقوقهم، اتهامهم
واغتيالهم، تضليل الاخرين... الخ، فان الله يغفر له ان شاء، ويزيده
من نعمه بان يعطيه الايمان، والتقوى، والرحمة من عنده، (واشد المعاقبين في
موضع النكال والنقمة)، واذا اراد ربنا ان يجازي احداً وان ينتقم منه، فان
عذابه يكون شديداً، وما نراه في هذه الدنيا من انواع العذاب التي حلت
بالاقوام الكافرة مثل:

قوم لوط او بلاد عاد او ثمود او اصحاب الايكة، وما نعرفه من غرق
فرعون وآل فرعون في اليم، كل هذا شيء بسيط جداً من عذاب الله
سبحانه وتعالى، اما عذابه الشديد ونكاله ونقمته فهي في الآخرة.

[واعظم المتجبرين في موضع

الكبرياء والعظمة]

-: كل ابناء آدم يذنبون الا المعصومين منهم، ولكن على الانسان ان
لا يتحدى ربه، فبعض الذنوب يرتكبها الانسان في حالة التحدي لله

عزوجل .

ان كبرياء الله وعظمته لن تسمحا لاحد بان يتحداه، وعلى العبد ان يحذر من تحدي جبار السموات والارض بكثرة الذنوب والاصرار عليها، مما قد يصل الى درجة يخاطبه الله تعالى فيها:

(عبيدي افعل ماشئت فاني لن اغفر لك ابداً) (١)

فعن ابي عبد الله الصادق (ع) قال:

(من همَّ بالسيئة فلا يعملها فانه ربما عمل العبد السيئة فيراه الرب فيقول: وعزتي وجلالي لا اغفر لك ابداً) (٢)

وقد جاء في دعاء (أبي حمزة الثمالي) ما يشير الى هذا المفهوم، اذ يقول

الدعاء:

[الهي لم اعصك حين عصيتك
وأنا بربوبيتك جاحد، ولا بأمرك
مستخف، ولا لعقوبتك متعرض، ولا
لوعيدك متهاون، لكن خطيئة

(١): وسائل الشيعة ج ٢ ص ٢٤٨

(٢): وسائل الشيعة ج ٢ ص ٢٤٨

عرضت، وسوّلت لي نفسي، وغلبنني
هواي، واعانني عليها شقوتي، وغرّبتني
سترك المُرخى عليّ، فقد عصبتك
وخالفتك بجهدي، فالآن من عذابك
مَن يستنقذني، ومن ايدي الخصماء
غداً مَن يخلصني...]

وعلى الانسان ان يسارع الى التوبة من الذنب، ولا يترك الذنوب
تتراكم في حياته فانها تكون اصعب للمغفرة ثم ان تراكم الذنوب على
قلب الانسان تमित قلبه وتجعله ابعد عن الهداية، فيجب ان يبادر الانسان
الى محوها بالتوبة.

[اللهم اذنت لي في دعائك ومسألتك
فاسمع ياسميع مدحتي وأجب يارحيم
دعوتي، واقل ياغفور عثرتي]

-: ان من اشد العذاب الذي ينتقم الله به من الكفار والمشركين في
نار جهنم هو ان الله سبحانه وتعالى لا يأذن لهم بسؤاله عن شيء، فاهل
النار لا يحق لهم التحدث مع الله، الا ان الله لم يعلق باب التحدث معه
وسؤاله التوبة والمغفرة في وجه المذنبين في الدنيا، فانت العبد الضعيف
المحتاج المسكين الذي لا تملك لنفسك شيئاً، تتحدث بربك وتذنب الذنب
ثم تستغفره وتطلب منه العفو والتوبة، وهو يغفر لك، انه فتح امامك ،
باب المغفرة وأذن لك بالتوبة في الدنيا، اما في يوم الحساب فان الله يعلق
هذا الباب، فعلينا ان نستغل الفرصة، ونبادر الى التوبة وطلب الغفران.

(اللهم أذنت لي في دعائك)، الهى: أنت الذي بدأت بالفضل وأعطيتني
 الاذن بالدعاء والمسألة (فاسمع باسمي مدحتي)، اذن فانا أبدأ دعائي بمدح
 الله وحمده سبحانه وتعالى (وأجب يارحيم دعوتي، وأقل ياغفور عثرتي)، اننا
 نطلب من الله ان يغفر لنا كل العثرات، والزلل والذنوب والهفوات، وان
 يقبلها أي: يعتبرها وكأنها لم تكن، فالاقالة تعني انك حينما تشتري
 بضاعة، ثم تكتشف انها لا تفيدك، فترجع الى البائع وتطلب منه ان
 يستردها ويعيد لك نقودك وكأن لم يكن بيع ولا شراء، هذه هي
 الاقالة، ونحن نطلب من الله ان يعتبر ذنوبنا وكأنها لم تكن، ويمحيها
 من صفحات اعمالنا: (وأقل ياغفور عثرتي).

[فكم يا الهى من كربة قد فرجتها،
 وهموم قد كسفتها، وعثرة قد اقلتها،
 ورحمة قد نشرتها، وحلقة بلاء قد
 فككتها..]

-: يا الهى، اذا غفرت لنا ذنوبنا، واقلت عثراتنا فليست هي المرة
 الاولى، فما اكثر الذنوب التي غفرتها، والكربات التي فرجتها،
 والعثرات التي اقلتها..

ان الداعي يجب ان يتذكر كربه التي فرجها الله، وهمومه التي
 كشفها الله، وعثراته التي اقالها الله سبحانه وتعالى، فان هذا التذكر
 ادعى لان يفتح الله ابواب الاجابة امامه.

ولكن لا ينحصر فضل الله على الانسان بكشف الهموم، واقالة العثرات، وتفريج الكربات، بل اكثر من ذلك: (ورحمة قد نشرتها وحلقة بلاء قد فككتها)، قد يشعر الانسان احياناً وكأن البلاء قد حاصره من كل مكان وقد أعيته مذاهب الحياة، وضافت عليه الدنيا بما رحبت، فاذا به يرى البلاء من كل مكان: اصدقاءه يخونونه، اقاربه يتركونه، مجتمعه يرفضه، والحكومة تلاحقه، ومن جهة اخرى: جسمه ضعيف والمرض يهجم عليه، وكأن البلاء يهاجمه من كل مكان وليس له اي امل ولا يستطيع ان يمد يده الى اي انسان، هنالك يتجه قلبه الى الله سبحانه وتعالى فيفك الله عنه حلقة البلاء ويجعله ينطلق في الحياة، وتعود كل المياه الى مجاريها، وتعمره رحمة الله ولطفه. الا ان مشكلة الانسان انه ينسى كل ذلك، فأنا وأنت لاشك قد ابتلينا في فترات من حياتنا بانواع البلاء والمشاكل، ولم يفك حلقة البلاء عنا الا الله تعالى، ولكننا نسينا تلك اللحظات الصعبة، والدعاء يذكرنا بكل ذلك ويزرع في قلوبنا الامل بالله والرجاء برحمته.

٢ - توحيد الله

[... الحمدُ لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له شريكٌ في الملك، ولم يكن له ولي من الدنِّ وكبَّره تكبيراً، الحمدُ لله بجميع محامده كلها، على جميع نعمه كلها، الحمدُ لله الذي لا مُضادَّ له في ملكه، ولا منازعَ له في أمره، الحمدُ لله الذي لا شريك له في خلقه، ولا شبيهة له في عظمته، الحمدُ لله الفاشي في الخلقِ امره وحمده، الظاهرُ بالكرم مجده، الباسطُ بالجود يده...]

عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: «ان الله تبارك وتعالى خلق إسماءً بالحروف غير منعوت، وباللفظ غير منطوق، وبالشخص غير مجسّد، وبالتشبيه غير موصوف، وباللون غير مصبوغ، منفي عنه الاقطار، مبعد عنه الحدود، محجوب عنه حس كل متوهم، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها، وحجب واحداً منها، وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الاسماء الثلاثة التي أظهرت، فالظاهر هو (الله وتبارك

وسبحان) لكل اسم من هذه اربعة اركان، فذلك اثني عشر ركناً، ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً اليها.

فهو الرحمن الرحيم، القدوس، الخالق، البارئ، المصور، الحي، القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، العليم، الخبير، السميع، البصير، الحكيم، العزيز، الجبار، المتكبر، العلي، العظيم، المقتدر، القادر، السلام، المؤمن، المهيمن، المنشيء، البديع، الرفيع، الجليل، الكريم، الرازق، المحيي، المميت، الباعث، الوارث.

فهذه الاسماء، وما كان من الاسماء الحسنى حتى تتم ثلاثمائة وستين فهي نسبة لهذه الاسماء الثلاثة، وهذه الاسماء الثلاثة اركان وحجب للاسم الواحد المكون المخزون بهذه الاسماء الثلاثة، وذلك قوله عزوجل:

«قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى» (١)

الله، تبارك، سبحانه، هذه اصول (اسماء الله) الحسنى، واسم (الله) تشتق منه اسماء اخرى كالعليم، القدير، الخبير، البصير، السميع الحكيم، وما أشبه، هذه الاسماء التي تدل على صفات الله الذاتية - حسب تعبير علماء الكلام - واسم (تبارك) تشتق منه ايضاً مجموعة اسماء هي (أسماء الفعل) فتبارك يعني: اعطى البركة، وكل ما يعطيه الله سبحانه وتعالى لخلقه فهو بركة، واسماء الفعل هي: الخالق، الرازق،

(١): بحار الانوار ج ٤ / ص ١٦٦

الفاعل لما يشاء، المصور، الباريء وماشبهه، هذه الاسماء التي تدل على افعال الله سبحانه وتعالى، والاسم الثالث هو (سبحان)، وهو اسم يدل على تنزيه ربنا عن التشبيه بالخلق، وعن اتخاذ المثل له، وتجزئته سبحانه وتعالى، مثل اسم الصمد، احد، لم يكن له كفواً احد، هذه هي اسماء الله سبحانه وتعالى ويشق منها ثلاثمائة وستون اسماً على الأقل، من كل اسم تشتق مجموعة اسماء، تتفرع منها أسماء اخرى.

وفي هذه الفقرة من الدعاء، نتلو بعضاً من اسماء التسييح والتنزيه التي يرمز اليها اسم (السبحان)، يقول بعض العلماء ان اعظم اسماء الله هو اسم (السبحان)، وان اعظم الاذكار هو (سبحان الله) لذلك فان افضل الاذكار في الركوع والسجود هو (سبحان الله)، كما ان التسييحات الاربع التي تُقرأ في الركعات الثالثة والرابعة من الفرائض، تبدأ بـ (سبحان الله)، حتى في التكبيرات التي تتلى عقب الفرائض والمشهورة باسم (تكبيرات الزهراء) قال بعض العلماء ان الافضل الابتداء بـ (سبحان الله) ثم (الحمد لله) ثم (الله أكبر) بعكس ما هو المتعارف عند عامة الناس.

والسؤال هو: لماذا اسم (السبحان) هو من أعظم أسماء الله؟

الجواب: لان الانسان يعرف بفطرته ان له خالقاً:

* فطرة الله التي فطر الناس عليها لا

تبدل خلق الله ذلك الدين القيم *

(٣٠/الروم)

وفي آية اخرى يقول ربنا سبحانه وتعالى:

* واذا اخذ ربك من بني آدم من
ظهورهم ذريتهم، وأشهدهم على
أنفسهم أَلست بربكم قالوا بلى
شهدنا..*

(١٧٢/الأعراف)

إذن، ان فطرة العبودية لله، وفطرة الاعتراف بالخالق مرتكزة في كل
النفوس الا ان مشكلة الانسان الحقيقية هي انه يريد ان يفهم الله وان
يحيط معرفة بالله، يريد ان يلمس وان يحس ربه، لذلك فهو يشبه ربه
بخلقه. وهنا مكن الانحراف في العبادة، اذ ان الانسان يتجه مرة لكي
يصنع صنماً ويعبده ويقول هذا ربي، ومرة اخرى يتخذ نوعاً من
النباتات والاشجار والحيوانات ليعبدها من دون الله، والبعض الاخر يعبد
الشمس او القمر، او النجوم، فالجميع معترفون بان لهم خالقاً، ولكن:
من هو هذا الخالق؟ هنا مكن الاشتباه، واساس ضلالة الانسان
وانحرافه، اذ انه يحاول ان يشبه خالقه بخلقه. اما لو عرف الانسان هذه
الحقيقة: ان ربه تعالى عن الاحاطة بالعلم، وانه منزه وسبوح وقدوس عن
التشبيه بالخلق، لو عرف بان الله اكبر من ان يُوصف، لاقترب الى الله
سبحانه وتعالى ولكن هناك مشكلة اخرى تعترض البشر حتى المؤمنين
بالله منهم، فحينما يريدون ان يقتربوا الى الله تاتي المخلوقات وتحجبهم
عن الخالق، فيتوجه الانسان الى المخلوق عوض التوجه الى الخالق، و
(سبحان الله) هو الذكر الذي يقربك الى الله سبحانه وتعالى، لانه يبعدك

عن التشبيه، ولذلك جاء في القرآن الكريم:

* سبح لله ما في السموات وما في
الارض وهو العزيز الحكيم *

(١/الصف)

فالسّموات والارض بما تدل على محدوديتها وحاجتها وضعفها وعجزها وانها قد ابتدأت في لحظة، وسوف تنتهي في لحظة وفي ساعة معينة، ان هذه السموات والارض تسبح الله، اي تنزهه وتقده عن صفات السموات والارض، ومن ابرزها (المخلوقة) بينما صفة الله تعالى هي (الخالقية) ومن صفات السموات والارض: العجز والحاجة، بينما صفات الله تعالى هي: الغنى والقدرة.

وربما نستطيع ان نعتبر البرهان الذي توصل عبره النبي ابراهيم الى اثبات وجود الله واتجه الى عبادته، هو من قبيل هذا الامر، حيث انه لما رأى الكوكب، والقمر، والشمس، وقال عن كل واحد منها: هذا ربي، ولكنه لما رأى افولها، وانها لا يمكن ان تكون آلهة، توصل الى هذه النتيجة:

* إني وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض حنيفاً وما أنا من
المشركين *

(٧٩/الأنعام)

فتوجه الى خالق الكوكب، والقمر، والشمس..

هذا البرهان هو في هذا الاتجاه، اذ ان الانسان يشبه ربه اولاً
بالمخلوقات، الا انه بعد الدقة والتعمق يعرف ان الخالق لا يمكن ان يكون
مثل المخلوق، لان المخلوق بصفاته المعروفة غير قادر على الاستقلالية،
فالمحدود يحتاج الى من يحده، والعاجز يحتاج الى من يعطيه القدرة،
والضعيف يحتاج الى القوي، فاذن يجب ان يكون الخالق قوياً، عزيزاً،
وقادراً.

لذلك كلما سبّحنا الله وقدسناه ونزهناه سبحانه وتعالى، كلما
اقتربنا اليه، والان لتأمل فقرات الدعاء:

[الحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا
ولداً، ولم يكن له شريك في الملك،
ولم يكن له ولي من الذل وكبره
تكبيراً]

-: لماذا لم يقل لم يتخذ ولداً ولا صاحبة، لان الانسان -في البدء-
يتخذ لنفسه صاحبة وزوجة، ثم بعد ذلك يولد له الاولاد. والله الخالق
منزه عن ذلك، (ولم يكن له شريك في الملك) الملوكوت لله سبحانه وتعالى
ليس له شريك فيه، (ولم يكن له ولي من الذل) الصالحون من عباد الله هم
اولياء الله: أشهد أن علياً ولي الله، ولكن ليس لله ولي من الذل، اي انه
لا يحتاج الى احد، غني عن العالمين، بل العالمون جميعاً يحتاجون اليه، و
الانسان اذا اراد ان يعمل عملاً، فلا بد ان يعينه فيه مجموعة من الاعوان
والانصار، اما الله فهو لا يحتاج الى احد، امره اذا اراد شيئاً ان يقول له:

كن فيكون. لا يحتاج الى من يعينه في خلق السموات والارض، او يساعده في تدبير شؤون السموات والارض (ولم يكن له وي من الذل وكبره تكبيراً)، فالله اكبر مما يصفه الانسان ومما تتوهمه العقول.. ان محاولة توهم الله تعالى تجر الانسان الى عبادة المخلوقات.. وهذا هو الذي ادى بالسامري واتباعه ان يتوهموا ربهم في عجل خلقوه بايديهم:

* فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار،

فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي *

(٨٨/طه)

(وكبره تكبيراً..) أي لا يجب ان يكون هناك اي توهم لله، فالله فوق الأوهام، والخيال، كلما توهمته في ذهنك فهو مخلوق وليس بخالق. الخالق فوق توهم الانسان، والمطلوب في معرفتك بالله هو ان تخرجه من حدود التعطيل والتشبيه، فلا هو من خلقة ولا هو عدم، هو شيء لا كأشياء، أما كيف؟ لا كيف له.. أين؟ لا أين له؟ متى؟ لا متى له. ما هي علامته؟ لا علامة له. ان كل هذه الحروف غير صادقة في الله، هذه كلها صفات المخلوق

[الحمد لله بجميع محامده كلها، على

جميع نعمه كلها، الحمد لله الذي لا

مضاد له في ملكه، ولا منازع له في

امره، الحمد لله الذي لا شريك له في

خلقه، ولا شبيه له في عظمته...]

بعد ان ذكر الدعاء بعضاً من اسماء الله سبحانه التي تقدسه وتنزهه عن كل نقص وعجز، يشير في هذه الفقرة الى اسماء الفعل التي يرمز اليها اسم (تبارك): (الحمد لله بجميع محامده كلها على جميع نعمه كلها) هل يستطيع الانسان ان يستغني عن أيّ نعمة من نعم الله؟ أو هل يستطيع أن يحصل على هذه النعم من غيره؟ واي نعمة من النعم التي اعطاها الله لنا لا يستحق بها حمداً جديداً؟ كل النعم نحتاجها، وكل النعم من عنده، وكلها بحاجة الى الحمد، لذلك فاننا نحمدها جميعاً وفي جملة صغيرة ونقول: (الحمد لله بجميع محامده كلها على جميع نعمه كلها) ولكن ماذا يعني بجميع محامده كلها؟

الجواب: اننا قد نحمد الله بتعابير مختلفة، فنقول: الحمد لله، حمدك يارب، نحمدك يا الله، لك الحمد يا حامد ويا حميد، الا اننا هنا نحمد الله بجميع محامده على جميع نعمه.

(الحمد لله الذي لا مضاد له في ملكه) حينما ملك الله فليس هناك ملك آخر يستطيع ان يضاد ربنا، هذا مانعترف به بألسنتنا. ويأتي الدعاء لكي يعمل على ادخال هذه الحقيقة الى القلب، حتى تتحول جزءاً من جنان البشر ومن تركيبته الداخلية، ان الانسان كثيراً ما يقول: (الحمد لله الذي لا مضاد له في ملكه) ولكنه حين العمل يخضع للطاغوت، وللانظمة المستكبرة، يخضع لغير الله سبحانه وتعالى، ان ما تقربه السنة البشر يجب ان يتحول الى ايمان قلبي ينعكس بدوره على مواقف واعمال الانسان في حياته اليومية. (ولا منازع له في امره) اذا امر الله امرأ، انتهى كل شيء، فلا

معقب لحكمه، ولا أحد يستطيع ان يقول لماذا؟ او ان يقف بوجه امر الله، فلو اراد الله ان يرفع انساناً، لا يستطيع العالم كله ان يضعه، ولو شاء الله ان يضع انساناً ويهيئه، فان كل قوى العالم لا تستطيع مجتمعة ان تكرمه، ان امر الله ومشيتته لا منازع لهما ولا يقدر احد ان يتحداهما. (الحمد لله الذي لا شريك له في خلقه ولا شبه له في عظمته) فعندما خلق السموات والارض لم يتخذ شريكاً، وعظمة الله ليست مما تصل اليها عظمة احد. (الحمد لله الفاشي في الخلق امره وحمده) كان اليهود يقولون بان الله سبحانه وتعالى مغلول اليدين، لا يقدر على شيء، وقد كانت هذه الفكرة امتدادات، منها الكفر بعقيدة (البداء) والايان (بالبداء) يعني الايمان بان الله سبحانه وتعالى قادر ان يتخذ قراراً جديداً في كل لحظة وفي كل شأن من الشؤون، فليس هناك ما يحتم على الله شيئاً ابداً، فالله فوق الحتميات، اذا اراد الله الان وفي هذه اللحظة ان يعدم الكون كله، لفعل ذلك في اقل من طرفة عين، فهو الفاشي في الخلق امره.

أفلا يستطيع الذي خلق الكون اول مرة واعطاه الوجود، ان يعدمه ويسلب منه نعمة الوجود في لحظة واحدة؟ ان من اهم عقائدنا ومن اكثرها تقدمية وحضارية وحرية هي عقيدة (البداء) ففي اعتقادنا يستطيع الله ان يغير وان يبدل القدر، ينزل عليك البلاء ثم تدعو الله سبحانه وتعالى، فيرفع القدر، هذا هو (البداء) وليس كل ما خط في اللوح المحفوظ هو الذي يحدث حتماً ودون اي تغيير، كلاً.. ان التغيير ممكن، لذلك نقرأ في ادعية شهر رمضان المبارك (اللهم ان كنت من الاشقياء فامحني

من الاشقياء واكتبني من السعداء) فاذا كان اسمي في اللوح المحفوظ مكتوباً من الاشقياء فانني ادعو الله، واعمل الصالحات، والتمس الى الرب الكريم، فيستجيب الله لي، و يغير ذلك القرار: (الحمد لله الفاشي في الخلق امره وحده) امر الله منتشر في الخلق وهو قادر على ان يغير و يبدل في كافة الامور والشؤون حسب مشيئته الحكيمة، وكذلك الامر بالنسبة الى حمد الله، وهذا يعني ان امره حميدٌ ايضاً.

(الظاهر بالكرم مجده) ان مجد الله وعظمته يظهران بالكرم، فالله لا يستخدم عظمته ومجده وقدرته في ظلم المخلوقات، وقمع الضعفاء والعاجزين كما يفعل بعض المخلوقين حينما يحصل على القوة والعظمة الظاهرية، اما الله فانه ذو مجدٍ وكرمٍ في آن واحد، (الباسط بالجود يده) اما جود الله و يده فانهما مبسوطان على كل الخلائق، ولولا جود الله ونعمه التي يبسطها بيده على الخلق، لانعدم الوجود ولتتحول كل شيء الى رماد.

٣- خزائن الله.. لا تنفذ

[... الحمد لله الفاشي في الخلق امره وحمده، الظاهر بالكرم مجده،
الباسط بالجوود يده، الذي لا تنقص خزائنه، ولا تزيد كثره العطاء الا
جوداً وكرماً، انه هو العزيز الوهاب، اللهم اني اسألك قليلاً من كثير،
مع حاجة بي اليه عظيمة، وغناك عنه قديم، وهو عندي كثير، وهو
عليك سهل يسير، اللهم ان عفوك عن ذنبي وتجاوزك عن خطيئتي،
وصفحك عن ظلمي، وسترك على قبيح عملي، وحلمك عن كثير
جرمي، عندما كان من خطأي وعمدي، اطمعني في ان اسألك
مالا استوجبه منك الذي رزقتني من رحمتك، واربتني من قدرتك،
وعرقتني من اجابتك، فصرت ادعوك امناً، واسألك مستأنساً، لا خائفاً
ولا وجلاً، مدلاً عليك فيما قصدت فيه اليك، فان ابطأ عني عتبت
بجهلي عليك، ولعل الذي ابطأ عني، هو خير لي لعلك بعاقبة
الامور...]

[الحمد لله الفاشي في الخلق امره
وحمده، الظاهر بالكرم مجده، الباسط

بالجود يده، الذي لا تنقص خزائنه ولا
تزيده كثرة العطاء الا جوداً وكرماً،
انه هو العزيز الوهاب]

-: كيف لا تنقص خزائنه بكثرة العطاء، بل ولا تزيده الا جوداً
وكرماً؟

الجواب: ان عطاء الله سبحانه وتعالى انما هو من خزائن لا تنفذ، ان
خزائن الله عظيمة وكبيرة ولا نفاذ لها، لان خزائن الله، ورحمته، ونعمه
انما هي من كلمة واحدة: (كن) فيكون، ان الله تبارك وتعالى يخلق
بكلمة (كن) واحدة، ملايين الكرات وملايين المجرات، فكيف تنفذ
خزينته من كانت قدرته بهذه السعة؟

الا ان الامر هو ابعد من هذا الواقع بكثير، اذ ان كثرة العطاء من قبل
الله، ليس فقط لا تنقص خزائنه، بل وتزيده جوداً وكرماً.

فالله يهب للانسان العقل، والانسان يعرف بعقله ربه فيدعوه،
فيزيده الله من فضله ويعطيه الايمان، فاذا زُوِّدَ بالعقل والايمان، يعرف
ان رحمة الله واسعة، وفضله عميم فيدعوه، فيزيده اليقين، ثم يدعو فيدخله
الجنة، ثم يدعو فيرفعه الله الى درجة الرضوان، فنعم الله متسلسلة، وكلما
اعطى نعمة استتبعها بنعمة اخرى، وهكذا نرى ان كثرة العطاء تزيد الله
كرماً وجوداً وعطاءً، لذلك فلو اعطانا الله نعمة واحدة، فلا يجوز لنا ان
نيأس، بل علينا ان ننتظر نعماً اخرى تتلاحق بعدها.

إذ ان عطاء الله الكثير لا يعني ان ربنا سيصبح بخيلاً سبحانه وتعالى
عن ذلك، فعطاؤه لا محدود، و جوده لا يقف عند حد.

ان الله يخاطب رسوله محمداً (ص) الذي جعله من اشرف الخلائق
اجمعين وفضله على الانبياء والمرسلين واعطاه ما لم يعط احداً من النعم
والشرف والذكر الحسن، حتى قرن اسمه باسمه، يخاطبه قائلاً:

* ومن الليل فتهجد به نافلة لك،

عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً *

(٧٩ / الاسراء)

و يقول له أيضاً:

* وقل ربّ زدني علماً *

(١١٤ / طه)

وهذا يعني: حتى رسول الله الذي اعطاه الله هذه النعم الكثيرة، مع
ذلك لا يقول له ربه: كفى، بل يحثه على الدعاء والسؤال حتى يزيده الله
من فضله وعطائه، فالله اذن: (لا تزيده كثرة العطاء الا جوداً وكرماً..)

-: أتدري من هو البخيل العاجز الفقير؟

-: انه.. نحن، اذا وقف الواحد منا بجانب البحر، ولكنه لم ياخذ
شيئاً من الماء، فهل يكون البحر بخيلاً؟ اذا وقف العطشان على شاطئ
النهر، ولكنه لم يمد يده ليغترف غرفة ويروي بها ظمأه، فمن هو

البخيل: النهر الجاري، ام هذا الانسان؟

والانسان الذي لا يطلب الفضل والنعمة من الله، هو البخيل.

أما رب الرحمة فهو واسع العطاء، ولا حدود لجوده وكرمه، فالله يقول:
ادعوني استجب لكم.. ولكن الانسان يبخل بهذا الدعاء، فيحرم نفسه
من عطاء ربه.

وهكذا كلما كان تطلع الانسان ابعد، وهمته ارفع، كلما استوعب
رحمة الله سبحانه وتعالى اكثر، ولذلك فان على الانسان ان يستغل اوقات
الدعاء: ليالي الجمعة، شهر رمضان المبارك، وفي الاسحار، ليمد يده لرحمة
الله ولبحر جوده، وان لا يطلب من الله اشياءً تافهة وبسيطة، بل عليه ان
يطلب كلما عظم من الامور، ليس لنفسه فحسب، وانما لاخوانه المؤمنين
ايضاً، ومن هنا يقول الفقهاء انه يستحب في صلاة الليل ان يدعو الانسان
لاربعين مؤمناً: (من قدم اربعين مؤمناً، واستغفر لهم ودعى لهم ثم دعى لنفسه
يستجيب الله دعاءه فيهم وفي نفسه..) (١)، فالله تعالى كريم، ويبقى على
الانسان ان يكون كريماً - ايضاً - حينما يدعور به، و يطلب منه: (ولا تزيده
كثرة العطاء الا جوداً وكرماً انه هو العزيز الوهاب) انه القوي القادر المهيمن
وهو (الوهاب) الذي لا تنقطع هباته اللامتناهية عن عبادته.

بعد سرد هذه المجموعة من النعوت الفاضلة والاسماء الحسنى لله،

(١): بحار الأنوار-ج/٩٠/ص ٣٨٣

نواصل الدعاء ونقول:

[اللهم اني أسألك قليلاً من كثير مع
حاجة بي اليه عظيمة، وغناك عنه
قديم، وهو عندي كثير، وهو عليك
سهل يسير..]

ان ما يطلبه الانسان من الله مهما كان عظيماً وهاماً في تصوره، الا انه قليل جداً اذا قيس بملكوت الله وجبروته وقدرته اللامحدودة، ويستطيع الواحد منا ان يعرف هذه الحقيقة من خلال المعادلة التالية: انني واحد من اربعة آلاف مليون بشر يعيشون على وجه الكرة الارضية، وقد عاش قبلهم وسيعيش بعدهم الوف الملايين، ثم ان هذه الارض اذا قيست الى المجرة التي نحن فيها، فانها تشبه الذرة التائهة في صحراء واسعة، والمجرة التي نحن فيها بالنسبة الى سائر المجرات التي نعرفها هي الاخرى كالذرة التائهة في الفضاء اللامتناهي. واما الكون الذي نعرفه، فهو بالنسبة الى رحمة الله يعتبر اصغر من الذرة التائهة، اذن فكل ما نطلبه من الله العلي القدير من المغفرة، والرحمة والعافية، والرزق، والفلاح، فهو شيء قليل جداً من بحر جوده اللامتناهي، ولكن بالرغم من تفاهة طلباتنا وصغر حجمها بالنسبة الى رحمة الله الواسعة، فان حاجتنا اليها شديدة: (مع حاجة بي اليه عظيمة) ان حاجتنا نحن الى رحمة الله عظيمة لانه لا نحصل على احد سواه نسأله من رحمته، كما لا يمكننا ان نتحمل عذاب الله وهجرانه وغضبه ان لم يغفر لنا: (وغناك عنه قديم) فكل ما يحتاج اليه الانسان، فان الله غني عنه.. فيارب انت غني عني وعن عذابي، فلماذا

تعذبني؟

انك لا تنقصك المغفرة فلماذا لا تغفر لي؟ وهذه هي لغة الاحاح في الدعاء، وعلى الانسان العاجز الضعيف ان يطلب دائماً من ربه بالاحاح واصرار، لانه هو المحتاج الى عطاء ربه، (وهو عندي كثير، وهو عليك سهل يسير) ان ما نطلبه من الله كثير عندنا، الا انه عند الله سهل و يسير، فحينما خلق الله سبحانه وتعالى السموات والارض بكلمة واحدة وقال لها: كن، هل اصابه تعب او لغوب؟ كلا.. ان ربنا سبحانه وتعالى اعز واعلى من ان يعتريه تعب او لغوب، وكذلك الامر بالنسبة الى الاستجابة لدعواتنا، فانها اسهل وايسر من كل شيء على الله سبحانه وتعالى.

[اللهم ان عفوك عن ذنبي،
وتجاوزك عن خطيئتي، وصفحك عن
ظلمي، وسترك على قبيح عملي،
وحلمك عن كثير جرمي، عندما كان
من خطأي وعمدي، اطمعني في ان
اسألك ما لا أستوجبه منك الذي
رزقتني من رحمتك، واريتني من
قدرتك، وعرفتني من اجابتك...]

-: ان اهم حاجة للانسان هو ان يرفع الحوا- زبينه وبين الله، وان
الحاجز الرئيسي بين الانسان وبين ربه هو حاجز الذنوب، فالله لا يحتجب
عن خلقه الا ان تحجبهم الذنوب دونه، اذن فان السؤال الاول هو ان يعفو
الله عن ذنوبنا، ويتجاوز عن خطيئاتنا، ويصفح عن ظلمنا، ويستر على

قبيح اعمالنا، ويحلم عن جرائمنا الكثيرة، والله تعالى يستجيب لنا في كل ذلك و يغمرنا برحمته الواسعة، ولطفه العميم، وهذه الرحمة هي التي تجعلنا نسأل الله اكثر.. فاكثر.. ومد اليه ايدينا، اننا اذنبنا ذنوباً كثيرة، ولكن الله لم يؤاخذنا بها، ولم يعذبنا بالرغم من استمرارنا على الذنوب، بل العكس هو الصحيح اذ لا تزال رحمته تشملنا من كل جهة ويزيدنا من نعمه، ويلوح لنا بالمغفرة، ويدعونا للتوبة والعودة اليه مهما اذنبنا واخطانا.

ان هذه الرحمة من ربنا سبحانه وتعالى تشجعنا على ان نذهب الى بابه ونسأله مع ان وجوهنا مسودة بالذنوب، لكن وجهه الكريم هو الذي يجعلنا نسأله سبحانه وتعالى..

ان الله خلق العباد ليرحمهم لا ليعذبهم: (سبحان من لا يعتدي على اهل مملكته، سبحان من لا يؤاخذ أهل الارض بالوان العذاب)، (اللهم ان عفوك عن ذنبي، وتجاوزك عن خطيئتي وصفحك عن ظلمي وسترك على قبيح عملي، وحلمك عن كثير جرمي، عندما كان من خطأي وعمدي اطمعني...) كل هذه النعم المتتالية تجعلني اطمع: (في ان اسألك ما لا أستوجه منك)، كل تلك التي جعلتني انا الفقير الذي لا أستوجب رحمتك، ان اطرق بابك واسألك من رحمتك الواسعة، (الذي رزقتني من رحمتك واريتني من قدرتك، وعرفتني من اجابتك) فكم من المرات، ييأس الانسان من الحياة، ويعجز عن حل مشاكله، الا انه باللجوء الى الله، والطلب منه، تفتح عليه ابواب رحمة الله، ويريه من قدرته ليزداد ايماناً، ويعرفه من اجابته لكي لا ييأس بعد

ذلك من شيء، ويعتمد على الله في حل مشاكله.

[فصرت أدعوك آمناً وأسألك
مستأنساً، لا خائفاً ولا وجلاً، مدلاً
عليك فيما قصدت فيه اليك، فان
أبطأ عني عتبت بجهلي عليك، ولعل
الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك
بعاقبة الامور]

-: حينما يرتكب الانسان خطأ تجاه صديقه، او من هو اكبر منه في
اي مجال من مجالات الحياة، ويحاول أن يعتذر عن ذلك الخطأ، تنتابه
حالة من القلق: هل سيقبل الطرف الاخر عذره، ام انه سيرده على
اعقابه؟ الا اننا بازاء الله سبحانه وتعالى، وبالرغم من كل ذنوبنا،
واخطائنا، ومعاصينا، لا نعيش هذا القلق، بل ندعوه وقلوبنا مطمئنة،
ونسأله المغفرة ونحن نشعر بالامن: (فصرت ادعوك آمناً وأسألك مستأنساً)
ولكن بالاضافة الى حالة الاطمئنان والامن القلبي، فاني (مستأنس)
أيضاً، لانني اعرف انني مُقبل على مناهل رحمة الله وينابيع عفوه
ومغفرته، وسوف ارتوي منها بكل راحة وأنس (لا خائفاً ولا وجلاً) فما
دمت ادعو الرب الرحيم الذي يحب عباده فلا داعي للخوف والوجل، الا
ان الانسان المذنب المقصر يذهب ابعد من هذا: (مدلاً عليك فيما قصدت
فيه اليك) فهو يتدلل على ربه، ولكن كيف؟

(فان أبطأ عني عتبت بجهلي عليك) فقد يتأخر الله في الاستجابة لدعوات

الانسان المذنب العاصي لسبب من الاسباب، فينبري بجهله وغروره معاتباً ربه: (ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي) فنحن لا نعرف كامل مصالحننا ولا نعرف الحكمة وراء عدم استجابة الله سبحانه وتعالى لبعض دعواتنا، فقد يطلب احدنا من ربه ان يرزقه مالاً كثيراً، او يعطيه سلطة وحكومة، من دون ان يعرف ان المال الكثير، والسلطة تفسده وتجعله ينسى نفسه ويطغى على الآخرين وبذلك يستحق عذاب الله الشديد، اذن فقد يكون التأخر في الاستجابة لبعض دعواتنا لأجل مه لمحتنا التي لا نستطيع ان نعرفها.

* ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت
السّموات والأرض *

(٧١ / المؤمنون)

فالحياة ليست لعبة وانما هي مبنية على اساس مجموعة من الحكم والمصالح التي لا يعرفها الا الله: (لعلك بعاقبة الامور...) فالله وحده يعرف مصائر الناس وعواقبهم، وعلى اساسها قد يتأخر الرب في الاستجابة، وقد لا يستجيب ابدأ لبعض الدعوات لانها لا تكون في مصلحة الانسان.

٤ _ علاقة الانسان .. بالله

[... فلم أرمولّي كريماً أصبر على عبدٍ لثيم منك عليّ يارب، انك تدعوني فأولي عنك، وتحبّب إليّ فاتبغض اليك، وتتودّد إليّ فلا أقبلُ منك، كأنّ ليّ التطولَ عليك، فلم يمنعك ذلك من الرحمة لي، والاحسانِ إليّ والتفضلِ عليّ بجودك وكرمك، فارحم عبدك الجاهل، وجُد عليه بفضلِ إحسانك إنك جوادٌ كريم. الحمدُ لله مالِكِ الملك، مجري الفلك، مسخّر الرياح، فالقِ الاصباح، ديانِ الدين، ربِ العالمين. الحمدُ لله على حلمه بعد علمه، والحمدُ لله على عفوه بعد قدرته، والحمدُ لله على طولِ أناته في غضبه، وهو قادرٌ على ما يريد...]

[.. فلم أرمولّي كريماً أصبر على عبدٍ لثيم منك عليّ يارب، انك تدعوني، فأولي عنك، وتحبّب إليّ فاتبغض اليك، وتتودّد إليّ فلا أقبلُ منك ..]

: ان العلاقة بين الانسان وربه، علاقة غريبة، فبينما الانسان هو

المحتاج والفقير، والمفروض ان يكون هو الذي يسعى نحو ربه ويفتش عن الوسائل التي تقربه اليه زلفى، نجد ان العكس هو الصحيح في اكثر الاحيان، اذ ان الله تعالى هو الذي يدعو الانسان و يتحجب اليه، بينما الانسان يرفض الاستجابة، و يتعد عن الله استجابة لضغوط الاهواء، والشهوات، و متع الحياة، وهذه الفقرة من دعاء (الافتتاح) تسلط الضوء على هذه المفارقة الغريبة في علاقة الانسان بربه:

[فلم أرمولى كرمياً أصبر على عبد لثيم
منك عليّ يارب]

بالرغم من حاجة الانسان اليه وعبوديته له، و بالرغم من لؤمه الذي يتجلى في ارتكاب الذنوب و الاصرار على المعاصي، الا ان الله يصبر عليه و على ذنوبه و اخطائه. فلا يوجد الصبر من الله على عباده المذنبين، و الدليل على ذلك هو: (انك تدعوني فاوي عنك)، فكم يحدث ان الله تعالى يدعونا للصلاة مثلاً عبر المؤذن الذي ينادي في اوقات الفرائض: حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على خير العمل، الا اننا لانستجيب، و نبقى مشغولين بالاعمال التافهة؟

فالله يدعونا و نحن نوليّ عنه.

(و تحبب اليّ فاتبعض اليك)، فالله يحبك و يريدك ان تحبه، يريد ان تكون العلاقة بينك و بينه علاقة حب متبادلة، و رب العزة بيده كل شيء، و هو يتفضل عليك بالنعمة المتواترة حتى تحبه، و يريدك ان تخضع له و تعبده،

وتطيع تعاليمه حتى يحبك، الا انك ترفض ذلك عملياً: (وتحجب الي فاتبغض اليك)، فكلما يهدي الله الينا هدايا طيبة حتى نحبه، نحن نعكس الامر ونرسل له بذنوبنا، وفي دعاء أبي حمزة الثمالي:

[ولم يزل ولا يزال ملك كريم يأتيك

عنا بعمل قبيح]

(وتتودد الي فلا أقبل منك)، يرسل الله للانسان رسالة الحب والود، الا ان الانسان لا يقبل بذلك و يردها دون ان يفتح الرسالة والقرآن هو رسالة الله للانسان، فكم نحن نقرأ القرآن؟

واذا قرأنا القرآن في شهر رمضان المبارك كعادة مورثة، فهل نتدبر في آياته، ام ان كل اهتمامنا ينصب على كمية الايات والسور التي نقرأها في كل يوم؟

[.. كأن لي التطول عليك، فلم يمنعك

ذلك من الرحمة لي، والاحسان الي،

والتفضل علي بجودك وكرمك، فارحم

عبدك الجاهل، وجد عليه بفضل

احسانك، انك جواد كريم..]

(فأرحم عبدك الجاهل، وجد عليه

بفضل إحسانك، إنك جواد كريم..)

-: هذا الانسان العاجز الضعيف الذي لا يستطيع ان يواصل الحياة

لحظة واحدة من دون نعم الله، وألطفه، ومن دون حب الله ووده، يرفض
تحبب الله وتودده، وكأن له اليد العليا على خالق الكون، وله الفضل
والطول عليه: (كأن في التطول عليك) إلا أن هذا النوع من العلاقة السلبية
التي يقيمها الإنسان بينه وبين ربه لا يمنع الله من مواصلة الرحمة والنعمة
للإنسان: (فلم يمنعك ذلك من الرحمة لي والاحسان لي، والتفضل علي بجودك
وكرمك)

وفي دعاء أبي حمزة الثمالي أيضاً نقرأ مثل هذه الفقرات:

[الحمد لله الذي ادعوه فيجيبني وان
كنت بطيئاً حين يدعوني، والحمد لله
الذي أسأله فيعطيني، وان كنت
بخيلاً حين يستقرضني... الحمد لله
الذي لا أدعو غيره ولو دعوت غيره لم
يستجب لي دعائي، والحمد لله الذي
لا أرجو غيره ولو رجوت غيره لا خلف
رجائي... فربي أحمد شيء عندي
وأحق بحمدي]

وهكذا تحكم بني آدم هذه المفارقة: كلما غمره الله بلطفه ورحمته
كلما رد الإنسان بالذنب والجفاء، والإنسان إنما يرتكب الذنب تحت
ضغط الشهوات، ووقوع الإنسان في الخطأ هو امر طبيعي، والله تعالى يغفر
له ذلك.

أما الجفاء فهو أسوأ من الذنب بكثير، وهو يعني أن لا يسأل الإنسان

ربه، ولا يدعوه في شيء، ولا يستغفره من ذنوبه، وإذا جافى الإنسان ربه وقاطعه، فإلى من يلجأ؟ وهل هناك غير الله نلتمس منه حوائجنا، ونلجأ إليه في الرخاء والشدة؟

نحن نحيا بلطف الله ورحمته، ونعيش على أرضه وتحت سمائه، وبيده كل حركاتنا وسكناتنا، فكيف اذن نقاطعه ونجافيه؟

«روي أن الحسين (ع) جاءه رجل وقال: أنا رجل عاصٍ، ولا أصبر على المعصية، فعظني بموعظة، فقال (ع): أفعل خمسة أشياء واذنب ما شئت. فأول ذلك: لا تأكل رزق الله وأذنب ما شئت، والثاني أخرج من ولاية الله واذنب ما شئت، والثالث: أطلب موضعاً لا يراك الله واذنب ما شئت، والرابع: إذا جاء ملك الموت ليقبض روحك فادفعه عن نفسك واذنب ما شئت، والخامس: إذا أدخلك مالك في النار فلا تدخل في النار واذنب ما شئت» (١)

[فأرحم عبدك الجاهل، وجد عليه

بفضل احسانك انك جواد كريم]

وهكذا يتضرع الانسان الى ربه طالباً رحمته، ومعتزلاً بجهله، وحاجته الملحة الى فضل الله واحسانه، وبهذا التضرع ينتهي القسم الاول من دعاء الافتتاح، وكما قلنا سابقاً ان الادعية الماثورة تبدأ عادة بحمد الله وتنزيهه وتسبيحه، ثم بعد ذلك يأتي دور التضرع لله وطلب الحاجات منه، لذلك فان القسم الاول من دعاء الافتتاح يبدأ بالحمد والثناء والتسبيح ثم انتقل الى الطلب والتضرع، وهكذا أيضاً يبدأ القسم الثاني

(١): بحار الأنوار - ٧٨/ص ١٢٦.

برحلة جديدة في الحمد والتسبيح والتنزيه، ثم ينتقل بعدئذ الى الطلب، وفي هذا القسم يبدأ الطلب بالصلاة على النبي محمد (ص) ثم الصلاة على الائمة المعصومين (ع) وفي نهاية الدعاء نجد مجموعة من الطلبات الاستراتيجية الهامة التي تتعلق بمصير الانسان في الحياة، وواقعه السياسي وبقضايا المواجهة مع اعداء الامة الاسلامية.

[الحمد لله مالك الملك، مجري الفلك،

مسخر الرياح، فالق الاصباح، ديان

الدين، رب العالمين]

-: ربما يكون هنالك فرق بين معرفة الله، وبين مجرد الايمان بالله، فحالة (المعرفة) هي حالة متقدمة عن الايمان، اذ ان (المعرفة) هي الرؤية القلبية المباشرة، وحالة المعرفة والعرفان هي حالة الاتصال الغيبي بين قلب الانسان وبين رب الانسان، فكيف تحصل حالة العرفان هذه؟ ان من وسائل الوصول الى حالة العرفان هو الايمان التفصيلي، او تفصيلات الايمان، فنحن بصورة مجملة مؤمنون بان هذا الكون الواسع قد خلقه الله سبحانه وتعالى وانه هو الذي يدبر اموره، هذا هو الايمان، اما اذا اراد الانسان ان يصل الى (معرفة الله) والى اتصال قلبه بالله والى درجة اليقين، فان عليه ان يفصل هذا الايمان المجمل، وان يتوجه الى كل جزء من مخلوقات الله في الكون ويتدبر في خلقه وصنعه، فيتدبر في خلق الله لهذا الكون، وهذه الشجرة، وهذا البستان، وهذه الشمس، وهذا القمر، وهذه النجمة، وهذه الكرة، وهكذا... حتى ينبعث في قلب الانسان نور

اليقين، وتغمره حالة المعرفة، ويصل الى ماوصل اليه الامام علي (ع) الذي يقول حسب ماروي عنه:

[مارأيت شيئاً الا ورأيت الله قبله ومعه

وبعده]

فكل شيء يراه الانسان يتجلى فيه اسم من اسماء الله سبحانه وتعالى فحينما يرى الشجرة لا يفكر في ثمرتها وقيمتها فقط، بل و يفكر ايضاً في اتقان الصنع وابداع الخلق وجمال الصورة ونظام الحياة، ومن خلال اتقان الصنع يصل الانسان الى اسم الله البديع المدبر، ومن خلال قوة ومثانة الصنع يقول: سبحان الله القوي القدير، ومن خلال تفاعل الشجرة مع الكون، يقول سبحان الله مدبر الامور، المقدر الحكيم. فاذن كل شيء يهدي الانسان العارف الى اسم من اسماء الله، واذا عرف الانسان ربه عبر اسمائه الحسنى سبحانه، فانه يزداد تألقاً في سماء الايمان كلما عرف اسماً جديداً من اسماء الله عزوجل، ويرتقي درجة جديدة من درجات اليقين.

من هنا نجد ان القسم الثاني من (دعاء الافتتاح) يبدأ بحمد الله وثنائه مشيراً الى تفاصيل الابداع والاتقان في الخلق، في محاولة لدفع الانسان المؤمن الى المزيد من التدبر والتفكر في صنع الله ليكسب المزيد من اليقين والمعرفة: (الحمد لله مالك الملك) فالملك كله لله: (مجري الفلك) ان كل شيء في هذا الكون يجري و يدور، فالارض تدور حول نفسها وتدور حول الشمس، والشمس بذاتها تدور وتتحرك والكرات كلها في حالة

دوران مستمر فمن الذي يجريها ويحركها؟ هو الله سبحانه وتعالى! هذا هو احد المعاني لجريان الفلك، اما المعنى الاخر فهو: السفينة، فالله تعالى هو الذي يجريها وسط البحار المتلاطمة بواسطة القوانين الطبيعية التي وضعها رب العالمين: (مسخر الرياح) اننا نعرف بان حركة الرياح انما هي بسبب تحولات تحدث في الشمس، فالرياح تحدث في الارض اذا حدث انفجار ما في عمق الشمس، ولكن الامر هو ابعد وادق من ذلك، فالرياح تتحرك بانتظام دقيق، وهي التي تدير الكثير من شؤون الكون، والرياح مثل رسل الله سبحانه وتعالى، تلقح الاشجار وتكشف السحب وتغير الهواء وتجري السفن في اعالي البحار ومئات العمليات الاخرى التي تقوم بها الرياح، فمن الذي ينظمها ويهديها ويحركها غير الله سبحانه وتعالى؟ وبعض الرياح تكون رياح عذاب حينما تهب على القرية المذنبه وتبيدها عن آخرها، بينما القرية القريبة منها تكون بعيدة عن تأثيرات الرياح، ان الرياح لا تعقل شيئاً، فمن الذي يوجهها، ويحركها حسب مصلحة معينة غير الله تعالى؟

(فالق الاصباح) وهو الذي فلق الصبح وجعله ينفجر من ضمير الظلام الدامس لتتنفس الحياة، وتدور عجلة البشرية في نشاط دائم، (ديان الدين رب العالمين) والله هو الذي يعطي جزاء الناس ويحاسبهم على كل صغيرة وكبيرة، لانه رب العالمين.

[الحمد لله على حلمه بعد علمه،

والحمد لله على عفوه بعد قدرته،

والحمد لله على طول اناته في غضبه وهو
قادر على ما يريد..]

-: في هذه الفقرة من الدعاء نجد مظاهر اخرى من المفارقة السابقة التي ذكرناها في علاقة الانسان بربه، فالله تعالى يحلم عن الانسان المذنب العاصي بالرغم من علمه بكل ذلك، فانت قد تغتاب شخصاً لا يسمعك، ولكن الله يراك ويسمعك، وما من ذنب يرتكبه الانسان الا ويراقبه الله ويراه، جاء في حديث شريف ان ابراهيم النبي عليه الصلاة والسلام اراه الله ملكوت السموات والارض وكشف عن بصره الغطاء، فرأى كل ما يدور من احداث: رأى رجلاً يزيني بامرأة في مكان ما، وآخر يسرق من بيت ما، وثالث يعتدي على صاحبه ويقتله، وهكذا مجموعة كبيرة من الذنوب والمعاصي، وكان النبي يرى كل ذلك ويملاه العجب، وهو نبي معصوم ويخشى الله سبحانه وتعالى، ويعرف الله حق معرفته.

عن رسول الله (ص) قال:

«إن إبراهيم الخليل لما رفع في الملكوت، وذلك قول ربي * وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ويكون من الموقنين * قوى الله بصره لما رفعه دون السماء حتى أبصر الأرض ومن عليها ظاهرين ومستترين، فرأى رجلاً وأمرأة على فاحشة، فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، فأوحى الله اليه:

يا إبراهيم إكفف دعوتك عن عبادي وإمائي فاني انا الغفور الرحيم، الجبار
 الحليم، لا تضرنني ذنوب عبادي كما لا تنفعني طاعتهم، ولست اسوسهم بشفاء
 الغيظ كسياستك، فاكفف دعوتك عن عبادي فانما انت عبد نذير، لا شريك في
 المملكة، ولا مهيمن عليّ ولا على عبادي، وعبادي معي بين خلال ثلاث: اما تابوا
 اليّ فتبت عليهم وغفرت ذنوبهم، وسترت عيوبهم، واما كففت عنهم عذابي
 لعلمي بانه سيخرج من أصلابهم ذريات مؤمنون، فارفق بالآباء الكافرين، وأتأني
 بالامهات الكافرات، وارفع عنهم عذابي ليخرج ذلك المؤمن من أصلابهم، فاذا
 تزايدوا حق بهم عذابي، وحق بهم بلائي، وان لم يكن هذا ولا هذا فان الذي
 اعدته لهم من عذابي اعظم مما تريدون به، فان عذابي لعبادي على حسب جلالي
 وكبريائي..

يا ابراهيم فخلّ بيني وبين عبادي فاني ارحم بهم منك، وخلّ بيني وبين
 عبادي فاني أنا الجبار الحليم، العلام الحكيم. ادبرهم بعلمي، وأنفذ فيهم قضائي
 وقدري» (١)

وهكذا نجد ان الله تعالى يحلم عن عباده بعد علمه بكل معاصيهم،
 وهو قادر على ان ياخذهم الا انه يعفو عنهم (الحمد لله على عفوه بعد قدرته)،
 وكذلك يصبر الله طويلاً على عبده ولا ينزل عليه غضبه، فقد يمهّل الله
 انساناً عشرات السنين وهو ساذج في الذنوب والمعاصي لعله يهتدي في
 النهاية و يعود الى رشده (والحمد لله على طول أناته في غضبه) كل ذلك (وهو
 قادر على ما يريد) ولان الله يعفو، ويحلم و يصبر على المذنبين بالرغم من
 قدرته وجبروته، كان العفو، والحلم، والصبر من اسمائه الحسنی.

(١): بحار الأنوار- ١٢/ص ٦٠.

٥- الدعاء ومعالجة الغيب والشهود

[... الحمد لله خالق الخلق، باسط الرزق، فالق الاصباح، ذي الجلال والاكرام، والفضل والانعام، الذي بعد فلا يرى، وقرب فشهد النجوى.. تبارك وتعالى، الحمد لله الذي ليس له منازع يعادله، ولا شبيه يشاكله، ولا ظهير يعاضده، قهر بعزته الاعزاء، وتواضع لعظمته العظماء، فبلغ بقدرته مايشاء...!]

● [الحمد لله خالق الخلق، باسط الرزق، فالق الاصباح، ذي الجلال والاكرام، والفضل والانعام، الذي بعد فلا يرى، وقرب فشهد النجوى... تبارك وتعالى]

—: ان التأمل في هذه الفقرة من الدعاء يصل بنا الى عدة افكار من ابرزها ما يلي:

الفكرة الاولى: ان هناك علاقة وثيقة بين (خالق الخلق) و (باسط

الرزق)، اذ انه حسب ما يبدو لنا من آيات القرآن الحكيم ومن التدبر في طبيعة الكون الذي نعيشه، هو ان خلق الله سبحانه وتعالى للاشياء لم يكن بتحويلها من العدم الى الوجود، بل ان ذات الاشياء لا تزال هي: العدم. انما الله تعالى رش عليها وميضاً من نور الوجود، فهي موجودة بالله، قائمة به، وربنا هو القيوم على كل شيء ولو ان ربنا ترك الموجودات لحظة واحدة لانعدمت، ولم يبقَ منها شيء. ان كل هذه السموات العملاقة، وهذا الفضاء اللامتناهي بما فيه من مجرات هائلة، انما هي قائمة باذن الله:

* ان الله يمسك السموات والارض ان
تزولا، ولئن زالتا إن امسكهما من أحدٍ
من بعده *

(٤١/فاطر).

ان مفهوم العطاء المستمر والفيض المستمر، هو مفهوم يتناسب مع الرزق، لان الذي اعطى الوجود للاشياء لا يزال يعطي لها تكامل هذا الوجود، واستمراريته واحتياجاته بصورة منتظمة.

ان وجودنا بحاجة في استمراره الى الله سبحانه وتعالى، والوجه الظاهر لهذه الحقيقة هو رزق الله سبحانه وتعالى، فلو امسك الله رزقه عنا، لو امسك هذا الاوكسجين الذي نتنفسه، وهذا الاكل الذي نتغذى به ومن خلاله تنمو خلايا وانسجة جسمنا، لكان مصيرنا الموت بالطبع، ليس الموت وحده، بل والتفتت والتحول الى تراب.

اذن فلو امسك الله تعالى عن الخلق رزقه المستمر، والعطاء المتواصل لانتهى المخلوق، من هنا نكتشف مدى العلاقة بين الامرين:

(خالق الخلق) و (باسط الرزق) فالذي خلق الخلق هو الذي يبسط الرزق وينشره، والرزق هنا هو اشمل مما يتصوره الانسان في الوهلة الاولى، اذ انه يشمل كل مقومات الوجود واستمرارية الحياة، (فالق الاصباح) وهذا هو الاخير يرتبط بقضية الرزق واستمراريته، اذ ان الصباح هو خير فرصة للجميع للتحرك والسعي لاكتساب الرزق، والله هو الذي يغلق الصبح ويفجره ليتنفس من بطن الظلام: (فالق الاصباح، ذي الجلال والاكرام)..

الفكرة الثانية: ان الرؤية الاسلامية هي رؤية عمومية كلية تربط الموجودات الظاهرة بالغيبيات الباطنة.. والحقائق المركبة بالحقائق المجردة، وهذه الفكرة تتجلى في هذه الفقرة من الدعاء، حيث يربط بين الخلق الاول الذي لم نشهده، وبين الرزق المبسوط المتجدد الذي نراه ونلمسه كل لحظة، وهذا الرزق المشهود هو خير دليل على ذلك الخلق الغيبي، وهكذا يربط الدعاء بين ذلك الغيب وهذا الشهود، بين ذلك الماضي وهذا الحاضر، بين ذلك الذي لم نره وهذا الذي لا نزال نراه في كل لحظة، هذا من جهة..

ومن جهة اخرى، نرى ان هذه الفقرة تربط بين الخلق الاول والرزق المتجدد وفلق الاصباح وجلال الله واكرامه كمجموعة مترابطة من الحقائق، وبين ان ربنا قريب يسمع النجوى، وبعيد بجلاله وعظمته فهو قريب من جهة، بعيد من جهة، قريب لانه مهيمن، محيط سميع بصير،

وبعيد لانه عظيم جليل لا يشبه خلقه، ولا يشبه خلقه، يقول الدعاء:
 (الذي بَعَدَ فلا يُرى) هل يستطيع الانسان المحدود ان يرى الله سبحانه
 وتعالى من ان يُرى؟ انه بعيد من هذه الناحية، بعيد عن رؤية العين وبعيد
 عن أوهام الخيال (وقرب فشهد النجوى) لونا جى الانسان صاحبه
 بصوت منخفض لا يسمعه احد، فان الله سبحانه وتعالى يسمعه قبل
 صاحبه، ولذلك فهو من هذه الجهة قريب الى الانسان، بل هو اقرب اليه
 من جبل الوريد: (وقرب فشهد النجوى تبارك وتعالى)..

ان تبارك يرمز الى سلسلة من اسماء الله الخالق الرازق الباسط
 القابض. واسم تعالى يرمز الى سلسلة اخرى من اسماء الله: سبح قدوس
 منزه، وكل الاسماء التي تنتهي الى تقديس الله..

● [الحمد لله الذي ليس له منازع
 يعادله، ولاشبيه يشاكلة، ولاظهر
 يعاضده، قهر بعزته الاعزاء، وتواضع
 لعظمته العظماء، فبلغ بقدرته مايشاء]

— جاء في حديث مروي عن الامام علي عليه الصلاة والسلام انه
 قال في صفة المؤمنين:

«عظم الخالق في انفسهم فصغر
 ما سواه في اعينهم»

هذه المعادلة تتجلى في قلوب المؤمنين الصادقين، فكلما عظم الخالق

في انفسهم، كلما صغرت الخلائق في اعينهم، ووجدوا ما دون الله، تافهاً
لا يساوي شيئاً ولا يقدر على شيء، لذلك فان قلوبهم لا تتعلق بحطام
الدنيا، ولا يدخل فيها حب الماديات.. بل حب ماسوى الله.

وفي بعض الكتب: ان عيسى (ع) كان مع بعض الحواريين في بعض
سياحته، فمروا على بلدٍ، فلما قربوا منه وجدوا كنزاً على الطريق، فقال
من معه: إئذن لنا يا روح الله ان نقيم ههنا ونجد ونحوز هذا الكنز لئلا
يضيع، فقال (ع) لهم: اقيموا ههنا وانا ادخل البلد ولي فيه كنز اطلبه،
فلما دخل البلد، وجال فيه رأى داراً خربة فدخلها فوجد فيها عجوزة،
فقال لها: انا ضيفك في هذه الليلة، وهل في هذه الدار احد غيرك، قالت:
نعم لي ابن مات ابوه وبقي يتيماً في حجري، وهو يذهب الى الصحاري
ويجمع الشوك ويأتي البلد فيبيعها، ويأتيني بثمرها نتعيش به، فهيأت
لعيسى (ع) بيتاً، فلما جاء ولدها قالت له: بعث الله لنا في هذه الليلة
ضيفاً صالحاً. يسطع من جبينه انوار الزهد والصلاح، فاغتنم خدمته
وصحبتة، فدخل الابن على عيسى (ع)، وخدمه واكرمه، فلما كان في
بعض الليل سأل عيسى (ع) الغلام عن حاله ومعيشته وغيرها،
فتفرس (ع) فيه آثار العقل والفظانة والاستعداد للترقي على مدارج
الكمال، لكن وجد فيه ان قلبه مشغول بهم عظيم، فقال له: يا غلام
ارى قلبك مشغولاً بهم لا يبرح فاخبرني به لعله يكون عندي دواء دائك،
فلما بالغ عيسى (ع) قال: نعم في قلبي هم وداء لا يقدر على دوائه احد
الا الله تعالى، فقال: اخبرني به لعل الله يلهمني ما يزيله عنك، فقال

الغلام: اني كنت يوماً احمل الشوك الى البلد فمررت بقصر ابنة الملك فنظرت الى القصر، فوقع نظري عليها فدخل حبها شغاف قلبي، وهو يزداد كل يوم ولا أرى لذلك دواء الا الموت، فقال عيسى (ع): ان كنت تريدها انا احتال لك حتى تتزوجها، فجاء الغلام الى امه، واخبرها بقوله، فقالت امه: يا ولدي. اني لا اظن هذا الرجل يعد بشيء لا يمكنه الوفاء به، فاسمع له واطعه في كل ما يقول: فلما اصبحوا قال عيسى (ع) للغلام: اذهب الى باب الملك فاذا اتى خواص الملك ووزراؤه ليدخلوا عليه، قل لهم: ابلغوا الملك عني اني جئته خاطباً كريمته، ثم انتهي واخبرني بما جرى بينك وبين الملك، فاتى الغلام باب الملك، فلما قال ذلك لخاصة الملك. ضحكوا وتعجبوا من قوله، ودخلوا على الملك، واخبروه بما قال الغلام مستهزئين به، فاستحضره الملك، فلما دخل على الملك وخطب ابنته قال الملك مستهزئاً به: انا لا اعطيك ابنتي الا ان تأتيني من اللآلئ واليواقيت والجواهر الكبار كذا وكذا.. ووصف له ما لا يوجد في خزانة ملك من ملوك الدنيا. فقال الغلام: أنا اذهب واتيك بجواب هذا الكلام، فرجع الى عيسى (ع) فاخبره بما جرى، فذهب عيسى (ع) به الى خربة كانت فيها احجار ومدر كبار، فدعا الله تعالى فصيرها كلها من جنس ما طلب الملك واحسن منها، فقال: يا غلام خذ منها ما تريد واذهب به الى الملك، فلما اتى الملك بها تحير الملك واهل مجلسه في امره، وقالوا: لا يكفيننا هذا، فرجع الى عيسى (ع) فاخبره، فقال: اذهب الى الخربة وخذ منها ما تريد، واذهب بها اليهم، فلما رجع باضعاف ما اتى به اولاً زادت حيرتهم، وقال الملك: ان لهذا شأنًا غريباً،

فخلا بالغلام واستخبره عن الحال، فاخبره بكل ما جرى بينه وبين عيسى (ع)، وما كان من عشقه لابنته، فعلم الملك ان الضيف هو عيسى (ع)، فقال: قل لضيفك يأتيني ويزوجك ابنتي، فحضر عيسى (ع) وزوجها منه، وبعث الملك ثياباً فاخرة الى الغلام فالبسها اياه، وجمع بينه وبين ابنته تلك الليلة، فلما اصبح طلب الغلام وكلمه فوجده عاقلاً فهماً ذكياً، ولم يكن للملك ولد غير هذه الابنة، فجعل الغلام ولي عهده، ووارث ملكه، وامر خواصه واعيان مملكته ببيعته وطاعته.

فلما كانت الليلة الثانية مات الملك فجأة، واجلسوا الغلام على سرير الملك، واطاعوه، وسلموا اليه خزائنه، فاتاه عيسى (ع) في اليوم الثالث ليودّعه، فقال الغلام: ايها الحكيم ان لك عليّ حقوقاً لا اقوم بشكر واحد منها لو بقيت ابد الدهر، ولكن عرض في قلبي البارحة امر لو لم تجبني عنه لا أنتفع بشيء مما حصلتها لي. فقال: وما هو؟

قال الغلام: انك اذا قدرت على ان تنقلني من تلك الحالة الخسيسة الى هذه الدرجة الرفيعة في يومين فلم لا تفعل هذا بنفسك، واراك في تلك الثياب، وهذه الحالة، فلما أحضى في السؤال. قال عيسى (ع): ان العالم بالله وبتدار كرامته، وثوابه، والبصير بفناء الدنيا وخستها ودناءتها، لا يرغب الى هذا الملك الزائل، وهذه الامور الفانية، وان لنا في قربه تعالى، ومعرفته ومحبته لذات روحانية، لا نعد تلك اللذات الفانية عندها شيئاً.

فلما اخبره بعيوب الدنيا وآفاتنا ونعيم الاخرة ودرجاتها، قال الغلام: فليّ عليك حجة اخرى، لم أخترت لنفسك ما هو اولي واحرى،

واوقعتني في هذه البلية الكبرى؟

فقال له عيسى (ع): انما اخترت لك ذلك لامتحنك في عقلك
وذكائك، وليكون لك الثواب في ترك هذه الامور الميسرة لك اكثر واوفى،
وتكون حجة على غيرك.

فترك الغلام الملك، ولبس أثوابه البالية، وتبع عيسى (ع) فلما رجع
عيسى الى الحواريين. قال: هذا كنزي الذي كنت أظنه في هذا البلد
فوجدته والحمد لله. (١).

وحيثما تتجلى عظمة الله في نفس الانسان وتصغر الدنيا في عينه، فان
كل مصائب الدنيا ومشاكلها تهون امامه، من هنا نرى ان الانبياء
العظام يضربون للبشرية خير الامثلة في الصبر، والاستقامة، والتحدي،
ومقاومة الضغوط والمشاكل، ذلك لانه عظم الخالق في اعينهم فصغر
مادونه في اعينهم، فالنبي ابراهيم عليه الصلاة والسلام، يستجيب لنداء
ربه، ويقدم على ذبح ابنه، ثم بعد ذلك يترك ذريته في أرض لا زرع فيها
ولا ضرع، وفي المواجهة مع الطاغوت يُرمى به في لهيب النار، فلا يتكلم
ولا حتى بكلمة واحدة، وكذلك النبي نوح الذي صبر تسعمائة وخمسين
عاماً يدعو قومه، وهكذا بالنسبة الى بقية الرسل والانبياء فمن اين حصلوا
على هذا التعالي والتكامل؟ كيف تساموا على الدنيا وما فيها؟ وكيف
استقاموا؟ ان وراءهم ينبوعاً من النور والارادة، ينبوعاً من القوة.

(١): بحار الانوار ١٤/ص ٢٨٠.

انه ينبوع الايمان بالله، فقد تجلت عظمة الله في انفسهم فهانت عليهم الدنيا. ونحن بدورنا مدعوون لكي نعمق هذا الايمان الى درجة الاستهانة لكل الصعاب والمشاكل. ان الايمان العميق هو الذي يمنح الانسان قدرة فائقة على الصمود في سجون الطغاة ومقاومة فريدة لكل اساليب التعذيب. والايمان هو الذي يجعل المؤمن المجاهد يستقبل حكم الاعداء بابتسامة عريضة، لان المشنقة سوف تعرج به الى الله سبحانه وتعالى.

ان الايمان بالله وعظمته لا يجعلنا نفقد توازننا واستقامتنا في لحظات المواجهة الحاسمة مع الحياة.

والفقرة التالية من الدعاء تشير الى هذه الفكرة: (الحمد لله الذي ليس له منازع يعادله ولا شبيهه يشاكلة)، فليس هناك من ينازع الله، ويكون عدلا له، ولا شبيهه يشبه ربنا (ولاظهر يعاضده) ثم يقول الدعاء: (قهر بعزته الاعزاء) فكل الاعزاء اذلة ومقهورون لجبار السموات والارض، (وتواضع لعظمته العظماء، فبلغ بقدرته ما يشاء)، ان قدرة الله تعالى لا متناهية، وهي تحيط بكل شيء، وبكل ما يشاء ربنا العزيز القدير.

٦ - حاجة الانسان الى الله

[.. الحمدُ لله الذي يُجيبني حين أناديه، ويسرُّ عليَّ كلَّ عورةٍ وأنا أعصيه، وَيُعْظِمُ النعمةَ عليَّ فلا اجازيه، فكم من موهبةٍ هنيئةٍ قد أعطاني، وعظيمةٍ مخوفةٍ قد كفاني، وبهجةٍ موقنةٍ قد أراني، فأنتني عليه حامداً، وأذكُّره مُسَبِّحاً، الحمدُ لله الذي لا يُهتِكُ حجابُه، ولا يُغلقُ بابُه، ولا يُردُّ سائلَه، ولا يُخيِّبُ آملَه...]

يتجلى ذكر الله سبحانه وتعالى، عندما يذكر الانسان اسماءه الحسنی، و يذکر نفسه في ذات الوقت باضطراره وضعفه وحاجته الى الله سبحانه، فلو استطاع الانسان ان يعرف نفسه، وان يصل بمعرفته لنفسه درجة يعلم بها ان كلما اصابه من خير فهو من الله، وما اصابه من شر فهو من نفسه، و يعلم بها ان طبيعته مرتكزة في وحل الضعف والعدم والعجز والعجل، لو وصل الانسان الى هذا المستوى من المعرفة، لوصل الى قمة العبودية وذروة الطاعة له، فالله سبحانه وتعالى يريد ان يعرفك نفسك من

خلال اعمالك الصالحة، واذا عرفت نفسك معرفة حقيقية فانك تستطيع ان تعرف ربك ايضاً:

(من عرف نفسه فقد عرف ربه)

وبالطبع ليست العملية بهذه السهولة - كما قد يتصور بعض الناس - اذ ان وصول الانسان الى هذا المستوى من المعرفة بحاجة الى عمل كثير ومركز ومستمر. كيف؟

نستطيع تحديد الاجابة من خلال ما جاء في بعض الاحاديث من: ان الارواح خلقت قبل الاجسام بألفي عام، وانها كانت موجودة في عالم الاشباح وهذا العالم يختلف عن عالم الذر، ثم انتقلت الى عالم الذر، ومن عالم الذر الى عالم النسل ومن عالم النسل الى البرزخ، ومن البرزخ الى يوم القيامة، ومن يوم القيامة الى المصير النهائي، اما الى الجنة او الى النار.

عن علي بن احمد، عن محمد بن ابي عبد الله، عن محمد بن اسماعيل البرمكي عن جعفر بن سليمان، عن ابي ايوب الخزاز، عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال: قلت لابي عبد الله (عليه السلام): لاي علة جعل الله عزوجل الارواح في الابدان بعد كونها في ملكوته الاعلى في ارفع محل؟ فقال (عليه السلام): (إن الله تبارك وتعالى علم ان الارواح في شرفها وعلوها متى ما تركت على حالها نزع اكثرها الى دعوى الربوبية دونه عزوجل فجعلها بقدرته في الابدان التي قدرها في ابتداء التقدير نظراً

لها ورحمة بها، واحوج بعضها الى بعض، وعلق بعضها على بعض، ورفع بعضها على بعض، ورفع بعضها فوق بعض درجات، وكفى بعضها ببعض، وبعث اليهم رسله، واتخذ عليهم حججه مبشرين ومنذرين، يأمرون بتعاطي العبودية والتواضع لمعبودهم بالأنواع التي تعبدهم بها، ونصب لهم عقوبات في العاجل وعقوبات في الاجل، ومثوبات في العاجل ومثوبات في الآجل ليرغبهم بذلك في الخير ويزهدهم في الشر، وليذنبهم بطلب المعاش والمكاسب، فيعلموا بذلك انهم بها مربوبون وعباد مخلوقون، ويقبلوا على عبادته فيستحقوا بذلك نعيم الابد وجنة الخلد، ويامنوا من النزوع الى ما ليس لهم بحق.

ثم قال (عليه السلام): يا ابن الفضل! ان الله تبارك وتعالى أحسن نظراً لعباده منهم لانفسهم، الا ترى انهم لا ترى فيهم الا محباً للعلو على غيره حتى أنه يكون منهم لمن قد نزع الى دعوى الربوبية، ومنهم من نزع الى دعوى النبوة بغير حقها، ومنهم من نزع الى دعوى الامامة بغير حقها، وذلك مع ما يرون في انفسهم من النقص والعجز والضعف والمهانة والحاجة والفقر والآلام والمناوبة عليهم والموت الغالب لهم والقاهر لجميعهم—يا ابن الفضل ان الله تبارك وتعالى لا يفعل بعباده الا الاصلح لهم، ولا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم يظلمون). (١)

والتأكيد على قراءة الادعية الماثورة انما هو من اجل ان تتحول روح

(١): بحار الأنوار- ج ٥٨/ ص ١٣٣.

الاستقلال، والشعور بالاستغناء والطغيان، الى روح العبودية والذلة والاحساس بالحاجة الى الله سبحانه وتعالى، ولا شك ان العبودية والذلة لله سبحانه، تختلف عنها امام الخلق، فالعبودية لله عزّ، والذل امام الله سبحانه وتعالى فخر، واستعطاء الله غنى، لذلك نقرأ في هذه المقطوعة من دعاء الافتتاح:

[الحمد لله الذي يجيبني حين اناديه]

فانا ضعيف امام الله، واحتاج اليه في كل شؤوني، وحينما اناديه القاه مجيباً (ويستر عليّ كل عورة وانا اعصيه)، فكل انسان لا يخلو من عورة وعيب، وافتضح الناس امام بعضهم البعض في الدنيا يعني عجز الانسان عن التعامل مع الاخرين، ولذلك كان الانسان بحاجة الى ان يستر الله عيوبه في الدنيا والاخرة، الا اننا احوج الى ستر الله في الاخرة منا الى ستره في الدنيا. اذ ان افتضح عيوب الانسان وتعريته في الدنيا لايتعدى الدائرة الاجتماعية الضيقة التي يعيش فيها الفرد، وهي عبارة عن عدد محدود من الافراد بينما في يوم القيامة حيث يقف الواحد منا مع مئات المليارات من البشر، امام الله سبحانه وتعالى، فان افتضح الانسان وتعريته امام هذا العدد الهائل من الناس لامر صعب وشاق للغاية.

اذن، فنحن نحمد الله على انه يستر عوراتنا، وحمد الله يجب ان يتجسد في الكف عن معصية الله: (ويستر عليّ كل عورة وأنا اعصيه)

فستر الله تعالى على الانسان يجب ان يتحول الى رادع عن المعصية، وليس دافعاً، للتوغل في الذنوب، واذا لم يكن للانسان ايمان راسخ يمنعه عن المعصية، فلا بد ان يتمتع -على الاقل- بالحياء من الله الذي يستر العيوب، والعورات عن الخلائق.

[ويعظم النعمة عليّ فلا اجازيه]

فالله تعالى يبارك لنا في حياتنا، بل كل جزء من حياتنا هو نعمة عظيمة من الله، الزوجة والاولاد نعم من الله، والعزة والحرية والقدرة هي الاخرى نعم من الله، الا اننا بازاء كل نعم الله العظيمة لا نجازيه، بل نواصل العيش غافلين عن كل ذلك: (ويعظم النعمة عليّ فلا اجازيه.. فكم من موهبة هنيئة قد اعطاني وعظيمة مخوفة قد كفاني).

ان مواهب الله غالباً ما تكون واضحة يعرفها الانسان ويلمسها في حياته، وحياناً يشكر الله عليها، الا ان لطف الله الخفي هو ما يدفعه الله عن الانسان من عظام الامور والاحطار، فالانسان معرض في اية لحظة لمئات الاحطار والمشاكل: للمرض، والفقر، والهزيمة، والموت. والله تعالى هو الذي يدفع كل ذلك عن الانسان.

* له معقبات من بين يديه ومن خلفه
يحفظونه من امر الله *

(١١/الرعد)

فلكل انسان عدد من الملائكة الذين وكلهم الله به، وهم بمثابة

الحراس الذين يحفظونه من التعرض للاخطار، ولو عاد كل واحد منا الى نفسه لتذكر عشرات الموارد التي كاد يتعرض فيها لاخطار جسيمة، الا ان يداً غيبية كانت تنقذه، وتدفعه بعيداً عن ذلك.

يقول الطب الحديث ان السبب الظاهر لمرض السرطان هو وجود خلية فاسدة في اي منطقة من مناطق الجسم، تقوم هذه الخلية بتوليد المثل فتحول كل الخلايا المجاورة لها الى خلايا فاسدة ايضاً، وحينذاك تتسع الرقعة لتشمل مساحة كبيرة من الجسم يستحيل علاجها على الطب.

ويضيف الطب الحديث: ان هذه الخلية الفاسدة هي موجودة في كل جسم منذ الولادة، الا انها غير نشطة لاسباب غير معروفة طبياً، ويحدث احياناً وفي بعض الاجسام -ولاسباب غير معروفة ايضاً- ان تنشط وتتحرك هذه الخلية الفاسدة وتقوم بافساد اكبر قدر ممكن من الخلايا المجاورة شيئاً فشيئاً.

اذن، فكل واحد منا مهدد بالاصابة بهذا المرض الخطير، وكل لحظة من حياتنا يمكن ان تتحول الى لحظة النهاية والموت بالسرطان، لكن الله سبحانه وتعالى يبعد كل هذه التهديدات وهذه المخاطر عنا، هل نحن نشكره؟ كلا..

(فكم من موهبة هنيئة قد اعطاني، وعظيمة مخوفة قد كفاني، وبهجة موقنة قد اراني)، ان كل ما في الحياة من جمال وروعة يعطيه الله لنا، وهو دليل اخر على ضعفنا وحاجتنا الى رحمته وفضله، ولكن كيف؟

: احياناً حينما تكون في الصحراء قد ضقت ذرعاً بالظلام والبرد والوحشة فتري الصبح بتألقه وضيائه يقدم عليك فينفتح قلبك، وتنشرح نفسك، وتجدد آمالك، هذه هي البهجة المونقة، والروعة والجمال، وحياناً تكون جالساً عصرأً في جو حار وخانق ومزعج، وفجأة ترى السماء قد امتلأت سحاباً وامطرت مطراً حسناً، والجو أخذ في البرد، فتنتعش وتغمرك بهجة مونقة.

إذن، فهناك لحظات البهجة والسرور يغمر الله الانسان بها ليشعر انه بحاجة الى الله دائماً وابدأ.. (وبهجة مونقة قد اراني، فاثني عليه حامداً، واذكره مسبحاً..).

فمن جهة اثني على الله أي أذكره بالخير، وأحمده، وفي نفس الوقت اجري ذكر الله على لساني واسبحه وانزهه عن ان يشبه المخلوقين: (الحمد لله الذي لا يُهتك حجابهُ)، هل استطاع احد ان يصل الى الله سبحانه وتعالى؟ فحجابه لا يهتك، وهو مستور في سرادقات عرشه وبعزة مجده (ولا يُغلق بابهُ)، ابواب الناس تغلق في الليل، حتى اكثر الحكومات عدالة تغلق مكاتبها في فترات معينة من اليوم الا ان ابواب الله تبقى مفتوحة في اي وقت من الاوقات، يستطيع الانسان ان يطرقها في اية لحظة يحتاج فيها الى ربه: (ولا يغلق بابهُ، ولا يرد سائله) وحينما يطرق الانسان باب ربه فانه لا بد ان يجد الاجابة الملائمة، فالله لا يرد من يسأله و يدعوه (ولا يخيب آمله)، لا يحتاج الانسان ان يسأل ربه، بل يكفي ان تأمل ربك في قلبك، حتى تجد الله عند قلبك المنكسر، فالله يستحيل ان يخيب آمله، الا

ان الشرط هو ان لا نخادع انفسنا، وان يكون أملنا في الله وحده، لا
نشرك به أحداً.

٧- الاعتماد على الله

[الحمد لله الذي يؤمن الخائفين، وينجي الصالحين، ويرفع المستضعفين، ويضع المستكبرين، ويهلك ملوكاً ويستخلف آخرين، والحمد لله قاصم الجبارين، مبير الظالمين، مدرك الهارين، نكال الظالمين، صريخ المستصرخين، موضع حاجات الطالبين، معتمد المؤمنين، الحمد لله الذي من خشيته ترعد السماء وسكاتها، وترجف الارض وعمارها، وتموج البحار، ومن يسبح في عمراتها. الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله الذي يخلق ولم يخلق، ويرزق ولا يرزق، ويظعم ولا يظعم، ويميت الاحياء، ويحيي الموتى، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير..]

تعالج الادعية الماثورة واقعا نفسياً للانسان ينعكس في تصرفاته الاجتماعية، وعندما نتأمل في فقرة من فقرات الدعاء لابد ان نتساءل: اي واقع تعالجه هذه الفقرة؟ واي انحراف تصححه؟ واي ضعف يسعى

الدعاء من اجل ان يجبره؟ واي عجز يسعى من اجل أن يقيمه؟

وبتعبير اخر: ما هو الهدف المباشر وراء هذه الكلمة او تلك من
الدعاء؟

وحيثما نتعمق في كل ذلك فانه ينفعنا اولاً في معرفة نواحي الضعف
في انفسنا، وثانياً في معرفة كيفية معالجة هذه النواحي عبر الدعاء وعبر ما
يثيره في انفسنا من احساسات، وما يعلمنا من دروس.

وفي حالة التأمل في كلمة من كلمات الدعاء، يجب ان لا تقتصر على
فهم الدعاء فحسب، وانما علينا ان نصل الى تلك الطريقة التي اتبعها
الدعاء من اجل معالجة هذه الناحية من النقص في انفسنا، واذا وصلنا
الى تلك الطريقة فيمكن ان نستفيد منها ولو بصورة غير صورة الدعاء.

فمثلاً علينا ان نسأل: من اجل ماذا تسعى هذه الفقرة من الدعاء؟

الجواب: انها تجبر ضعفاً موجوداً في واقع النفس البشرية، انه ضعف
الانسان امام الطبيعة وخوفه منها، ضعف الانسان امام المجتمع وخشيته
منه، ضعف الانسان امام السلطات التي تمثل القوى الاجتماعية وخوفه
منها، هذا الضعف لا بد أن يجبر لكي يتكامل الانسان، فالانسان
الخائف الذي يخشى الطبيعة، او المجتمع، او السلطة الفاسدة الحاكمة، لا
يكون انساناً متكامللاً ولا مستقلاً، بل اكاد اقول ولا انساناً مؤمناً، لان
المؤمن لا يكون جباناً، ان المؤمن الذي يترك دينه خوفاً من الناس وخوفاً

من المجتمع وخوفاً من الطبيعة، ماذا ينفعه ايمانه؟ الايمان هو سلاح الانسان ضد الطبيعة، والحصن الذي يحافظ على استقلال المؤمن، فاذا كان هذا الحصن مخترقاً، فكيف ينفع الانسان؟ ماذا ينفع الايمان الذي لا يحصن استقلالك؟ انه يشبه الدواء الذي لا ينفعك في حالة المرض، واما يفيدك فقط حينما تكون متمتعاً بكامل صحتك.. فما هي فائدة هذا الدواء اذن؟

الايمان هو حصن المؤمن وسلاحه، والانسان يستخدم سلاحه ضد عدوه، وضد كل ما يخاف منه، والانسان بطبيعته وفطرته يخشى الطبيعة، يخشى الظلام، والهوام والدواب، يخشى الظواهر الطبيعية كالرعد والبرق والرياح، ومن هنا نشأت عبادة البشر- عبر التاريخ- للظواهر الطبيعية، اذ انهم كانوا يخشونها فيتحولون الى عبادتها، ولذلك كان كل مجتمع يعبد الظاهرة الطبيعية التي يعايشها ويخاف منها، فمنهم من يعبد الرعد، والبرق، والسحاب، ومنهم من يعبد البحر اذا كان يعيش على سواحل البحار، وهناك من يعبد النهر لانه يسكن على شاطئه، وهكذا نجد الاقباط السابقين في مصر كانوا يعبدون النيل لانهم كانوا يعيشون على ضفافه وكانوا يطعمونه كل عام واحدة من أجمل فتياتهم.

ولهذا السبب كان جماعة من الناس يعبدون رؤساء العشائر رموز القوة الاجتماعية، وكانت الاصنام عادة رموزاً لقوى اجتماعية معينة.

كل ذلك لان في طبيعة الانسان تكمن حالة الانسحاب والتبعية،

حالة الذل التي تجعله يعبد ما يخشاه ويخافه .

وهذه الفقرة من الدعاء تجبر هذا الضعف البشري، اذ تقول للانسان بانك قوي حتى ولو لم تملك السلاح، والقوة المادية، اذ انك تملك التوكل على الله والاعتماد عليه، تملك سلاحاً امضى من اي سلاح، وهو سلاح الدعاء، فعندما تدخل على حاكم فاسد جبار، اقرأ هذا الدعاء لكي تغمر قلبك قوة في المواجهة، وعندما تواجه انحرافاً اجتماعياً، فقرأ هذا الدعاء حتى يمنحك القدرة على مقاومته وتصحيحه .

اذن، فان كل دعاء يعالج واقعاً نفسياً، وضعفاً قائماً في النفس البشرية، وعند التدبر في الدعاء يجب ان نحاول اكتشاف الاهداف المباشرة من وراء كل فقرة، وكلمة، على هذا الاساس نواصل التدبر في هذه الفقرة من دعاء الافتتاح:

[الحمد لله الذي يؤمن الخائفين ..]

الخوف هو الوتر الحساس في حياة الانسان، والذي تؤكد عليه هذه الفقرة من الدعاء في بدايتها، فالذي يخاف ويرتجف من السلطان الجائر، كيف يستطيع مقاومته، والذي يخاف الطبيعة ومظاهرها، كيف يمكنه تسخيرها والاستفادة منها.. اذن باي حبل يستطيع هذا الخائف ان يعتصم حتى يطمئن قلبه، وتسكن نفسه؟ الجواب: بحبل الله الذي يؤمن الخائفين، والمؤمن هو من اسماء الله الحسنى (وينجي الصالحين)، اذا كانت اعمالك صالحة فلا تخشى احداً او شيئاً لان الله تعالى سوف

ينجيك وينقذك اذا واجهت اية مصاعب، (ويرفع المستضعفين)، واذا استضعفك الاخرون.. سلبوا قدراتك واستثمروك اقتصادياً واعلامياً، واغلقوا في وجهك مسارب الحياة والتقدم فان هناك رب العزة الذي يرفع المستضعفين وياخذ بايديهم الى ساحل النجاة والحياة الحرة الكريمة، ولكن بشرط واحد هو ان تبقى في نفس المستضعف شعلة الامل متوهجة، وان لا ينتهي الى اليأس والقنوط والاستسلام للواقع الفاسد.

(ويضع المستكبرين)، لا يمكن ان يستمر الطغاة والمستكبرون في تسلطهم الظالم على الشعوب المستضعفة، ان هذا لا يتفق مع سنن الله في الحياة، فلا بد ان يُدحر الله كل المستكبرين والطواغيت، وان يرفع في مكانهم الذين استضعفوا ويجعلهم ائمة.

(ويهلك ملوكاً ويستخلف آخرين)، ان هؤلاء الملوك، والطغاة، والجبابرة الذين يمسكون بين اصابعهم مصائر الشعوب، ويتلاعبون بمقدرات الامم المستضعفة، لا يشكلون قوة حقيقية في الحياة، فالله القاهر يهلك الملوك ويقضي على الطغاة ويستخلف مكانهم آخرين.

(والحمد لله قاصم الجبارين)، الذين يتجبرون في الارض ومحسبون انفسهم انصاف آلهة ويزرعون الخوف والهلع في قلوب الجماهير ويعيثون في الارض فساداً سوف يقصم الله ظهورهم (قاصم الجبارين مبير الظالمين)، أما الظالمون الذين يظلمون الناس فان الله يهلكهم عن اخرهم ويبيدهم اباداة تامة، وما أكثر عبر الحياة في هذا المجال، فاين هؤلاء الذين كانوا يظلمون الناس في هذه البلاد (ايران)؟

لقد ابادهم الله، وشتت شملهم في آفاق الارض، (مدرك الهاربين)، وهل يستطيع الظالم ان يهرب؟ اجل، قد يهرب من ايدي المظلومين، الا انه لا يستطيع الهرب من الله القاهر الجبار، فالله مدركه اينما يولي وجهه، فهو (مدرك الهاربين نكال الظالمين)، سوف يعذبهم عذاباً شديداً، (صرخ المستصرخين)، ذلك الذي يستصرخ ربه، ويدعوه الى اغاثته، فان الله صريخه، اي يجيبه ويكون عند استغاثته. (موضع حاجات الطالبين)، الذين يطلبون من الله حاجاتهم مهما تكن كثيرة، فان الله موضع حاجاتهم يستجيب لهم، فان الآمال والطموحات الكبيرة لا تتحقق الا بالله، (معتمد المؤمنين)، أما المؤمنون فانهم يعتمدون على الله سبحانه وتعالى ويتوكلون عليه، هذا بالنسبة الى الطغاة والقوى الاجتماعية.

اما في مجال القوى الطبيعية، فيقول الدعاء:

(الحمد لله الذي من خشيته ترعد السماء وسكانها)، الانسان يخشى السماء وما فيها من رعود وبروق، ويرجو رحمة الله من السماء ايضاً، الا ان الحقيقة هي غير ذلك، فالسما لا تشكل خطراً يُخاف منه، اذ ان السماء وسكانها ترعد من خشية الله سبحانه وتعالى فلماذا نخشى الطبيعة اذن؟

(الحمد لله الذي من خشيته ترعد السماء وسكانها، وترجف الارض وعمارها)، فالارض والذين يعمرون الارض ويحيونها يرتجفون خوفاً من الله وخشيته (وتحج البحار ومن يسبح في غمراتها)، هذه الحيوانات البحرية الهائلة، التي يزن بعضها (١٠٠) طن، ويصل طول بعضها ثلاثين متراً، كل هذه ترعد

فرقاً وخشية من رب العالمين..

اذن، يجب ان لا يخشى الانسان المؤمن الظواهر الطبيعية.. ان لا يخاف السماء والارض والبحار، فكل هذه مخلوقات لله ومسخرات بأمره.

والآن، ما دمنا قد وصلنا الى هذه المرحلة واكتشفنا بان الملوك، والجبابرة والظالمين والمستكبرين لا يشكلون اية قوة بازاء الله رب العالمين، وانه سوف يبيدهم عن آخرهم، وان السماء والارض والبحار وكل ظواهر الطبيعة ليست عدوة الانسان حتى يخاف منها ويخشها، بل هي كلها ترتعد وترتجف امام ملكوت الله، علينا اذن ان نحمد الله على هدايته ايانا الى هذه الحقيقة الايمانية.. لقد كنا سابقاً نخشى مخلوقات الله فنعبدها من دونه، ولكن الله هदानا الى الصراط السوي.

(الحمد لله الذي هदानا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا ان هदानا الله)، فالله تعالى هو الذي يعرّف نفسه بنفسه، ولولا هداية الله للانسان لظلّ سادراً في غوايته، والانسان هو المخلوق العاجز الضعيف الذي يحتاج الله في كل شيء، والله هو الغني القيوم، هو الذي يخلق الاشياء، ولا يخلقه شيء، ويرزق الانسان ولا يحتاج الى رزق احد، ويؤطعم البشر ولا حاجة له الى الطعام.. بيده الموت والحياة والنشور.. بل هو القادر على كل شيء ولا يعجزه امر:

[.. الحمد لله الذي يخلق ولم يخلق، ويرزق ولا يرزق، ويؤطعم ولا يؤطعم، ويؤميت الاحياء، ويحي الموتى، وهو حي لا يموت.. بيده الخير وهو على كل شيء قدير..]

٨ - معرفة الرسول

[... اللهم صلّ على محمدٍ عبدك، ورسولك، وأمّينك، وصبّيك، وحبّيك، وخيرتك من خلقك، وحافظِ سرّك، ومبّليغِ رسالتك، أفضل وأحسن وأجمل وأكمل وأزكى وأنمى وأطيب وأظهر وأسنى وأكثر ما صلّيت وباركت وترحمّت وتحنّنت وسلّمت على احدٍ من عبادك وانبيائك ورُسلك وصبّوتك، وأهل الكرامةِ عليك من خلقك...]

كانت الفقرات السابقة من دعاء الافتتاح تركز- في الغالب- على المفردة الاولى من مفردات الدعاء، وهو: ذكر الله سبحانه وتعالى، والتدلل له في مقام العبودية، اما الفقرات التالية فانها تدعو الى ترسيخ العقائد الاسلامية، ومن ابرز هذه العقائد بعد ذكر الله وبعد الايمان به ومعرفته، هو معرفة الرسول (ص) ومعرفة الائمة الهداة من آل بيته (ع)، وبالطبع لا تكفي هنا المعرفة الفوقية التي نسميها بالاسلام، بل لابد ان تتحول هذه المعرفة الى معرفة راسخة في قلب الانسان، تنعكس على

اعماله وتصرفاته، وبالذات فيما يخص اولياء الله من الانبياء والصديقين
والصالحين، اذ يجب ان تتحول المعرفة الى حب، والى نوع من الانسجام
النفسي يجعل الانسان يتبعهم دون صعوبة، يقول الدعاء:

[اللهم صَلِّ على محمد عبدك
ورسولك وأمينك، وصفيك وحبيبك،
وخيرتك من خلقك، وحافظ شرك
ومبلغ رسالاتك افضل واحسن واجمل
واكمل وازكى وانمى واطيب واطهر
واسنى واكثر ما صليت وباركت
وترحمت وتحننت وسلمت على احد من
عبادك وانبيائك ورسلك وصفوتك
واهل الكرامة عليك من خلقك]

تحتوي هذه الفقرة على عدة مفردات ابرزها الصلاة على النبي، ثم
الصلاة من طرف خفي على الصديقين والانبياء والصالحين والسابقين
على النبي، ومن ثم تحديد صفات النبي (ص). والان لتأمل في كل فقرة
من الفقرات، وفي البدء نسأل: ماذا تعني الصلاة على النبي؟ ولماذا نحن
معنيون بهذه الصلاة ونؤكد لها ونقدمها بين يدي دعواتنا الى الله سبحانه
وتعالى. لماذا؟

ان فلسفة الصلاة على النبي تتحدد من خلال النقاط الثلاث التالية:

النقطة الاولى: تحديد العلاقة بيننا وبين الرسول، وهي علاقة الحب

والعطاء، لقد بذل الرسول (ص) مجهوداً ضخماً لتبليغ الرسالة الاسلامية، وتحمل المسؤوليات الجسام في هذا السبيل، وقد هدانا الله بسببه، فما هو عطاؤنا للرسول؟

نحن لا نملك شيئاً نعطيه لرسول الله (ص)، وهو الاخر لا يطلب منا اجراً، ان نهاية الاعتراف بالشكر للرسول (ص) تكمن في الصلاة عليه، في ان ندعو الله ليجزيه خير الجزاء.

إن شكرنا لخدمات رسول الله وجهوده ومسايعه (ص) من اجل انقاذنا وانقاذ البشرية من ظلمات الجهل والجهالة والشرك، هو ان ندعو الله بان يجزيه اجراً حسناً.

النقطة الثانية: تحديد العلاقة بين الله والرسول (ص) وهي الاخرى علاقة العطاء، فليس رسول الله ابناً لله سبحانه وتعالى، ولا هو غني عن رب العالمين، بل العكس تماماً، انه عبد ومحتاج الى الله، وهذه العلاقة هي العلاقة بين رسول الله وبين رب العالمين، لذلك فاننا نطلب من الله ان يعطي للرسول، وهذا لا يكون الا بسبب حاجة الرسول الى رحمة الله سبحانه وفضله وعطائه.

النقطة الثالثة: كما سبق وان قلنا اذا دعا الانسان بلسان غيره فسوف يُستجاب دعاؤه، فدعاؤك لي مستجاب، ودعائي لك مستجاب ايضاً، وبما اننا قد اذنبنا، فاننا لا نملك وجوهاً كريمة امام الله، وان ذنوبنا تحول بيننا وبين الله، لذلك فاننا ندعو لرسول الله ونصلي عليه، وهو (ص)

يدعولنا، ودعاء الرسول شفاعته:

*ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم
جاءوك فاستغفروا الله، واستغفر لهم
الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً*
(٦٤/النساء)

لو ان الرسول يدعولنا ويشفع لنا فان دعائه مستجاب، وهذا لا يعني ان دعاء الرسول او استغفاره لقومه يحتم على الله شيئاً، ولكن يعني ان وجه الرسول كريم عند الله ونحن نقدم هذا الوجه بين يدي حاجاتنا ونتوسل الى ربنا فيستجيب الله سبحانه.

أما المفردة الاخرى في هذه الفقرة من الدعاء، فهي بيان مواصفات الرسول (ص) وابرزها ما يلي:

— (إنه عبد الله) اننا نقول عادة اشهد ان محمداً عبده ورسوله، وهذا يعني اننا نقدم صفة العبودية على صفة الرسالة، والسبب في ذلك هو اننا نريد أن ننفي عن انفسنا غبار الشرك، لان الانسان حينما يعظم احداً في نفسه، يقع فريسة لوساوس الشيطان التي تدعوه الى اشراكه في عبادة الله، لذلك فاننا نؤكد على ان رسول الله (ص) بالرغم من عظمته وشرف مقامه، الا انه بالتالي عبد لله سبحانه وتعالى، وهذا امر ضروري للغاية، لان كثيراً من الناس حينما يحبون احداً، يدفعهم حبهم لكي

يرفعوا المحبوب الى مستوى الالوهية وهذا خطير جداً، اذ ان رفع الاولياء او الانبياء والصالحين الى مستوى الالوهية يضع حجاباً بين الانسان وبين الاقتداء بسيرة صاحب الشأن.

—: (ورسولك وامينك)، انه حمل رسالة الله الينا، وكان اميناً في رسالته لم يغير ولم يبدل، ان ايماننا بامانة رسول الله يجعلنا نعتقد بان اي مخالفة صغيرة او كبيرة لرسول الله تعني مخالفة لله سبحانه وتعالى:

* وما آتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا *

(٧/الحشر)

—: (وصفيك)، ان الله تعالى اصطفى الرسول من بين خلقه، اي انه لو كان في عصر الرسول من هو اكثر جدارة بحمل الرسالة لكان الله يجعل رسالته في ذلك الانسان، اذن اختيار الله للرسول انما كان بسبب انه كامل الشخصية، وليس عبثاً ومن دون حكمة.

—: (وحبيبك) والرسول هو حبيب الله، يحبه الله وهو يحب الله، ونحن نحب الرسول، وفي مهرجان الحب يشترك الجميع، فيرتفعون الى مستوى التفاعل والانسجام.

—: (وخيرتك من خلقك)، اي الذي اخترته من خلقك وهذا المعنى قريب من معنى (صفيك).

—: (وحافظ سرڪ)، فلهه تعالىٰ سر مستودع عند رسوله، وهذا السر ينتقل عبر اولياء الله، اذن، هنالك اشياء لم نعلمها، وهي مفهومة للقيادة المعصومة.

ان عقولنا مهما سمت فهي لا تصل الى مستوى عقول القيادة.

—: (ومبلغ رسالاتك)، تبليغ الرسالة ليس عملاً سهلاً لان تبليغ الرسالة يعني ان الانسان يتجرد عن كل شيء:

* يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك
من ربك وان لم تفعل فما بلغت
رسالته والله يعصمك من الناس *
(٦٧/المائدة)

أما المفردة الثالثة وهي طبيعة الصلاة، فالدعاء يصف الصلاة على النبي بـ(أفضل واحسن واجمل واكمل وازكى وانمي واطيب واطهر واسنى...)

فماذا تعني هذه الكلمات؟

الجواب: ان الصلاة تعني رحمة الله سبحانه وتعالىٰ لعباده، وهي ليست بشكل واحد ولا بدرجة واحدة، ولا تاتي في ظرف واحد، ان رحمة الله مختلفة درجاتٍ وأوقاتٍ وألواناً، ونحن نطلب لرسول الله أفضلها واحسنها واجملها، واكملها وازكاها.. والتعابير هذه تدل على نوع الرحمة

التي نطلبها لرسول الله (ص).

ثم ان الصلاة على النبي (ص) لا تعني منع الصلاة على عباد الله الصالحين. ان رحمة الله واسعة تشمل الرسول وغير الرسول، لذلك يقول الدعاء: (... وأكثر ماصليت وباركت وترحمت وتمننت وسلمت على احد من عبادك وانبيائك ورسلك وصفوتك واهل الكرامة عليك من خلقك)، هذه الصلاة هي من طرف خفي، وبصورة غير مباشرة لانبياء الله والصالحين من عباده وصفوته واهل الكرامة عليه.

وهنا يجب ان نشير الى اننا - بالرغم من صلاتنا على الرسول - الا اننا مقصرون بازائه، ذلك لان المطلوب منا هو ان نعرف سيرته وآدابه، واخلاقه الحسنة، ثم نقتدي به عملياً في حياتنا اليومية، الا اننا نرى الاكثرية الساحقة من المسلمين لا يعرفون سيرة الرسول، ولا يقرأون كتاباً واحداً حول الرسول طيلة حياتهم، فكيف يواجهون غداً رسول الله (ص)؟

ان من ابسط حقوق الرسول علينا هو ان نقرأ سيرته ونتمعق في حياته ثم نطبق كل ذلك في سلوكنا بشكل كامل.

٩- معرفة الوصي

بسم الله الرحمن الرحيم

[... اللهم وصلِّ علىٰ عليٰ امير المؤمنين، ووصي رسول رب العالمين،
عَبْدِكَ وَوَلِيِّكَ، وَأَخِي رَسُولِكَ، وَحُجَّتِكَ عَلَىٰ خَلْقِكَ، وَأَيَّتِكَ الْكُبْرَى، وَالتَّبَأِ
العظيم...]

بعد الصلاة على الرسول، ينتقل الدعاء للصلاة على وصيه وخليفته
من بعده وهو الامام علي ابن ابي طالب..

ان في صلاتنا ودعائنا للامام علي نفس الفوائد ونفس المفردات التي
ذكرناها في الصلاة على النبي محمد (ص)، ونحن ايضاً لا نستطيع ان
نقدم للامام علي (ع) الذي غير مسار التاريخ والذي اعطانا نموذجاً
للحكومة الاسلامية، والذي لم يدع طاقة ولا قوة يمتلكها الا بذلها في
سبيل الله، نحن لا نمك ان نقدم له شكراً او اجراً وانما فقط نستطيع ان
نصلي عليه وندعو الله لكي يؤتته اجره، ويرضيه عنا بما شاء سبحانه

وتعالى (اللهم وصل على علي أمير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين عبدك
ووليک واخي رسولک)، كما في الرسول كذلك في الامام، يجب ان لا
يدفعنا تعظيمنا له وحبنا اياه، الى تأليهه، والغلو فيه، فهو عبد الله وولي
من اوليائه الصالحين، واخو رسول الله، وحنة الله على خلقه:

[وحنك على خلقك وآيتك الكبرى]

في هذه الفقرات تستوقفنا كلمة (آيتك الكبرى)، فكيف يكون الامام
علي عليه الصلاة والسلام الاية الكبرى لرب العالمين؟

قبل ان نجيب عن هذا السؤال لابد ان نشير الى حقيقة ان كل شيء
في الكون هو آية لله سبحانه وتعالى:

[وفي كل شيء له آية تدلّ على انه واحد]

وتفاضل آيات الله سبحانه وتعالى، ليس بالنسبة الى الله، لان الله
عز وجل يخلق الكون من دون ان يتعب او يمسه لغوب، انما اذا اراد شيئاً
يقول له: (كن) فيكون، وخلقه لملايين المجرات لا يختلف عن خلقه
للبعوضة الصغيرة، وانما تختلف الايات بالتفاضل فيما بينها، وبما اعطاها
الله سبحانه وتعالى من قدرات. ومن آيات الله التي نعرفها وهي قريبة
منا الملائكة الذين يعتبرون من أعظم آيات الله سبحانه وتعالى، لان
ملائكة الله هم الموكلون بالكون، فيهم حملة عرش الله وملائكة السماء
وملائكة الارض والبحار، والرياح، والجبال، وكل هذه تستجيب لامر
الله عبر ملائكته الموكلين بها، واذا عدنا الى سورة البقرة نجد ان الله

سبحانه وتعالى امر جميع ملائكته بالسجود لآدم ابي البشر!

لماذا؟ لان آدم هو خليفة الله، وهو مستودع روح الله سبحانه:

* فاذا سويته ونفخت فيه من روحي

فقعوا له ساجدين *

(الحج/٢٩)

ذلك الروح الذي يقول عنه ربنا في آية اخرى.

* ويسألونك عن الروح قل الروح من

امر ربي وما أوتيتم من العلم الا

قليلاً *

(الاسراء/٨٥)

و يقول سبحانه وتعالى عنه ايضاً:

* ليلة القدر خير من الف شهر* تنزل

الملائكة والروح فيها باذن ربهم من

كل امر* سلام هي حتى مطلع

الفجر*

(٣-٥/القدر)

ان هذا الروح الذي نفخ الله منه في آدم هو من أهم خلق الله، يؤيد به الله عباده المكرمين، لذلك امر الله كل ملائكته فيما بينهم حملة عرشه، والكروبين، وملائكة السموات والارض، وملائكة المجرات المختلفة كلها، ان يسجدوا لآدم.. لماذا؟ لان آدم فيه الروح! اذن، فان آدم الذي

استوعب الروح ونفخ الله فيه من روحه اصبح افضل كل الخلق.

واذا كان افضل الخلق، فهو آية كبرى بالنسبة الى الآيات الاخرى!
فالسما والارض والجبال والمجرات كلها آيات الله، ولكن آدم آية
كبرى، لان السماء والارض والجبال والبحار والانهار وكل المخلوقات
الاخرى مستجيبة للملائكة، والملائكة بدورها سجدت لآدم
عليه الصلاة والسلام، واذا عرفنا بأن خاتم النبيين سيدنا ونبينا
محمداً (ص)، هو أشرف وأعظم من كل الانبياء، بل انه مكمل
رسالاتهم، لانه خاتمهم. لو عرفنا ذلك فلا بد ان نعرف ان وصي خاتم
النبيين، والذي هو صنوه ونفسه، حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى في آية
المباهلة:

*** وانفسنا وانفسكم ***

(٦١/آل عمران)

وقد ورد في اكثر تفاسير المسلمين، ان المراد (بانفسنا)، هنا هو الامام
علي عليه الصلاة والسلام، فلا بد ان نعرف بان علياً هو افضل من آدم.

اذن اذا كانت السموات مستجيبة للملائكة، والملائكة ساجدة
لآدم، وعلي أفضل من آدم عليه الصلاة والسلام، فما هي الآية الكبرى
لرب العالمين؟ هل السموات؟ أم الملائكة؟ أم ذلك الذي تسجد الملائكة
له ولا مثاله، أم انه علي ابن ابي طالب، خليفة رسول الله خاتم الانبياء؟

وهنا لا بد ان نطرح هذا السؤال: لماذا يفضل الله بني آدم علي

الملائكة، بل على المخلوقات كلها؟

الجواب: لان الله حمّل علمه لبني ادم، وحمّل بني آدم شيئاً قد يكون اهم من العلم وهو الحرية والارادة، وجعل المشيئة في قلب بني آدم!

أما الملائكة فقد جعل الله لهم الروح وأعطاهم الايمان، والعلم والفضيلة الا انه لم يعطهم الشهوات!، فالملائكة يعبدون الله دون ان يأخذهم الأرق والنوم والتعب، وعبادتهم لله هي من سجيّتهم، أما الحيوانات، فالأمر بالنسبة لها اوضح، لان الله لم يعطها العقل ولا العلم ولا الارادة بل هي كتلة من الغرائز والشهوات، فالحيوانات ليست مفضلة على بني ادم، اما الانسان، فقد اعطاه الله العلم والعقل والارادة، ثم ركب عليه الشهوات، فاذا اتبع هذا الانسان عقله وعبد الله سبحانه وتعالى، واختار بحريته الكاملة هذا الطريق، كان قريباً الى الله ومكرماً عنده، لانه كان مخيراً بين ان يهبط وبين ان يرتفع، ولكنه اختار الارتفاع بفعله! فعظمة الانسان تنبع من انه هو الذي يريد، هو الذي يقرر، اما الملائكة فهي لا تقرر، باعتبارها هي مخلوقة في هذا الاتجاه، تريد ولكن ليس بصعوبة، وعلي ابن ابي طالب يجسد القمة في هذا الارتفاع والسمو بعد رسول الله (ص).

إن علياً يحمل جسمه المبارك في غزوة (أحد) سبعين جراحاً تحتاج الى العلاج ولكنه، وقبل ان يستريح من عناء القتال والجروح، يأتيه منادي رسول الله (ص) يدعوه الى الحرب من جديد فيتحمل كل ذلك الاذى

والجراح ويتوجه من جديد الى ساحة الحرب. كان بإمكانه أن يأكل
مصفى العسل ولباب القمح، وان يلبس افضل الملابس وهو امير المؤمنين
والله لم يحرم عليه ذلك ولكنه لم يفعل. كان يقسم الاموال بين الناس
بالسوية وكان بإمكانه ان لا يفعل ذلك.

كان بإمكانه ان ينام الليل ولكنه في الليل الواحد كان يصلي الف
ركعة.

كان علي يُغشى عليه في الليل من كثرة الصلاة وعبادة الله، وفي
النهار تراه على باب اليتامى والمساكين، وكان لا يترك عبادة الا واتى
بها.

يذكر لنا التاريخ إن الامام علياً كان يأتي الى المسجد قبيل الفجر
فيصلي بالناس الصبح ثم يعقب الى ان تطلع الشمس وتنتشر، ثم ينتقل
من محرابه الى مكان آخر من المسجد يقضي بين الناس، ويحل مشاكلهم،
ثم كان يتركهم ويتحرك في اسواق الكوفة، ينادي في الناس: اتقوا الله،
التاجر فاسق حتى يتفقه، عليكم بالفقه ثم التجارة، ثم يتمشى في أزقة
الكوفة لعله يجد ذا حاجة لم يجد الى المسجد سبيلاً، لعله يجد فقيراً، او
مسكيناً فيساعده، او لعله يجد فساداً فيصلحه. وبعد صلاة الظهرين يأتي
الى بيته ويسأل زوجته: هل عندكم شيء أم أفوت؟ فاذا وجد شيئاً
تغدى به، وان لم يكن هناك شيء يقضي ذلك النهار جائعاً، وعندما يصير
الليل يصلي صلاة المغرب والعشاء جماعة بالناس ثم يعود الى العبادة الى
الصباح، فمتى تكون الراحة ومتى يكون النوم؟

والآن، ألا يُعتبر هذا الانسان المثالي آية كبرى من آيات الله؟ إلا إن علياً هو تلميذ تربى في حجر الرسول (ص) وهو يقول انني عبد من عبيد محمد، اذن فكل حياة علي هي دليل صادق على حقانية الرسالة الاسلامية، ولذلك كان (النبأ العظيم).

ثم كما كان علي آية كبرى في الجهاد، والصبر، والعبادة، والزهد، كذلك هي الزهراء فاطمة بنت محمد، التي تلقت اصول الرسالة في بيت أبيها الرسول..

إنها آية كعلي، ولكن بلون آخر وبصورة اخرى، تزهو الزهراء صلوات الله عليها لأهل السماء كما تزهو النجوم لأهل الارض، كانت تقف في محراب عبادتها وكان النور يشع من محرابها الى عنان السماء، كانت تتعبد وتصلي لربها من اول الليل حتى الصباح، وكانت تدعو للجيران والمؤمنين والمؤمنات ولشيعتها وللرساليين عبر التاريخ ثم المجاهدين، ثم في الصباح يقول لها ابنها الحسن: اماه دعوت لكل الناس ولكن أين نصيبنا نحن؟

فتقول: يا بني أعلم «الجارثم الدار»، فاطمة الزهراء هي كفاء علي، إلا إنها امرأة وعلي عليه الصلاة والسلام رجل!

١٠ - حجج الله على العباد

[... وصلّ على الصّديقة الطاهرة، فاطمة الزهراء، سيّدة نساء العالمين . وصلّ على سبطي الرحمة، وامامي الهدى: الحسن والحسين، سيّدي شبابِ أهل الجنة. وصلّ على أئمة المسلمين: علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، والخلف الهادي المهدي، حُجِّجَكَ على عبادِكَ، وأمنائِكَ في بلادِكَ.. صلاةٌ كثيرة دائمة ...]

من هو الحجّة؟ ولماذا؟

ان معرفة الانسان بالله وبالرسالة والرسول وبالتالي معرفته بيوم البعث والنشور وكل اصول العقيدة الاسلامية، ليست بدرجة واحدة، وانما هي ذات درجات متفاوتة على سلوك الانسان وعلى اخلاقياته وعلى مدى استقامته امام الضغوط التي يتعرض لها، ولا يكفي في المعارف

الالهية - أو بتعبير شائع في العقائد الاسلامية - مجرد الاقتناع الاولي بان لهذا الكون الهاً، كما لا يكفي مجرد الاقتناع بوجود الانبياء ووجود نبينا (ص) وهكذا الائمة (عليهم السلام) بل لا بد أن تتحول القناعة الى معرفة والمعرفة الى يقين. والادعية كفيلة - اذا تدبرنا فيها - بان تحول معارفنا الالهية الى يقين منا بها، حتى تنعكس هذه المعارف عملياً في سلوكياتنا وفي شخصياتنا وفي مدى إستقامتنا.

ولقد غفل ابناء الامة وبالذات علماءها وقياداتها عن هذا الدور الهام للادعية الماثورة، لذلك فان الدعاء لم يلق ذلك الاهتمام الدراسي المطلوب.

وهذه الفقرة من دعاء الافتتاح تذكرنا بدور الائمة عليهم السلام وذلك عبر الصلاة عليهم وعلى جدتهم النبي محمد (ص)، إذ أن هذا التركيز على الائمة من خلال الصلاة عليهم انما يعمق الصلة بين ابناء الامة وبين قادتهم وأئمتهم.

ونجد في هذه الفقرة ان الائمة يوصفون بـ (حججك على عبادك، وامنائك في بلادك)، فما هي الحجة؟ ولماذا اختار الله سبحانه وتعالى للامة المرحومة اربعة عشر حجة؟ لماذا لم يكتف ربنا الحكيم بسيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وانما اختار لنا بعد الرسول، الامام علي بن ابي طالب حجة، وفاطمة الزهراء عليها الصلاة والسلام حجة، وإحدى عشر اماماً من نسلهما حججاً من قبله على عبادك، لماذا؟

الجواب: تعني (الحجة) ان هذا الانسان يكون (حجة) بينك وبين الله، اذا اتبعته واطعته وجعلته مقتداك وهاديك، فان الله سبحانه وتعالى يتقبل منك. لا يسألك اكثر من ذلك في يوم القيامة، فاذا اتبعت علي بن ابي طالب واقتديت بسيرته كاملة دون تحريف، فسوف تكون عند الله من الفائزين، لان علي بن ابي طالب هو نسخة تطبيقية من القرآن الحكيم من دون زيادة ولا نقيصة، هو القرآن الناطق وصنو القرآن، قال رسول الله (ص):

(إنني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله
وعترتي اهل بيتي، وانهما لن يفترقا
حتى يردا عليّ الحوض)

وقال:

(علي مع القرآن، والقرآن مع علي)

اذن فاتباع علي (ع) والاقترداء بسيرته هو اتباع واقتداء بالقرآن الحكيم، اذن، فاذا كان علي هو الصورة المجسدة لقيم الرسالة الالهية، الى هذه الدرجة فانه يكون (حجة).

أما السؤال الثاني فهو لماذا اذن نحن نحتاج الى اربعة عشر حجة؟

-: انما نحتاج الى هؤلاء الحجج وبالذات الائمة عليهم الصلاة والسلام لان الزمان يختلف، وقد تكون هذه هي حكمة

تعدد الائمة عليهم الصلاة والسلام، فليست الظروف دائماً متشابهة، فقد يكون الاسلام حاكماً في ظرف من الظروف، وقد يكون الكفر هو الحاكم في ظرف آخر، وقد يكون النفاق هو الحاكم في ظرف ثالث.

والانسان المسلم قد يكون في ظرف من الظروف سجيناً، وقد يكون شهيداً، وقد يكون حاكماً، وقد يكون عالماً، فصفات الانسان وصفات المجتمع والظروف الاجتماعية وتطورات المجتمع مختلفة ومتفاوتة، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية: جعل الله سبحانه وتعالى هذا الدين آخر الاديان، ورسولنا محمداً (ص) خاتم النبيين، ولا يأتي بعد رسولنا نبي، ولا بعد كتابنا كتاب، وقد يطول عمر البشرية لملايين السنين، فاننا لا نعرف متى تقوم الساعة:

* قل انما علمها عند ربي لا يجليها
لوقتها إلا هو..*

(١٨٧/الأعراف)

اذن، فان البشرية تحتاج الى حجج وائمة على مختلف الظروف وفي مختلف الحالات، سواء كافر او كمجتمعات، فمثلاً: نحن بحاجة الى امام يعلمنا كيف ينبغي ان يحكم الانسان، يعلمنا ذلك بسيرته لا بكلامه، حتى تكون سيرته لنا حجة نقندي بها، اننا نحتاج الى صورة متكاملة للحاكم الاسلامي المثالي، فمن اين نجد هذه الصورة؟

-: نجدها في علي بن ابي طالب عليه الصلاة والسلام، فبالرغم من ان النبي (ص) ايضاً كان حاكماً، الا انه لم تبرز معالم الحكومة في وقته بقدر ما تجلت رسالته.

أما علي بن ابي طالب فقد كان -ولو لفترة قصيرة- حاكماً بكل معنى الكلمة.

فكيف كانت سيرة علي - الحاكم؟

لنلق الصوء على نقطة واحدة من هذه السيرة ثم نقارنها بوضع حكام المسلمين اليوم:

كان الامام علي خليفة رسول الله، وحاكماً على كل الامة الاسلامية، وفي ذات الوقت كان قائداً للقوات المسلحة، وكان يعيش حالة حرب مع معاوية الذي كان قد تمرد على الامام الشرعي، في هذه الظروف التي كانت الاخطار فيه تحدى بالامام، وكان خطر الاغتيال قائماً، باعتبار ان هناك متمردين في صفوف جيشه ولم تكن حادثة اغتيال الامام علي اول حادثة اغتيال في الاسلام، ولا اول حادثة اغتيال الحاكم، بالرغم من كل ذلك، فان الامام علياً يخرج من بيته وحده الى المسجد لاداء صلاة الفجر، واول ما يفعله في المسجد هو الاذان، فمن هو الحاكم الاسلامي اليوم، الذي يتصرف بهذه الطريقة؟

ان علياً حاكم الهي، والحاكم الالهي هو داع الى الله سبحانه وتعالى، والاذان دعوة الى الله، لذلك ترى علياً يقف في مسجد الكوفة

و يؤذن أذان الصبح و يوقظ المسلمين للصلاة.

أما في الليل فيخرج الامام الى اطراف الكوفة يفتش عن المكروبين والمستضعفين واصحاب المآسي، لكي يحل لهم مشاكلهم، واما حياته الشخصية، فانه يذهب الى السوق و يشتري ما يحتاج اليه، و يحمل متاعه بنفسه الى بيته، وحينما يعترضه احد المؤمنين و يحاول ان يحمل عنه المتاع، يرد عليه الامام بانه هو الذي يحمل اثقاله يوم القيامة ولا احد غيره.

هذه هي سمات الحاكم الاسلامي يجسدها الامام علي (ع) و يتحول بذلك الى (حجة) علينا، اذ انه لا يخاف في الله لومة لائم.

يذكر التاريخ ان شخصاً من القيادات العسكرية في جيش الامام أدين بشرب الخمر، ف جاء به الامام الى مسجد الكوفة، ثم اقام عليه الحد (ثمانين جلدة) و بعد ان تمت العملية، قام الرجل ونظر الى الامام وقال: يا امير المؤمنين، صحبتك ذل ولكن مفارقتك كفر. فاجابه الامام: هذا هو العز.

اذن فالامام علي هو مثال حي للحاكم الاسلامي. ونحن نحتاج الى مثال يُقتدى به السجين المسلم، فنجده في الامام موسى بن جعفر عليه الصلاة والسلام، فالكثير منا قد يتعرض لسجون الطغاة. وقد يتأفف في البداية على دخوله السجن، اذ انه سيخسر عمره، ولا يكون قادراً على الانتاج والعطاء، الا انه حينما يقتدي بالامام موسى بن جعفر الذي قضى

ردحاً طويلاً في سجون الطغاة، يجد ان الامام يشكر الله على انه وفر له فرصة لعبادته وهكذا يستغل فترات السجن في عبادة الله وصقل شخصيته الايمانية عبر هذا الطريق.

ونحن نحتاج الى من يقدم دمه في سبيل الله، فنقتدي في ذلك بالامام الحسين عليه الصلاة والسلام. ونحتاج الى فقيه يربي العلماء والمفكرين ويوجه الامة الى تفاصيل الشريعة الاسلامية، فنقتدي بالامام الباقر والامام الصادق عليهما السلام، ونحتاج الى من يمثل دور الشخصية الثانية في الدولة الاسلامية، فنقتدي بالامام علي بن موسى الرضا عليه الصلاة والسلام، وهكذا نجد اننا نحتاج في ظروف حياتنا المختلفة الى ائمة نقتدي بسيرتهم وهداهم. ولان الظروف مختلفة، والاشخاص مختلفون، فاننا نحتاج الى ائمة لمختلف الظروف، ولا شك ان الائمة ليسوا لنا فقط، بل هم لكل الاجيال القادمة، فالاسلام سوف ينتشر ويعم الارض كلها، وسوف تواجه الامة قضايا جديدة ودقيقة، وسوف تطرح على الساحة مشاكل حضارية وعميقة، حينئذ يتجلى بعض دور الائمة عليهم الصلاة والسلام.

اذن فالائمة هم حجج الله على العباد، اي انهم قدوات يجب ان تهتدي الامة بهداهم، وان تقتفي مسيرتهم حسب اختلاف الظروف والازمنة.

وهنا يجب ان نشير الى ان العنصر النسوي يشكل نصف المجتمع

البشري، وهو بحاجة الى حجة يقتدي بسيرتها في مختلف الظروف،
فبالرغم من ان المرأة تقتدي بسيرة الائمة عليهم الصلاة والسلام، في
الظروف والقضايا المشتركة بين الرجال والنساء، الا انها تحتاج الى قدوة
نسائية للظروف والقضايا الخاصة بالمرأة، لذلك فقد جعل الله تعالى للامة
الاسلامية حجة نسائية متمثلة في شخصية فاطمة
الزهراء (عليها افضل الصلاة والسلام).

من هنا يتضح دور (الحجة) في حياة الامة، والسري في تعدد (حجج
الله على عباده) وهم الرسول الاعظم، وابنته الزهراء، والائمة
الاثنا عشر (عليهم افضل الصلاة والسلام)، لذلك نجد ان هذه الفقرة من
الدعاء تأتي بعد الصلاة على النبي، لتذكر المسلمين بالحجج والقديوات
عبر الصلاة عليهم:

[... وصلّ على الصديقة الطاهرة فاطمة
الزهراء سيدة نساء العالمين، وصلّ على
سبطي الرحمة، وامامي الهدى: الحسن
والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وصلّ
على أئمة المسلمين: علي بن الحسين، ومحمد
بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر،
وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد،
والحسن بن علي، والخلف الهادي المهدي..
حججك على عبادك، وامنائك في بلادك،
صلاة كثيرة دائمة..]

١١ - دور الامام المنتظر

[اللهم وصلِّ على وِليِّ امْرِئِكَ القَائِمِ المُوَمَّلِ، والعَدْلِ المُنْتَظَرِ، وَحُقِّقْهُ بِمَلَائِكَتِكَ المُقَرَّبِينَ، وَأَيِّدْهُ بِرُوحِ القُدْسِ يَارَبَّ العَالَمِينَ.

اللهم آجعله الداعي الى كتابك، والقائم بدينك، استخلفه في الارض كما استخلفت الذين من قبله، مكن له دينه الذي ارتضيته له، ابدله من بعد خوفه اماناً، يعبدك لا يشرك بك شيئاً.

اللهم اعزه واعزبه، وانصره وانتصر به، وانصره نصراً عزيزاً، وافتح له فتحاً يسيراً، واجعل له من لدنك سلطاناً نصيراً، اللهم اظهر به دينك وسنته نبيك، حتى لا يستخفي بشيء من الحق، مخافة احد من الخلق.

اللهم انا نرغب اليك في دولة كريمة تُعزبها الاسلام واهله، وتُبدل بها النفاق واهله، وتجعلنا فيها من الدعاة الى طاعتك، والقادة الى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والاخرة.

[اللهم ما عرفتنا من الحق فحملناه، وما قُضرنا عنه فبلغناه..]

ما هو دور الامام الحجة؟

ان يكون للانسان قائد الهى يرتبط به قلبياً ونفسياً وعقلياً وخطباً، ان ذلك ليعتبر وسيلة لتكامل الانسان كفرد او كمجتمع، وتوجهه المستمر نحو النموذج السماوي المرسوم والمعين له، وهذا بعض من فلسفة ايماننا نحن بالامام المهدي (صلوات الله عليه) الذي نؤمن به اماماً شاهداً علينا وقريباً منا، ومطلعاً ورقيباً على اعمالنا، ويتجلى هذا الايمان في ليلة القدر حيث تنزل الملائكة والروح بمقادير العباد.

بسم الله الرحمن الرحيم

* أنا أنزلناه في ليلة القدر* وما أدراك
ما ليلة القدر* ليلة القدر خير من ألف
شهر* تنزل الملائكة والروح فيها بأذن
ربهم من كل أمر* سلام هي حتى
مطلع الفجر*

(٥١/القدر)

في هذه الليلة المباركة تنزل الملائكة بتقديرات حكيمة:

* فيها يفرق كل امر حكيم*

(٤/الدينان)

ان كل التطورات التي يجب ان تحدث خلال العام الواحد تُقدر من قبل الله تعالى في ليلة القدر، ان صحة الانسان ومرضه وفقره وغناه وكرامته بين الناس او ذلته، وكذلك تقدم الامة وتخلفها، حصارتها او

جاهليتها.. كل هذه المقادير ترسم وتحدد في ليلة القدر:

* فيها يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ. أَمْرًا مِنْ

عِنْدَنَا *

(٤-٥ / الدخان)

ولكن السؤال هو: على مَنْ تنزل الملائكة بمقادير الحياة والعبادة؟

في الجواب نقول: ان من تكريم الله لبني آدم هو ان جعل من انفسهم حججاً لله على الخلق تنزل عليهم الملائكة، ففي كل عصور التاريخ ومنذ آدم حتى هذا اليوم فان الملائكة تنزل في ليلة القدر على (بشر)، ففي عهد ادم كانت تنزل على آدم، ثم بعده على شيث، وبعده على ادريس، وبعده على ابراهيم، وموسى، وعيسى، والنبي محمد عليه الصلاة والسلام، ثم بعد الرسول على اوصيائه الائمة المعصومين الواحد بعد الاخر، اما الان فانها تنزل على الامام المهدي المنتظر، لانه حجة الله على عباده، والدعاء حينما يصلي على الامام الحجة، انما لكي يعمق العلاقة بين المؤمنين وبين حجة الله:

اللهم وصلِّ على ولي امرِكَ

القائم (١) المؤمل، والعدلِ المُنتظر،

وَحُجَّةَ بَمَلَائِكَتِكَ الْمُقْرَبِينَ، وَأَيْدِيَهُ بِرُوحِ

(١) : جرت العادة عندنا ان نقف منتصبين حينما يُذكر اسم (القائم) فماذا تعني؟

-: ان هذا القيام يرمز الى استعدادنا للمعركة التي لا بد ان يخوضها الحق ضد الباطل تحت قيادة الامام الحجة، وهو يعني

ايضاً اننا نتمنى ان نكون من جنود الامام ومن المجاهدين تحت لوائه.

الْقُدُسُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ [

وروح القدس هنا قد يعني تلك الروح التي تنزل في ليلة القدر، وهو الذي ايد الله به عباده المؤمنين، والانبياء والاوصياء وهو الذي قال عنه ربنا سبحانه وتعالى:

يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي

(٨٥/الاسراء)

يقول الدعاء: «وي امرك القائم المؤمل..»، فالامام الحجة يقوم بالامر.. (فيها يفرق كل امر حكيم * امراً من عندنا)، ولكن ماذا يعني (الامر) هنا؟

—: ان لله وتعالى قضاء وقدرًا وله امراً وسنةً، وسنن الله تعالى هي القوانين التي وضعها للكون، ثابتة لا تتغير، ولكن امر الله فوق قوانين الكون، والامام الحجة هو مكلف من قبل الله و باذن الله و بتفويض من الله، وبقدره الله و باسم الله، ان يكون له الامر.(١)

(١): اشرنا في بداية الحديث الى ارتباطنا بالامام هو ارتباط خطي، اي اننا يجب ان نرتبط بخط الامام المستقيم، فماذا يعني؟ نحن لا نعتبر الفقيه الذي هو ولي الامر، لا نعتبره قائداً بالذات، انما نعتبر قيادته منبعثة من نيابته العامة للامام الحجة (ع) اذن فنحن في كل قضية نبحث عن رأي الامام الحجة وعن موقفه، بل حتى الفقيه الولي هو الاخر يبحث عن رأي الامام الصائب لكي يبني فتواه ومواقفه على ذلك الاساس لانه يعتمد شرعية قيادته من مدى التزامه بخط الامام الحجة، ولذلك فاننا نظل ملتزمين بقيادة الفقيه الولي ما دام هو يلتزم السير على الصراط المستقيم، اما اذا انحرف -لا سمح الله- فان ارتباطنا ينقطع فوراً، اذ ان ارتباطنا الحقيقي هو بخط الامام الحجة، وبقدر ما يمثل الفقيه هذا الخط ويجسده فاننا نلتزم به، والا فلا.

الاهداف الحقيقية للانسان:

لكل انسان في هذه الدنيا اهداف يبذل من اجل تحقيقها مساعيه الجادة، وهدف الانسان -سواء كان شريفاً ام وضيعاً، سليماً ام سقيماً- هو الذي يحدد مسار حياته ومساعيه التي يبذلها، فمن كان هدفه الوصول الى نقطة معينة، فان كل حركته وكل جهده سوف ينصب باتجاه تلك النقطة.

اما اذا كان هدفه هو الوصول الى نقطة تقابل تلك النقطة في الاتجاه، فان الحركات والتوجهات والجهود هي الاخرى سوف تتوجه الى تلك النقطة، وليس سواءاً: التحرك شمالاً أو جنوباً، شرقاً او غرباً، كذلك هدف الانسان هو الذي يحدد مسار حياته. ولكن مشكلة الانسان انه لا يعرف بالضبط ما هو الهدف السليم الذي ينبغي السعي اليه، او بتعبير افضل، ان مشكلة الانسان، إنه ليس هو الذي يحدد هدفه في الحياة! إنما الآخرون هم الذين يملون عليه اهدافاً ليست من اهدافه الحقيقية، وانه بعد فترة ليست بالقصيرة يكتشف زيف تلك الاهداف، وان كل مساعيه وحركاته انما كانت باتجاه نقطة خاطئة، وبذلك فهو لم يخدم نفسه انما خدم الآخرين او خدم الشيطان:

* قل هل ننبئكم بالآخسرين أعمالاً *
الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا».

(١٣٠-١٠٤/ الكهف)

ان الذين ينقادون لابواق الاعلام الغربية او الشرقية، و يتبعون ما تقوله اجهزة الدعاية الحكومية لهم، سوف يكتشفون ان هذه الاجهزة لم تكن امينة معهم، اذ جعلتهم في وضع استهدفوا غايات لم تكن في مصلحتهم، مثلا ان الكثير من الذين غرّربهم صدام وساقهم الى جبهات القتال، ضد الاسلام يكتشفون بعد الموت او قبله، بان العملية كانت خدعة كبرى تعرضوا لها! وانهم تحركوا و بذلوا جهودهم ودماءهم ولكن ليس في سبيل خيرهم وما ينفعهم، وانما في سبيل اهواء حاكم طاغية.

اذن، فالمشكلة الاولى للانسان هي ان اهدافه لا تكون -في الغالب- اهدافاً حقيقية، اما المشكلة الاخرى فهي ان اهداف الانسان قد لا تكون منسجمة مع فطرته، وطاقاته.

فالكثير منا يلخص كل حياته في قوالب ضيقة، واهداف محدودة جداً، لانه لا يعرف نفسه ولا يعرف حجم ما اودعه الله فيه من طاقات. لقد خلقه الله لكي يصبح سيد الطبيعة وسيد الكون وملكاً في الجنة تخدمه الملائكة! ولكن النظرة الضيقة الى الذات، تجعل الانسان ينتخب لنفسه هدفاً ضيقاً يسعى بكل ما يملك من مساعي في سبيل الوصول اليه، وهذا هو الاخر يخسر نفسه. ومن الناس من تكون اهدافه وتطلعاته عالية، الا انها تكون شخصية، فكل هدفه -مثلا- ان يصبح ثرياً! ويمتلك الاموال والعقارات، او يكسب شهرة واسعة، او ان يصبح سلطاناً، ثم ماذا؟ ماذا بالنسبة للاخرين؟ لا شيء! وحينما يكون هدف الانسان شخصياً فان هذا الهدف سوف يتعارض و يصطدم باهداف الاخرين! وبالتالي يؤدي

الى نشوب صراع اجتماعي يكون البقاء فيه للاقوى.

والادعية الماثورة تحاول - من خلال معانيها الحميدة - تصحيح هدف الانسان ومسيرته في الحياة، وذلك عبر ترسيخ القناعات التالية في الانسان:

أولاً: إن عليك ان تحدد لنفسك هدفك.

ثانياً: أن تكون انت الذي ترسم هذا الهدف لنفسك وليس الاخرون هم الذين يملونه عليك.

ثالثاً: إن هذا الهدف يجب أن يكون هدفاً عالياً وليس دانياً.

رابعاً: أن يكون هدفاً مشتركاً بينك وبين الاخرين ولا يكون هدفاً ذاتياً، فبدل ان ترهق نفسك لكي تصبح سلطاناً، الافضل ان تعمل انت والمجموعة التي تعرفها، انت والمجتمع الذي تعيش فيه، تعملون معاً من اجل سلطان عادل، فحينما يكون هناك سلطان عادل، فان خيره سوف يكون عميماً، وبدل ان تسعى من اجل اكتساب الثروة التي قد تاتي عن طريق يسبب تخلف الامة وانتشار الفقر، وترسيخ تبعية الامة للاجنبي، بدل ذلك اسعوا جميعاً في بناء حضارة ينعم الجميع بخيراتها، اعملوا من اجل ان تكون بلادكم بلاداً متقدمة صناعية لكي يستفيد الكل منها، وبدل ان تعمل من اجل ان تعيش انت وحدك في حياة مرفهة، حاول ان تنشر الاخلاق الفاضلة في المجتمع، فاذا انتشرت

الاخلاق الفاضلة فان الجميع سوف يعيشون حالة جيدة، في اطمئنان
وسكينة.

اذن، فان من اهداف الدعاء هو تصحيح مسار الانسان واهدافه
العظمى، وحينما يرسم الانسان لنفسه تلك الاهداف العظمى فانه
ينسجم مع الاخرين، اولاً، ثم انه يبذل قصارى جهده من اجل تحقيق
تلك الاهداف.

فحينما يكون هدف الانسان هدفاً ذاتياً، كأن يصبح ثرياً، فانه
سوف يتكاسل و يتقاعس عن العمل لانه لا يشعر بشخصيته الحقيقية.

أما حينما يكون الهدف اقامة حكم الله في الارض، فان الانسان
يبذل كل جهوده من اجل تحقيق الهدف، ومهما طال المسير فانه يزداد
عزماً واصراراً، لذلك فانه يفجر كل طاقاته، فيكون بذلك الانسان
المتكامل، الانسان اللا منتهي، الانسان اللا محدود، لانه يعرف بانه حتى
لو بلغ الثمانين من العمر فان امامه أهدافاً لا بد ان يحققها، فيكون نشيطاً
على الدوام، حتى لو كان شيخاً كبيراً، اذ انه يملك طاقة نفسية هائلة،
لذلك نرى رجلاً كسليمان بن صرد الخزاعي (رضوان الله عليه) يقود
معركة فدائية وقد جاوز عمره التسعين سنة دون ان يرهقه الشيب!
والسبب لانه يمتلك شعلة الهدف العالي في ضميره، فتدفعه نحو تفجير
طاقاته، وفي نهاية دعاء الافتتاح، نقرأ ما يرسم لنا اهدافنا الحقيقية في
الحياة وتطلعاتنا، ويتمحور الدعاء حول مولانا وامامنا الحجة بن الحسن

المهدي عجل الله تعالى فرجه وجعلنا من انصاره واعوانه:

[اللهم اجعله الداعي الى كتابك،
والقائم بدينك، اسْتَخْلِفُهُ فِي الارض
كما اسْتَخْلَفْتَ الذين من قبله، مَكَّنْ
لَه دِينَه الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لَهُ، اَبْدِلْهُ مِنْ
بَعْدِ خَوْفِهِ اَمْنًا، يَعْْبُدُكَ لَا يُشْرِكُ بِكَ
شَيْئًا]

وهنا يجب ان نشير الى عدة ملاحظات:

أولاً: اذا دعوت انت وانا وكل المؤمنين فان الله سبحانه وتعالى قد
يجيب دعواتنا، فنحن لنا اثر بقدر معين في مسيرة هذا الكون وفي مستقبله.

فباستطاعة الواحد منا ان يعمل من اجل قرب فرج الامام
الحجة (ع)، وذلك عبر الدعاء بروح الامل، وليس بروح اليأس والقنوط.

ثانياً: الدعاء يتضمن في نفس الوقت نوعاً من التطلع، اي ان على
الانسان ان يجعل في برامج حياته: العمل المستمر من اجل الوصول الى
هذا الهدف، من اجل تهيئة الوسائل وتمهيد الطرق لظهور الامام الحجة بن
الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه. فالدعاء في الحقيقة هو تعبير عن
برنامج تطلعات المؤمن واهدافه.

ثالثاً: حينما يدعو الانسان لامامه المنتظر، فانه بذلك يؤدي جزءاً من
حقه عليه.

كما يؤدي ذلك الى ترسيخ علاقة الاقتداء والتبعية بالامام.

[اللهم اجعله الداعي الى كتابك،
والقائم بدينك، استخلفه في الارض
كما استخلفت الذين من قبله، مكن
له دينه الذي ارتضيته له]

هذا الدين هو دين الاسلام ولكنه الاسلام الكامل، الاسلام غير المشوه وغير المزيف، والذي يعمل الامام الحجة على نشره في ارجاء الارض، وتمكينه من قلوب البشرية.

[أبدله من بعد خوفه امناً يعبدك لا
يُشرك بك شيئاً]

فالامام الحجة هو في حالة خوف ووجل على مصير هذا الدين.

وهو يتربص لمئات السنين لحظة الظهور التي يأذن بها الله تعالى، فهو يعيش حالة التشرد والهجرة الدائمة بانتظار اللحظة الموعودة، وكذلك الانسان المؤمن يجب ان يتحمل الصعاب والمشاكل ريثما يحقق اهدافه وتطلعاته.

[اللهم اعزه واعزز به، وانصره وانتصر
به، وانصره نصراً عزيزاً، وافتح له فتحاً
يسيراً، واجعل له من لدنك سلطاناً
نصيراً]

اننا نقرأ في القرآن:

* وَقُلْ رَبِّي أَدْخَلَنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ،
وَأَخْرَجَنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ، وَأَجْعَلْ لِي
مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا *
(٨٠/الأسراء)

فنحن نطلب من الله ان يجعل لنا سلطاناً ويجعل لنا قوة، ولكن ليست قوة ذاتية، وإنما قوة الهية، بعيدة عن الشهوات والاهواء وتراكمات السلبيات في المجتمع، وهكذا نطلب من الله في هذا الدعاء ان يجعل للامام الحجة سلطاناً نصيراً.

[اللهم اظهر به دينك، وسنة نبيك،
حتى لا يستخفي بشيء من الحق،
مخافة احد من الخلق]

اننا نتجرع الالام حينما نرى ان سنن رسول الله قد محيت، وان معالم الرسالة قد درست، وان احكام الله تخالفُ جهراً في كل البلاد الاسلامية، وفي كثير من الاوقات نضطر الى السكوت تقية، الا اننا هنا نسأل الله سبحانه وتعالى ان يُظهر الامام الحجة حتى لا تكون هناك تقية، حتى يكون الاسلام هو السائد.

ثم يبدأ الدعاء برسم خريطة الاهداف الحقيقية للانسان في الحياة، فالهدف ليس هو امتلاك العقار، والزوجة والاولاد، والتمتع بهذه الامور، انما الهدف الاساسي هو ان يكون للانسان دور فعال وبناء في تصحيح

[اللهم إنا نرغب اليك في دولة كريمة
تعزبها الاسلام واهله، وتذل بها
النفاق واهله، وتجعلنا فيها من الدعاة
الى طاعتك، والقادة الى سبيلك،
وترزقنا بها كرامة الدنيا والاخرة]

اذن، فالهدف الاول هو: اقامة حكومة اسلامية حقيقية، ليس
حكومة اسلامية منافقة تطبق اسلاماً مزيفاً ينسجم مع مشتريات الغرب
او الشرق.

والهدف الثاني: هو ان يكون للانسان في هذه الحكومة الدور
الطليعي، فلا ننتظر ان ياتي غيرنا لبناء الدولة الاسلامية. انما نحن الذين
نبني، نحن الذين نقوم بهذا الدور الطليعي: (وتجعلنا فيها من الدعاة الى
طاعتك والقادة الى سبيلك)، يكون لنا دور طليعي قولاً وعملاً، فالدعوة الى
طاعة الله، هو الدور الطليعي قولاً، اما القيادة الى سبيله، فيعني الدور
الطليعي عملياً وميدانياً.

(وترزقنا بها كرامة الدنيا والاخرة)، هذا هو هدف الدولة الاسلامية،
والكرامة تعني الاستقلال والخير والفضيلة، فالهدف الاسمي للدولة
الاسلامية ليس الوصول الى تقدم مادي حتى ولو كان هذا التقدم على
حساب الاستقلال، او على حساب الفضيلة، او على حساب الاحسان
الى الناس. ولنضرب مثلاً بالامريكيين الذين تقدموا حضارياً، ولكن

على حساب الشعوب، على حساب الفضيلة، و«إسرائيل» أيضاً متقدمة حضارياً، ولكن على حساب استقلالها؛ باعتبارها دويلة ذيلية مرتبطة بالغرب. بلغاريا أيضاً متقدمة ولكن على حساب استقلالها لأنها تابعة للشرق، أما الدولة الإسلامية فانها تنشأ التقدم ولكن الى جانب الاستقلال، تريد الاستقلال والى جانبه الفضيلة.

[اللهم ما عرفتنا من الحق فحملناه،
وما قصرنا عنه فبلغناه]

ولكن كيف نصل الى الهدف المقدس؟

-: عبر وسيلتين:

الوسيلة الاولى: (ما عرفتنا من الحق فحملناه)، نتحمل مسؤولية مقدار ما نعرفه من الحقائق، فاذا كنت اعرف ان الجهاد واجب، فعلي ان اتحمل مسؤوليته.

الوسيلة الثانية: (وما قصرنا عنه فبلغناه)، فاذا كنت اشعر بنقص في معلوماتي وثقافتي الدينية، كان علي ان اسعى لكي اسد هذا النقص، فبمقدار ما يعرف الانسان من دينه عليه ان يطبق، والمقدار الذي لا يعرفه، عليه ان يبحث عنه حتى يعرفه.

١٢ - اسس الدولة الاسلامية

[اللهم أَلِّمْ بِهِ شَعْنَنَا، وَاسْعَبْ بِهِ صَدْعَنَا، وَأَرْثُقْ بِهِ فَتَقْنَا، وَكَثِّرْ بِهِ قِلَّتْنَا، وَأَعِزِّزْ بِهِ ذِلَّتْنَا، وَأَغْنِ بِهِ عَائِلَنَا، وَأَقْضِ بِهِ عَنْ مُغْرَمِنَا، وَأَجْبِرْ بِهِ فَقْرَنَا، وَسُدِّ بِهِ خَلَّتْنَا، وَيَسِّرْ بِهِ عُسْرَنَا، وَبَيِّضْ بِهِ وُجُوهُنَا، وَفَكِّ بِهِ أَسْرَنَا، وَأَنْجِحْ بِهِ ظَلِمَتْنَا، وَأَنْجِزْ بِهِ مَوَاعِيدَنَا، وَاسْتَجِبْ بِهِ دَعْوَتَنَا، وَأَعْطِنَا بِهِ سُؤْلَنَا، وَبَلِّغْنَا بِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ آمَالَنَا، وَأَعْطِنَا بِهِ فَوْقَ رَغْبَتِنَا، يَا خَيْرَ الْمَسْئُولِينَ، وَأَوْسَعَ الْمُعْطِينَ، إِشْفِ بِهِ صُدُورَنَا، وَأَذْهِبْ بِهِ غَيْضَ قُلُوبِنَا، وَأَهْدِنَا بِهِ لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِأَذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَأَنْصُرْنَا بِهِ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّنَا إِلَهَ الْحَقِّ آمِينَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ فَقَدْنَا نَبِيَّنَا، صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَغَيْبَتَهُ، وَلِينَا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَقَلَّةَ عَدَدِنَا، وَشِدَّةَ الْفِتَنِ بِنَا، وَتَظَاهَرَ الزَّمَانِ عَلَيْنَا، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعِنَا عَلَى ذَلِكَ بِفَتْحٍ مِنْكَ تُعَجِّلُهُ، وَبِضَرْرٍ تَكْشِفُهُ، وَنَضْرٍ تُعْزِهِ، وَسُلْطَانٍ حَقٌّ تُظْهِرُهُ، وَرَحْمَةٍ مِنْكَ تُجَلِّلُنَاهَا، وَعَافِيَةٍ مِنْكَ تُلَبِّسُنَاهَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ]

الدولة الاسلامية الحققة هي التي تقوم على اسس الهية، وابرز هذه الاسس هو تمحور الدولة حول قيادة ربانية، ولذلك فهي تعطي للمجتمع

الانساني النتائج التي ذكرت في نهاية دعاء الافتتاح، وهذه النتائج هي في ذات الوقت تطلعات ينبغي على كل مؤمن ان يسعى من اجل تحقيقها بكل ما يملك من امكانيات.

إن الادعية الماثورة تنعكس في ضمير الانسان الذي يدعو بها في صورة تطلعات وبرامج عملية يندفع لتحقيقها في الواقع الخارجي، فحينما ترفع يدك - في شهر رمضان - ضارعاً الى الله، وتقول: (اللهم اَدْخِلْ على اهلِ القُبورِ السُّرورَ، اللهم اَغْنِ كُلَّ فقيرٍ، اللهم اَشْعِ كُلَّ جائعٍ، اللهم اَكْسِ اكلَ عُربانٍ، اللهم اَصْلِحْ كُلَّ فاسِدٍ من اُمورِ المسلمين، اللهم غَيِّرْ سوءَ حالِنَا بِحَسَنِ حالِكِ...) حينما تدعو الله سبحانه وتعالى بهذه الدعوات، فان ذلك لا يعطي فقط انك تحرك لسانك بهذه العبارات، او تتمنى تحقيق هذه الامور، وانما يعني ايضاً ان تجعل هذا برنامج حياتك، فتسعى من اجل ان تُدخِلَ السرور الى قبور الموتى وذلك بمزيد الطاعة التي نبعث بثوابها اليهم، وبمزيد من الانسجام والتعاون فيما اذا كان الشهيد او الراحل رجلاً يتطلع الى الانسجام كما لو كان قائداً واماماً.

وحينما تقول: (اللهم اَشْعِ كُلَّ جائعٍ) فانك تسعى من اجل سد جوعة الناس الجائعين، وكذلك حينما تقول: (اللهم اَصْلِحْ كُلَّ فاسِدٍ من امور المسلمين) فانك يجب ان تسعى باصلاح بين الناس بصورة منتظمة، اذن فان الادعية كما هي من العبد المسكين، من المخلوق الضعيف الى الخالق القوي لكي يستجيب له ويحقق ذلك بصورة غيبية، فهو ايضاً برنامج عملي يجب ان يطبقه الانسان و يسعى من اجل تحقيقه.

ثم من جهة اخرى قد تعيش بعض المجتمعات البشرية في احوال التخلف والظلم والاستضعاف الى درجة تفقد معها حتى مجرد الطموح والامل، ومجرد الامنية والحلم في ان تصل الى مستوى متقدم من العيش والحياة.

مثلاً: المجتمعات التي تعيش في بعض بلاد آسيا النائية، او في بعض مناطق افريقيا، او مناطق اميركا اللاتينية، هذه المجتمعات المستضعفة لا تفكر في ان تمتلك في يوم من الايام قبلة نووية او ان تحصل استقلالاً كاملاً في مواجهة الشرق والغرب، فمن اجل اعادة الانسان الى انسانيته، وتذكيره بانك ايها الانسان تستطيع ان تبني حياة رفيعة، وان هذه الحياة التي تعيشها هي حياة متخلفة لا بد ان ترفضها، لا بد ان تغيرها، لا بد ان تتحدى الظروف التي جعلتك تعيش هذه الحياة سوأاً ك شخص تصارع الطبيعة، او كمجتمع تصارع سائر المجتمعات من اجل الحصول على حياة حرة.. من اجل تذكير الانسان بهذه الحقيقة نحن بحاجة الى الادعية التي تقول لنا: اذا اصبحت حياتكم صعبة، وظروفكم معقدة، واوضاعكم شاذة واذا ادبرت الدنيا عنكم، فلا يعني ذلك انكم فعلاً اصبحتم لا تستحقون التقدم، ولا تستحقون الكرامة، ولا يعني ان ترضوا بهذه الحالة، بالعكس، عليكم دائماً ان تسألوا الله أن يمنحكم حياة افضل، وهذا السؤال والدعاء يجعلكم تؤمنون بان حالة افضل من هذا الواقع ممكنة، وتسعون من اجل الوصول اليها، وهكذا لا تنطفئ فيكم جذوة الامل، ولا تموت في انفسكم روح التقدم، ونحن نقرأ الفقرة الاخيرة من دعاء الافتتاح ضمن هذا الاطار ونقول: (اللهم

المم به شَعَثْنَا) والشَّعَثُ يعني: التناثر والتشردم والتشتت الذي يمزق المجتمع بعضه عن البعض الآخر، اللهم المم به هذا التشردم والتشتت حتى تصبح امتنا وحدة واحدة.

(واشعب به صدعنا) فحصون بلادنا مهدمة، فيها ثغرات يتسلل منها العدو، ولا تسد هذه الثغرات الا بالتضرع الى الله سبحانه وتعالى بالسؤال (واشعب به صدعنا) هذا الصدع في جدار بلادنا وامتنا لا نستطيع ان نسده الا بعون الله ونصره، وبمنظرة واحدة الى العالم الاسلامي نهتدي الى عمق التشتت الموجود في كل مكان، فكل جماعة تتمزق الى قوميات واقليميات ووطنيات مزيفة، حتى ان كل قرية تعيش بنفسها دون ارتباط جذري ببقية اجزاء الامة. هذا هو التشتت، اما الصدع فهو اقوى من التشتت، اي انه اظهر للعين، «فاسرائيل» صدع، وروسيا في افغانستان صدع، وماركوس في الفلبين صدع.

(وارتق به فتقنا) الفتق هو أقل من الصدع الا انه بدوره شيء يُرى، ونستطيع ان نعتبر وجود الانظمة العميلة في البلاد الاسلامية نوعاً من الفتق الذي يجب ان تتحرك الامة لرتقه بعون الله تعالى.

(وكثّر به قلتنا) نحن قد نكون كثيرين مشتتين فنحتاج الى الوحدة، وقد نكون قليلين نحتاج الى زيادة عددية، ان القلة -بحد ذاتها- لا تُعتبر نقطة سلبية لو كانت مجتمعة القلوب ومتآلفة النفوس، الا ان هذه القلة المتآلفة يجب ان تزداد وتتضاعف حتى تشمل كل فئات الامة الاسلامية، لذلك فاننا ندعو الله بقولنا: (وكثّر به قلتنا).

(وأعززه ذلتنا) إنّ مشكلة الانسان الذليل هي انه شيئاً فشيئاً يشعر وكأنه خُلِقَ ذليلاً فلا يقاوم الظلم، والعدوان، والاذلال، ان الاستكبار العالمي يسعى اليوم في شتى بقاع الارض لاذلال المسلمين واستعبادهم، لذلك فانه يستخدم المواد الكيماوية لابادة المسلمين على جبهة الحرب العدوانية العراقية ضد الاسلام، كما يستخدم الروس ابشع الاساليب لتقتيل عشرات الالوف من المسلمين في افغانستان، و«اسرائيل» تهتك حرمت المسلمين في جنوب لبنان، والنظام العراقي يمارس اشنع الوسائل لتحطيم معنويات الشعب المسلم في العراق، اليست كل هذه الممارسات العدوانية بحق المسلمين هي اساليب جهنمية لاذلال المسلمين؟ واذا لم نقاوم كل هذه الممارسات، واذا لم نتحول الى امة مجاهدة لكسب العزة والكرامة، فان الذلة ستنغرس في نفوسنا: (واعززه ذلتنا).

(وأغني به عائلنا) تُعتبر البلاد الاسلامية من بين البلاد الاكثر تخلفاً في العالم، وقد قرأت مرة تقريراً كان يصف (بنغلادش) بانها من أكثر البلاد تخلفاً في العالم، ومن الذي يعيش في هذا البلد غير الملايين من المسلمين؟ وهكذا الامر بالنسبة لكثير من البلاد الاسلامية وبالذات الافريقية منها والتي تعيش شعوبها حياة المسكنة والتخلف المريع. اننا يجب ان نعرف ان الله لم يخلقنا حتى نعيش بهذا الشكل من الفقر والتخلف، وان هناك اساليب ووسائل يجب ان نبحث عنها ونتبعها حتى نقضي على حياة المسكنة والتخلف: (وأغني به عائلنا، واقض به عن مغرمننا، واجبره فقرنا) هناك فرق بين المسكنة التي يعبر عنها هذا الدعاء بكلمة (عائلنا) وبين الفقر، والمسكنة تعني ان لا يملك الانسان حتى

قوت يومه، بينما الفقر يعني ان حياة الفرد غير متوازنة مع حياة سائر الناس، فالفقر قد يملك بيتاً واثاثاً جيداً، الا انه يُعتبر فقيراً لانه لا يمتلك سيارة اذا كان يعيش في مجتمع كل افراده يمتلكون السيارات الخاصة، ان بلادنا بشكل عام تُعتبر من البلاد الفقيرة. وحينما يريدون تضليلنا يطلقون علينا اسم «البلاد النامية» بينما في الحقيقة بلادنا لا تنمو كما يجب، فمعدلات النمو في بلادنا اقل من المعدل الذي ينبغي ان يكون عليه. ان نمو السكان هو اكبر من نمو الاقتصاد، اذن فان بلادنا ليست نامية، والدليل هو وجود الفجوة الواسعة بين الجنوب والشمال، ويجب ان نعترف باننا فقراء حتى نسعى للقضاء على الفقر: (واجبر به فقرنا. وسُدَّ به خَلَّتنا) اي مواضع الفقر (ويَسِّر به عسرنا) يجب على الانسان ايضاً ان يسعى وبعون الله الى تيسير ما تعسر من حياته، وهذا الدعاء يدفع الانسان لكي يرفض الاستسلام الى واقعه الصعب وحياته العسيرة بل عليه ان يسعى للتغيير نحو الافضل: (ويبيض به وجوهنا).

(وَفُكَّ به آسرنا، وَأَنجِح به طلبتنا) حقق تطلعاتنا عبر وليك الغائب الذي تبعته لانقاذنا (وانجز به مواعيدنا) لقد وعدنا الله بان ينصرنا على الاعداء، ونحن بحاجة الى القيادة التي نلتف حولها لينقذنا الله بها، و ينجز وعده بنصرنا (واستجب به دعوتنا واعطنا به سؤلنا وبلغنا به في الدنيا والآخرة آمالنا) ان كل آمالنا ستتحقق، ولا يجوز ان ييأس الانسان ويقنط من ذلك، وانما تحقق الامال يحتاج الى الوسيط وهو الحجة الغائب ومن ينوب عنه.

(واعطنا به فوق رغبتنا) اننا نطلب من الله سبحانه وتعالى ان لا يقتصر فقط على الاستجابة لطلباتنا، ذلك لان عقل الانسان محدود، وطلباته ايضاً تكون محدودة، فندعو الله الذي يعرف عمق حاجتنا ان يعطينا اكثر مما نطلب وفوق رغبتنا: (واعطنا به فوق رغبتنا، يا خير المسؤولين) من افضل من الله، يسأله الانسان حاجاته؟ اذ يستطيع الانسان ان يسأله اي شيء، وفي اي وقت شاء، فلا تحجبه عن عباده المؤمنين حواجب، و بابه مفتوح للداخلين، والتقرب اليه والسؤال منه لا يحتاج الى شفيع ولا دليل ولا تصنع، وهو فوق كل ذلك يعطي السائل اضعاف ما يطلب. فهو: (خير المسؤولين، واوسع المعطين، اشف به صدورنا) هذه هي قمة الطلبات، اذ قد تكون هنالك دولة اسلامية ومجتمع مسلم، دولة تحكمها قوانين اسلامية، ومجتمع يخضع في علاقاته الظاهرية لقيم الاسلام، وقد تكون هناك حالة من الحركة والغنى والتقدم والرفاه والغزة، ولكن يظل القلب مريضاً، فلا يستفيد الانسان من كل تلك النعم، لان القلب لا يتمتع بالعافية، والصفاء، والاطمئنان، تماماً كالانسان الحسود الذي وان امتلك كل ما في الدنيا من نعم، الا انه لا يرتاح له بال لانه يحسد الاخرين على ما يمتلكون من نعم الله.

اذن، فاننا نحتاج الى شيء اعظم من كل النعم، الا وهو: شفاء الصدور والقلوب.

(وأذهب به غيظ قلوبنا) وشفاء الصدور لا يعني فقط ان يجعلك الله صابراً وقانعاً وراضياً ولا يعني فقط ان يصبح قلبك صافياً من الحسد

والحقده. بل وايضاً ان يملؤ قلبك من كل غيظ، فاذا كنت تحمل في قلبك عقدة سقوط الاستكبار، واعداء الدين والانسان مثلاً: فانك تطلب من الله ان يذهب هذا الغيظ من قلبك وذلك باسقاط اعداء الانسانية ودحر الحكومات الشيطانية والقوى المستكبرة في العالم.

(واهدنا به لما اختلف فيه من الحق باذنك) من فوائد الحكومة الاسلامية والقيادة الرسالية انها تحسم الخلافات القائمة على اساس الهداية الى الحق والصواب: (واهدنا به لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وأنصرنا به على عدوك وعدونا إله الحق آمين) بالتالي مهما تكون هناك دولة اسلامية وحكومة اسلامية فانه تبقى هناك مجموعات من الاعداء، نأمل في الانتصار عليها، ونطلب من الله ان يعيننا في ذلك.

وفي نهاية دعاء الافتتاح نشكو الى الله من المستكبرين: أصحاب القوة، واصحاب السلطان الذين يظلمون و يقهرون المستضعفين الذين يعيشون حياة التخلف والتمزق، فنقول: (اللهم إنا نشكو اليك فقد نبينا صلواتك عليه وآله، وغيبة ولينا، وكثرة عدونا، وقلة عددنا، وشدة الفتن بنا) نشكو الى الله من الفتن الكثيرة التي تهجم على الامة من كل صوب، أليست «اسرائيل» والانظمة الطاغوتية ومن ورائهما قوى الاستكبار العالمي هي فتن هذه الامة؟.

(وتظاهر الزمان علينا) فروسيا تغزو امتنا من جهة، واميركا تتآمر من جهة اخرى، وفرنسا من جهة ثالثة وبريطانيا من جهة رابعة، وهكذا

تتحالف كل قوى الشر ضدنا:

[وتظاهر الزمان علينا فصلًا على محمد
وآله واعتنا على ذلك بفتح منك
تعجله، وبضر تكشفه، ونصر تعزه،
وسلطان حق تظهره، ورحمة منك
تجللناها، وعافية منك تلبسناها،
برحمتك يا ارحم الراحمين].

١٣ - الإيمان بالآخرة

[اللهم بِرَحْمَتِكَ فِي الصَّالِحِينَ فَأَدْخِلْنَا، وَفِي عَلِيِّينَ فَارْفَعْنَا،
وَبِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ مِنْ عَيْنٍ سَلْسَبِيلٍ فَاسْقِنَا، وَمِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ بِرَحْمَتِكَ
فَرَوِّجْنَا، وَمِنَ الْوِلْدَانِ الْمُخَلَّدِينَ كَأَنَّهُمْ لَوْلُو مَكْتُونٍ فَأَخِدْنَا، وَمِنَ ثَمَارِ
الْجَنَّةِ، وَلُحُومِ الطَّيْرِ فَأَطْعِمْنَا، وَمِنَ ثِيَابِ السُّنْدُسِ وَالْحَرِيرِ وَالْأَسْتَبْرَقِ
فَالْبِسْنَا، وَلَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَحَجَّ بَيْتِكَ الْحَرَامِ، وَقَتْلًا فِي سَبِيلِكَ فَوْقَ لَنَا،
وَصَالِحِ الدُّعَاءِ وَالْمَسْأَلَةِ فَاسْتَجِبْ لَنَا، وَإِذَا جَمَعْتَ الْأَوْلِيْنَ وَالْآخِرِينَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَارْحَمْنَا، وَبِرَاءَةً مِنَ النَّارِ فَارْحَمْنَا، وَفِي جَهَنَّمَ فَلَا تَغْلُنَّا،
وَفِي عَذَابِكَ وَهَوَانِكَ فَلَا تَبْتَلِنَا، وَمِنَ الزَّفَرِ وَالضَّرِيعِ فَلَا تُطْعِمْنَا، وَمَعَ
الشَّيَاطِينِ فَلَا تَجْعَلْنَا، وَفِي النَّارِ عَلَيَّ وَجُوهِنَا فَلَا تَكْبُئْنَا، وَمِنَ ثِيَابِ
النَّارِ، وَسَرَابِيلِ الْقَطْرَانِ فَلَا تُلْبِسْنَا، وَمِنَ كُلِّ سُوءٍ يَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
بِحَقِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ فَتَجَنَّبْنَا ..] (١)

(١): بعد ان انتهى التأمل في دعاء الافتتاح الذي كان واحداً من الادعية الجامعة، نبدأ التأمل في الدعاء الصغير الذي يُقرأ عادة بعد دعاء الافتتاح ذلك لأن دعاء الافتتاح لم يركز بما فيه الكفاية على مسألة الايمان بالآخرة.

ان الايمان بيوم البعث هو جزء اساسي من العقائد الاسلامية التي تؤكد الادعية - في بعض جوانبها - على ترسيخها في النفس، وتجدر الاشارة الى ان هنالك فرقاً بين ترسيخ العقيدة وبين شرحها وبيانها، فشرح العقيدة، قد يكون عبر حديث عقلائي، بينما ترسيخ العقيدة لا يكون الا عبر معاناة نفسية وتفاعل نفسي بين الانسان وبين تلك العقيدة، مثلاً هناك فرق واضح بين أن تؤمن بالآخرة ايماناً مبنياً على البراهين والادلة العقلية، وبين ان تؤمن بها عبر تصور مشاهد الآخرة. فتتصور مشهدك وانت محمول على اكتاف الاصدقاء الى مثواك الاخير، لا تعرف ما هو مصيرك، وتتصور نفسك وانت مفترش على المغتسل تقلبك ايدي الصالحين من اخوانك او جيرانك، وتتصور تلاشي جسمك في القبر، ثم خروجك من قبرك عرياناً ذليلاً لا تعرف الى أين تتجه، تقف خمسين الف عاماً في صحراء المحشر، تلك الصحراء المحفوفة بالمخاطر والاهوال، وهكذا تتصور النار والجنة، وتتصور العقاب والنعيم.

ان كل هذه التصورات هي التي ترسخ العقيدة في ذهنك وليس مجرد الاعتقاد استدلالي البرهاني، ان الايمان بالآخرة يجب ان يترسخ في النفس الى درجة يجعل الانسان هذا الايمان جزءاً من تفكيره وتوجهاته.

يقول احد علماء الغرب واسمه (براتراتسن) في كتابه المسمى (في التربية):

«إن رجال الكهنوت يربون أولادهم على الايمان بالآخرة والعمل من أجلها».

ثم يضيف الكاتب:

أنا شخصياً لا أومن بالآخرة، لكن الذي يؤمن بالآخرة و يؤمن بانه سيعيش هناك طويلاً، خالداً، أما في النار والعذاب واما في الجنة والنعيم، لا بد ان يربي ابنه على هذا الاساس، لان الدنيا بالنسبة الى ذلك اليوم لا شيء، فما هي قيمة سبعين سنة اذا قيست بملايين السنين؟ هي لحظة واحدة فقط، اذن الذي يؤمن بالآخرة لا يمكنه أن يعيش كما يعيش الذي لا يؤمن بها، فهناك إختلاف واسع بين حياتهما.

جاء في بعض الاحاديث:

(عجبت لمن أيقنَ بالموتِ كيف

يضحك؟)

ان تصور الموت وحده، وتصور هذه النهاية التي لا عودة منها، يكفي لكي يجعلك لا تضحك ابداً في حياتك، فكيف بتصور ما وراء الموت، والموت هو من ابسط مراحل يوم القيامة، ان الموت الذي يخافه الانسان في دنياه، يتمناه اهل النار يوم القيامة، لانه اسهل بكثير من احوال العذاب والنار، تقول الاية الكريمة:

*ونادوا يا مالِك ليقضِ علينا ربك

قال انكم ما كثون*

(٧٧/الزخرف)

وفي المجمع عن أمير المؤمنين (ع) في تفسير هذه الآية قال: ان اهل النار ولضعفهم لم يتلفظوا القول بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا ليقض علينا ربك يعني: سل ربك أن يقضي علينا، أن يميتنا، قال انكم ما كثون لا خلاص لكم بموت وغيره.

إذن، فالإيمان المجرد بوجود الآخرة، يختلف عن تصور الانسان وعن المراحل التفصيلية لها. وربما تشير الى ذلك كلمة الظن في الآية الكريمة التالية، حينما يقول ربنا:

* واستعينوا بالصبر والصلاة وانها
لكبيرة الا على الخاشعين* الذين
يظنون انهم ملاقور بهم، وانهم اليه
راجعون*

(٤٥-٤٦/البقرة)

ان كلمة (الظن) ربما تهدي الى هذا (التصور) اي ان تصورك للقاء الحافل الحاسم الذي يجري بينك وبين الله سبحانه وتعالى، هذا التصور يهز ضميرك، يهزك من الاعماق، والادعية الماثورة تخلق لنا هذا التصور حينما تتعرض لمسألة الآخرة، وتفاصيل الموت والحشر والعذاب والنعيم.

والدعاء التالي الذي سنتأمل فيه قد جاء في سياق ترسيخ الايمان

(اللهم برحمتك في الصالحين فادخلنا وفي عليين فارفعنا)، ليس المهم ان يُكتب اسمك في الجرائد والمجلات، او يُبث اسمك في الاذاعة، انما المهم ان يُدخلك الله سبحانه وتعالى في جبهة الصالحين، وان يرفعك في اعلى عليين، فكم يحتاج الانسان الى ترسيخ ايمانه و يقينه، حتى يربي في نفسه هذه الصفة، حتى لا يفكر في من يتكلم عنه، لا يفكر في الشهرة، لا يفكر في اقوال الناس حوله، وانما يفكر فقط - في موقف الله منه، وكيف ينظر الله اليه، وهل يرفعه في عليين أم لا؟

ان التاريخ يشهد ان اناساً ملكوا العالم كله، الا انهم اندحروا وانتهوا لانهم لم يكونوا من الصالحين.

فرعون كان في عصره اقوى من أمريكا وروسيا اليوم، واقوى من كل دول العالم في عصره، ولكن اين هو فرعون اليوم؟ لم يبق منه إلا جسده المحنط في متاحف القاهرة والذي جعله الله عبرة للاخرين.

إذن، فليست الشهرة الدنيوية هي المهمة، انما المهم هو ان يرتفع شأنك عند الله سبحانه وتعالى.

ومثال قرآني اخر: هل يعرف احد اسماء السحرة الذين امنوا برب موسى، وتمردوا على فرعون، وضحوا من اجل ايمانهم؟ لا احد يعرف شيئاً عنهم الا ان الله رفعهم في اعلى عليين.

ا وبكأس من معين من عين سلسبيل

فاسقنا ا

قرأت في بعض الاحاديث ان هناك حوض ماء يشرب منه المؤمنون قبل الدخول في الجنة، وهو الذي يسمى (بحوض الكوثر) وهذا الماء - حسب الروايات- يحمل عدة خصائص، من أهمها:

١- حينما يموت الانسان، فان جسمه سيتغير كثيراً، ثم حينما يُبعث من جديد و ينشر في صحراء المحشر المحفوف بالاهوال، والذي يقول عنه ربنا سبحانه وتعالى:

* فكيف تتقون ان كفرتم يوماً يجعل

الولدان شيئاً *

(١٧/الزمل)

فان جسمه يصاب بتغيرات اكثر و يصبح مشوهاً وذلك لان صحراء المحشر رغم انها كبيرة وواسعة جداً، الا انها مزدحمة بمليارات البشر، وفيها تلال وحفر وعقارب ونيران وعذاب وظلمة، ومن جهة ثالثة فان اكثر الناس يدخلون نار جهنم ولو لفترات قصيرة جداً:

* وان منكم الا واردها كان على

ربك حتماً مقضياً *

(٧١/مريم)

وذلك من اجل تطهير الناس من ذنوبهم، اذا لم تكن قد مُحيت بالاستغفار في الدنيا، وحينما يخرج هذا الجسم من النار يحمل، بلا شك،

(ومن الحور العين برحمتك فزوجنا)، الحور جمع (حوراء) وهي تعني المرأة ذات العين التي اشتد سواد سوادها، وبياض بياضها، اي لم يخالط البؤبؤ لون اخر غير السواد، كما لم يخالط البياض اية الوان اخرى، و(العين) جمع (عيناء) وهي تعني المرأة ذات العينين الواسعتين. اذن، فان كلتا الصفتين تعودان الى العين باعتبار عين الانسان تحمل الكثير من معالم الجمال بل وتجسد جمال الانسان، باعتبار الروح تتجلى عبر العين (ومن الحور العين برحمتك فزوجنا، ومن الولدان المخلدين كانهم لؤلؤ مكنون فاخدمنا)، والولدان المخلدون هم مجموعات كبيرة من الشباب الصغار الذين يسخرهم الله لخدمة المؤمنين في الجنة، وتهيئة كل وسائل الراحة، والرفاه لهم، فهم يقدمون للمؤمن كل الخدمات التي يطلبها، (ومن الولدان المخلدين كأنهم لؤلؤ مكنون فاخدمنا)، اللؤلؤ هو شيء جميل جداً، ولكن قد صورة مشوهة وعاهات مؤلمة، ولكي يتخلص الانسان المؤمن من تغيرات القبر، وتشوهات صحراء المحشر، وعاهات وامراض جهنم، فانه يشرب من هذه الماء قبل دخول الجنة.. هذا الماء الذي يُعيد جسم الانسان الى اجمل صورته في ريعان الشباب ثم بعد ذلك يدخل الجنة.

٢- ان هذا الماء هو ماء الحياة، ومن يشرب منه فانه لا يصيبه الموت ولا يصيبه تعب ولا نصب ولا مرض، ومن هنا فان المؤمن يدخل الجنة شاباً جميلاً معافى من جهة، ومحصناً ضد اية سلبيات وامراض جسمية من جهة ثانية بفضل هذا الماء، يقول الدعاء: (وبكأس من معين، من عين سلسبيل فاسقنا).

يعتريه شيء من الغبار، اما اللؤلؤ الذي كان مكنوناً فانه يتألق بياضاً
وجملاً حينما يخرج الى النور، كذلك هم الولدان المخلدون (ومن ثمار الجنة
ولحوم الطير فاطعمنا)، وفي الجنة ثمار ولحوم مختلفة تقدم للانسان حسبما
يشتهي، اما بالنسبة الى الطير فان المستفاد من الروايات هو ان طيور الجنة
تخلق في الاجواء في اسراب جماعية، وحينما يشتهي المؤمن واحداً منها،
يكفي ان يشير اليه حتى يحضر امامه فوراً وعلى صورة طبق مشوي،
والاغرب من ذلك، هو انه بعد ان يأكل المؤمن منه، فان الطير تتجمع
اجزائه و يعود الى الطيران من جديد مفتخراً على سائر الطيور لان المؤمن
قد أكل منه.

وفي الحقيقة فان المؤمن مَلِك في الجنة، وتصبح الملائكة، والحور،
والولدان، والطيور، والاشجار، والانهار، وكل شيء رهن اشارته. وحسب
ما جاء في بعض الاحاديث، فان المؤمن يملك في الجنة من الارض
والخدم، ومن القاعات والبيوت والخيول والاشجار ما يمكنه ان يدعو جميع
اهل الارض الى وليمة طعام في يوم واحد.

(ومن ثياب السندس والحرير والاستبرق فالبسنا)، الثوب الحرير معروف،
اما السندس فهو الديباج الرقيق، واما الاستبرق فهو الديباج الغليظ، او
الحرير المنسوج مع خيوط الذهب.

كانت هذه هي تطلعات المؤمن في الآخرة، اما للوصول اليها فنحن
بحاجة الى توفيق الهى في الدنيا، يكون طريقاً للوصول الى الجنة ونعيمها

الدائم، وهو كالتالي:

(وليلة القدر، وحج بيتك الحرام، وقتلاً في سبيلك فوفق لنا)، فالذي يوفقه الله تعالى لتغيير نفسه في ليلة القدر والبدء بحياة جديدة، يكون فيها رضا الله سبحانه وتعالى، ثم يحج بيت الله الحرام، معلناً بذلك رفضه لكل الآلهة المزيفة على الارض والطواغيت الذين يجعلون من انفسهم انداداً لله، ثم تدركه الشهادة مجاهداً في سبيل دينه وربه، فانه يكون من اهل الجنة بلا شك، والانسان لا بد ان يدركه الموت، ولكن ما احلى الموت حينما ياتي عبر الشهادة، وان اهم فوائد الشهادة في سبيل الله، هو غفران ذنوبه كلها، لان الله تعالى يشهد للقتيل في سبيله بالجنة.

(وصالح الدعاء والمسألة فاستجب لنا)، إننا ندعو الله كثيراً، ولكن بعض هذه الادعية قد لا تكون مفيدة لنا، اذن فاننا نسأل الله أن يستجيب الدعاء الصالح من دعواتنا.

(واذا جمعت الاولين والآخرين يوم القيامة فارحمنا)، تقول الروايات ان الله سبحانه وتعالى قسم رحمته الى مئة جزء، نشر جزءاً واحداً منها على اهل الدنيا، وادخر تسعة وتسعين جزءاً منها ليوم القيامة، فرحمة الله واسعة في هذا اليوم، ولولا رحمة الله لهلك الناس اجمعون، وربما نستطيع ان نقول: لولا رحمة الله لما دخل في الجنة احد. ونشير هنا الى قصة ذلك الرجل العابد الزاهد الذي كان متفرغاً للعبادة والصلاة والابتهاال، وكان يدعو الله دائماً ان يُدخله الجنة بعمله هو، وليس برحمته سبحانه.

وفي احدى الليالي رأى في الحلم ان القيامة قد قامت، وقد جاء دوره للحساب، ونُصب امامه الميزان ثم وضعت أعماله في احدى كفتي الميزان، فاذا بها كثيرة، من صلوات وابتهالات وعبادات وما الى ذلك، اما الكفة الثانية فلم توضع فيها ذنوب، اما لانه لم تكن له ذنوب تُذكر، او ان الله كان قد غفر له ذنوبه، وانما وضعت فيها رمانة واحدة كان قد اكلها في حياته، وكانت هي -بالطبع- نعمة واحدة من ملايين نعم الله الاخرى عليه، واذا بكفة الرمانة ترجح على كفة الاعمال الصالحة الكثيرة، فاكتشف الرجل خطأ تصوره، اذ ان كل اعماله في الدنيا لم تكن تساوي رمانة واحدة من نعم الله عليه.

اذن، فاننا مهما نكون صالحين ومطهرين من الذنوب والمعاصي، فاننا نكون بحاجة الى رحمة الله في الاخرة، تماماً كما في الدنيا.

(وبراءة من النار فاكتب لنا)، نفهم من هذا ان الذين لا يدخلون النار ينبغي ان تكون لديهم (براءة) مخصوصة تكون بمثابة بطاقة دخول الجنة، ويبدو من بعض الاحاديث ان نار جهنم تفصل بين صحراء المحشر، وبين الجنة، والذي يدخل الجنة لا بد ان ينطلق عبر جهنم، فالذي يملك (براءة) من النار فانه يعبر جهنم عن طريق الجسر المسمى بـ(الصراط) وهناك من يتمتع بامتيازات كبيرة فانه يعبر جهنم في فترة قصيرة جداً، وقبل ان يرتد اليه طرفه. اما الذي لا يملك بطاقة (البراءة) فانه يجب ان يدخل نار جهنم ثم يخرج منها شاقاً طريقه الى الجنة.

اذا دخل من هذا الجانب متى يخرج؟ الله العالم، حسب ذنوبه. أما أنه اذا دخل في جهنم فمتى يخرج منها؟ فان هذا يرتبط بحجم ذنوبه وأعماله الصالحة والسيئة، وتقول الروايات ان بعض الناس يمكث في جهنم ثلاثمائة ألف عام، لكي تُصْفى اجسامهم، وتُزَكى نفوسهم من آثار الذنوب والمعاصي، ثم يدخلون بعد ذلك الجنة، اذن فاننا ندعو الله: (وبراءة من النار فاكتب لنا، وفي جهنم فلا تغلنا)، وفي جهنم اغلال من نار تحيط باصحابها، والغل قد يكون سبعين ذراعاً بحيث يُلف به الانسان من قدمه الى رأسه.

(وفي عذابك وهوانك فلا تبتلنا)، أي لا تمتحننا بتسليط العذاب والهوان علينا، (ومن الزقوم والضريع فلا تطعمنا)، ان الزقوم هونوع من اشجار النار كما تشعر بذلك الايات القرآنية التالية التي تصف الزقوم:

* انها شجرة تخرج في أصل الجحيم *

طلعها كأنه رؤوس الشياطين * فانهم

لا ياكلون منها فمالمثلون منها البطون *

(٦٤-٦٦/الصافات)

والزقوم - كما قيل - اسم شجرة صغيرة الورق، مرة، كريهة الرائحة، ذات لبن اذا اصاب جسد الانسان ادى به الى اورام خبيثة.

أما الضريع فهو نوع اخر من طعام اهل النار، تشير اليه الآية السادسة من سورة الغاشية:

* ليس لهم طعام إلا من ضريع * لا
يُسمن ولا يغني من جوع *

(الغاشية/٦-٥)

وقيل: الضريع هو اخبث وابشع انواع الشوك.

(ومع الشياطين فلا تجعلنا)، كل انسان في النار يجد الى جانبه شيطانه الذي كان يوسوس له في الدنيا، والشيطان يلاقي جزاءه في النار و يُعذَّب، الا انه يؤذي صاحبه في نفس الوقت أيضاً.

(وفي النار على وجوهنا فلا تكبنا)، ان الله وضع نار جهنم اساساً في مكان عميق جداً، لذلك فان المجرمين يكبون على وجوههم في النار، وبعض المجرمين يُلقى بهم في نار جهنم وتستغرق فترة سقوطهم حتى وصولهم الى قعر جهنم مدة سبعين سنة، فنسأل الله ان لا يكبنا على وجوهنا في النار.

(ومن ثياب النار وسراويل القطران فلا تلبسنا)، القطران هي مادة سوداء نتنة تظلي بها اجسامهم فتصير كالسراويل عليهم.

والنيران تحيط باهل النار حتى تصبح وكأنها الثياب تغطيهم.

(ومن كل سوء يا لا اله الا انت، بحق لا اله الا انت فنجنا)، فالله تعالى هو القادر على ان ينجينا من كل سوء في الدنيا والاخرة، ولكن علينا نحن ان نسأل الله بجد والحاح ان يفعل ذلك بنا.

دعاء الإفتتاح

وفي الختام نسأل الله العلي القدير ان يوفقنا: للتبتل اليه عبر الادعية الماثورة. وفي طليعتها: دعاء الافتتاح الذي نثبت فيما يلي النص الكامل له. ولدعاء الصالحين اتماماً للقائدة.

﴿ اَللّٰهُمَّ اِنِّيْ اَفْتِيْحُ الشَّاءَ بِحَمْدِكَ ، وَاَنْتَ مُسَدِّدٌ لِلصَّوَابِ بِمَنْكَ ، وَاَيَقَنْتُ اَنْكَ اَنْتَ اَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ فِي مَوْضِعِ الْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ ، وَاَشَدُّ الْمُعَاقِبِيْنَ فِي مَوْضِعِ النِّكَالِ وَالنَّقِمَةِ ، وَاَعْظَمُ الْمُتَجَبِّرِيْنَ فِي مَوْضِعِ الْكِبْرِيَاءِ وَالْعِظْمَةِ ، اَللّٰهُمَّ اذْنَتْ لِيْ فِي دُعَائِكَ وَمَسْأَلَتِكَ ، فَاسْمَعْ يَا سَمِيْعُ مِدْحَتِيْ ، وَاَجِبْ يَا رَحِيْمُ دَعْوَتِيْ ، وَاَقِلْ يَا غَفُوْرُ عَثْرَتِيْ ، فَكَمْ يَا اِلٰهِيْ مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ فَرَجْتَهَا ، وَهَمُوْمٍ -[عُمُوْمٍ]- قَدْ كَشَفْتَهَا ، وَعَثْرَةٍ قَدْ اَقَلْتَهَا ، وَرَحْمَةٍ قَدْ نَشَرْتَهَا ، وَحَلَقَةٍ بَلَاءٍ قَدْ فَكَّكْتَهَا ، الْحَمْدُ لَهِ الَّذِيْ لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَّلَا وَلَدًا ، وَّلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيْكٌ فِي الْمُلْكِ ، وَّلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنْ الدُّلِّ ، وَكَبِيْرُهُ تَكْبِيْرًا ، الْحَمْدُ لَهِ بِجَمِيْعِ مَخَامِيْدِهِ كُلِّهَا ، عَلٰى جَمِيْعِ نِعَمِهِ كُلِّهَا ، الْحَمْدُ لَهِ الَّذِيْ لَا مُضَادَّ لَهُ فِي مُلْكِهِ ، وَلَا مُنَازِعَ لَهُ فِي اَمْرِهِ ، الْحَمْدُ لَهِ الَّذِيْ لَا شَرِيْكَ لَهُ فِي خَلْقِهِ ، وَلَا شَبِيْهَ -[شِبْهٍ]- لَهُ فِي عِظَمَتِهِ ، الْحَمْدُ لَهِ الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ اَمْرُهُ ، وَحَمْدُهُ الظَّاهِرِ بِالْكَرَمِ مَجْدُهُ ، الْبَاسِطِ بِالْجُوْدِ يَدُهُ ، الَّذِيْ لَا تَنْقُصُ خَزَائِنُهُ ، وَلَا يَزِيْدُهُ كَثْرَةُ الْعَطَاءِ ، اِلَّا جُوْدًا وَكِرَمًا ، اِنَّهُ هُوَ الْعَزِيْزُ الْوَهَّابُ ، اَللّٰهُمَّ اِنِّيْ اَسْأَلُكَ قَلِيْلًا مِنْ كَثِيْرٍ ، مَعَ حَاجَةٍ بِيْ اِلَيْهِ

دعاء الافتتاح

عَظِيمَةٍ ، وَغِنَاكَ عَنْهُ قَدِيمٌ ، وَهُوَ عِنْدِي كَثِيرٌ ، وَهُوَ عَلَيْكَ سَهْلٌ
يَسِيرٌ ، اَللّٰهُمَّ اِنَّ عَفْوَكَ عَن ذَنْبِي وَتَجَاوُزَكَ عَن خَطِيئَتِي ، وَصَفْحَكَ
عَن ظُلْمِي ، وَسِتْرَكَ عَلَيَّ - [عن] - قَبِيحِ عَمَلِي ، وَحِلْمَكَ عَن كَثِيرِ
- [كَبِيرِ] - جُرْمِي ، عِنْدَ مَا كَانَ مِنِّى خَطَايَا ، وَعَمْدِي اَطْمَعَنِي فِي اَنْ
اَسْأَلَكَ مَا لَا اَسْتَوْجِبُهُ مِنْكَ ، الَّذِي رَزَقْتَنِي مِنْ رَحْمَتِكَ ، وَاَرَيْتَنِي
مِنْ قُدْرَتِكَ ، وَعَرَّفْتَنِي مِنْ اِجَابَتِكَ ، فَصَرْتُ
اَدْعُوكَ اٰمِنًا ، وَاَسْأَلَكَ مُسْتَأْنِسًا ، لَا خَائِفًا وَلَا
وَجَلًا ، مُدِلًّا عَلَيْكَ فِيمَا قَصَدْتُ فِيهِ - [به] - اِلَيْكَ ، فَاِنْ اَبْطَأَ عَنِّي
- [عَلَيَّ] - عَتَبْتُ بِجَهْلِي عَلَيْكَ ، وَلَعَلَّ الَّذِي اَبْطَأَ عَنِّي هُوَ خَيْرٌ لِّي ،
لِعِلْمِكَ بِعَاقِبَةِ الْاُمُورِ ، فَلَمْ اَرَ مَوْلَى - [مُؤْمَلًا] - كَرِيْمًا اَصْبَرَ عَلَيَّ
عَبْدٌ لِّئِيْمٍ مِنْكَ عَلَيَّ يَا رَبِّ ، اِنَّكَ تَدْعُوْنِي فَاَوْلِيَّ عَنكَ ، وَتَتَحَبَّبُ
اِلَيَّ فَاتَبَغَّضْ اِلَيْكَ ، وَتَتَوَدَّدْ اِلَيَّ فَلَا اَقْبَلُ مِنْكَ ، كَاَنَّ لِي التَّطَوَّلَ
عَلَيْكَ فَلَمْ ، - [ثُمَّ لَمْ] - يَمْنَعَكَ ذَلِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ لِي ، وَاَلِاِحْسَانِ
اِلَيَّ ، وَاَلتَّفَضُّلِ عَلَيَّ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ ، فَاَرْحَمْ عَبْدَكَ الْجَاهِلَ ، وَجُدْ
عَلَيْهِ بِفَضْلِ اِحْسَانِكَ ، اِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيْمٌ ، اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ مَالِكِ الْمُلْكِ ،
مُجْرِي الْفُلْكِ ، مُسَخِّرِ الرِّيَّاحِ ، فَالِقِ الْاَصْبَاحِ ، دِيَانَ الدِّينِ ،
رَبِّ الْعَالَمِيْنَ ، اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَيَّ حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ ، وَاَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَيَّ
عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ ، وَاَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَيَّ طَوْلِ اَنَاتِهِ فِي غَضَبِهِ ، وَهُوَ
قَادِرٌ - [الْقَادِرُ] - عَلَيَّ مَا يُرِيدُ . اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ خَالِقِ الْخَلْقِ ، بَاسِطِ

دعاء الإفتتاح

الرِّزْقِ ، فَالِقِ الْإِصْبَاحِ ، ذِي الْجَلَالِ وَالْإِسْرَامِ ، وَالْفَضْلِ
 -[وَالْتَفَضْلِ]- وَالْإِنْعَامِ -[الْإِحْسَانِ]- ، الَّذِي بَعْدَ فَلَا يُرَى ، وَقَرَبَ
 فَشَهْدَ النَّجْوَى ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مُنَارِعُ
 يُعَادِلُهُ ، وَلَا شَبِيهٌ يُشَاكِلُهُ ، وَلَا ظَهِيرٌ يُعَاضِدُهُ ، قَهَرَ بِعِزَّتِهِ
 الْأَعْرَاءَ ، وَتَوَاضَعَ لِعِظَمَتِهِ الْعُظْمَاءَ ، فَبَلَغَ بِقُدْرَتِهِ مَا يَشَاءُ ، الْحَمْدُ
 لِلَّهِ الَّذِي يُجِيبُنِي حِينَ أُنَادِيهِ ، وَيَسْتُرْ عَلَيَّ كُلَّ عَوْرَةٍ وَأَنَا أَعْصِيهِ ،
 وَيُعْظِمُ النِّعْمَةَ عَلَيَّ فَلَا أُجَازِيهِ ، فَكَمْ مِنْ مَوْهَبَةٍ هَيَّئَتْهُ قَدْ أَعْطَانِي ،
 وَعَظِيمَةٍ مَخُوفَةٍ قَدْ كَفَانِي ، وَبَهْجَةٍ مُوْنِقَةٍ قَدْ أَرَانِي ، فَأُثْنِي عَلَيْهِ
 حَامِداً ، وَأَذْكُرُهُ مُسَبِّحاً ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُهْتَكُ حِجَابُهُ ، وَلَا
 يُغْلَقُ بَابُهُ ، وَلَا يُرَدُّ سَأَلُهُ ، وَلَا يُخَيَّبُ -[يُخَيَّبُ]- أَمَلُهُ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ
 الَّذِي يُؤْمِنُ الْخَائِفِينَ ، وَيُنَجِّي -[يُنَجِّي]- الصَّالِحِينَ -[الصَّادِقِينَ]-
 وَيَرْفَعُ الْمُسْتَضْعَفِينَ ، وَيَضَعُ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، وَيُهْلِكُ مُلُوكاً
 وَيَسْتَخْلِفُ آخَرِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قَاصِمِ الْجَبَّارِينَ ، مُبِيرِ الظَّالِمِينَ ،
 مُدْرِكِ الْهَارِبِينَ ، نَكَالِ الظَّالِمِينَ ، صَرِيخِ الْمُسْتَصْرِخِينَ ، مَوْضِعِ
 حَاجَاتِ الطَّالِبِينَ ، مُعْتَمَدِ الْمُؤْمِنِينَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْ
 حَشِيَّتِهِ تَرَعَدُ السَّمَاءُ وَسَكَّانُهَا ، وَتَرَجُّفُ الْأَرْضُ وَعَمَارُهَا ،
 وَتَمُوجُ الْبَحَارُ وَمَنْ يَسْبَحُ [يُسَبِّحُ] فِي عَمْرَاتِهَا ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا
 لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَخْلُقُ وَلَمْ يَخْلُقْ ،
 وَيَرْزُقُ وَلَا يُرْزَقُ ، وَيُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ ، وَيُمِيتُ الْأَحْيَاءَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى

دعاء الإفتتاح

وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ، وَأَمِينِكَ وَصَفِيكَ ، وَحَبِيبِكَ وَخَيْرِكَ -[خَلِيلِكَ]- مِنْ خَلْقِكَ ، وَحَافِظِ سِرِّكَ ، وَمُبَلِّغِ رِسَالَتِكَ ، أَفْضَلَ وَأَحْسَنَ وَأَجْمَلَ ، وَأَكْمَلَ وَأَزْكَى وَأَنَمَى ، وَأَطْيَبَ وَأَطْهَرَ وَأَسْنَى ، وَآكْثَرَ -[أَكْبَرَ]- مَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ ، وَتَرَحَّمْتَ وَتَحَنَّنْتَ ، وَسَلَّمْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِكَ -[خَلْقِكَ]- ، وَأَنْبِيَائِكَ وَرُسُلِكَ، وَصِفْوَتِكَ وَأَهْلِ الْكِرَامَةِ عَلَيْكَ، مِنْ خَلْقِكَ [اَللَّهُمَّ] وَصَلِّ عَلَى عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَصِيِّ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، عَبْدِكَ وَوَلِيِّكَ ، وَأَخِي رَسُولِكَ ، وَحُجَّتِكَ عَلَى خَلْقِكَ ، وَآيَتِكَ الْكُبْرَى ، وَالنَّبَأِ الْعَظِيمِ ، وَصَلِّ عَلَى الصِّدِّيقَةِ الطَّاهِرَةِ ، فَاطِمَةَ [الزَّهْرَاءِ] سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ، وَصَلِّ عَلَى سِبْطِي الرَّحْمَةِ ، وَإِمَامِي الْهُدَى ، الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ، سَيِّدَيِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَصَلِّ عَلَى أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ ، عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَمُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ، وَعَلِيِّ بْنِ مُوسَى ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَالْخَلْفِ الْهَادِي الْمَهْدِيِّ ، حُجَجِكَ عَلَى عِبَادِكَ ، وَأُمَّتِكَ فِي بِلَادِكَ ، صَلَاةً كَثِيرَةً دَائِمَةً ، اَللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى وَلِيِّ أَمْرِكَ الْقَائِمِ الْمُؤَمَّلِ ، وَالْعَدْلِ الْمُتَنْظَرِ ، وَحُفَّهُ -[وَاحْفُفَّهُ]- بِمَلَائِكَتِكَ الْمُقْرَبِينَ ، وَأَيْدِهِ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ، اَللَّهُمَّ اجْعَلْهُ الدَّاعِيَ إِلَى كِتَابِكَ ، وَالْقَائِمَ بِدِينِكَ ،

دعاء الإفتتاح

اسْتَخْلِفُهُ فِي الْأَرْضِ ، كَمَا اسْتَخْلَفْتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ ، مَكِّنْ لَهُ دِينَهُ
الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لَهُ ، أَبَدِلْهُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِ أَمْنًا ، يَعْبُدُكَ لَا يُشْرِكُ بِكَ
شَيْئًا ، اللَّهُمَّ اعِزَّهُ وَأَعِزِّزْ بِهِ ، وَأَنْصُرْهُ وَأَنْتَصِرْ بِهِ ، وَأَنْصُرْهُ نَصْرًا
عَزِيزًا ، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحًا سَيِّرًا ، وَاجْعَلْ لَهُ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا
نَصِيرًا ، اللَّهُمَّ أَظْهِرْ بِهِ دِينَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ ، حَتَّى لَا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ
مِنَ الْحَقِّ ، مَخَافَةَ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغِبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ
كَرِيمَةٍ تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ ، وَتُذِلُّ بِهَا الْبَغْيَ وَأَهْلَهُ ، وَتَجْعَلُنَا
فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ ، وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ ، وَتَرْزُقُنَا بِهَا
كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ مَا عَرَفْتَنَا مِنَ الْحَقِّ فَحَمِلْنَاهُ ، وَمَا
قَصُرْنَا عَنْهُ فَبَلِّغْنَاهُ ، اللَّهُمَّ الْمُمْ بِهْ شَعْنَنَا ، وَأَشْعَبْ بِهِ صَدْعَنَا ،
وَارْتُقْ بِهِ فَتَقْنَا ، وَكَثِّرْ بِهِ قِلَّتَنَا ، وَأَعِزِّزْ -[اعز]- بِهْ ذِلَّتَنَا ، وَأَغْنِ بِهْ عَائِلَتَنَا ،
وَأَقْضِ بِهْ عَنَّا مُغْرَمِنَا -[مغرمنا]- ، وَأَجْبِرْ بِهْ فَقْرَنَا ، وَسُدِّ بِهْ خَلَّتَنَا ،
وَيَسِّرْ بِهْ عُسْرَنَا ، وَيَبِيضْ بِهْ وُجُوهَنَا ، وَفُكِّ بِهْ أَسْرَنَا ، وَأَنْجِحْ بِهْ
طَلِبَتَنَا ، وَأَنْجِزْ بِهْ مَوَاعِيدَنَا ، وَاسْتَجِبْ بِهْ دَعْوَتَنَا ، وَأَعْطِنَا بِهْ سُؤْلَنَا ،
وَبَلِّغْنَا بِهْ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ آمَالَنَا ، وَأَعْطِنَا بِهْ فَوْقَ رَغْبَتِنَا ، يَا خَيْرَ
الْمَسْئُولِينَ ، وَأَوْسَعَ الْمُعْطِينَ ، أَشْفِ بِهْ صُدُورَنَا ، وَأَذْهِبْ بِهْ غَيْظَ
قُلُوبِنَا ، وَاهْدِنَا بِهْ لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ
تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَأَنْصُرْنَا بِهْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّنَا ، إِلَهَ
الْحَقِّ -[الخلق]- آمين ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ فَقَدْ نَبِينَا ، صَلَوَاتُكَ

عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَغَيْبَةَ وَليْنَا - [إِمامِنَا] - ، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا ، وَقِلَّةَ عَدَدِنَا ،
 وَشِدَّةَ الْفِتَنِ بِنَا ، وَتَظَاهَرَ الزَّمَانِ عَلَيْنَا ، فَصَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
 - [آلِ مُحَمَّدٍ] - ، وَأَعِنَّا عَلَى ذَلِكَ بِفَتْحِ [مِنْكَ] تَعَجُّلُهُ ، وَبِضَرِّ
 تَكْشِيفُهُ ، وَنَصْرِ تَعَزُّهُ ، وَسُلْطَانِ حَقِّ تَظْهَرُهُ ، وَرَحْمَةِ مِنْكَ تُجَلِّلُنَاهَا ،
 وَغَافِيَةِ مِنْكَ تُلْبِسُنَاهَا ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ❖ .

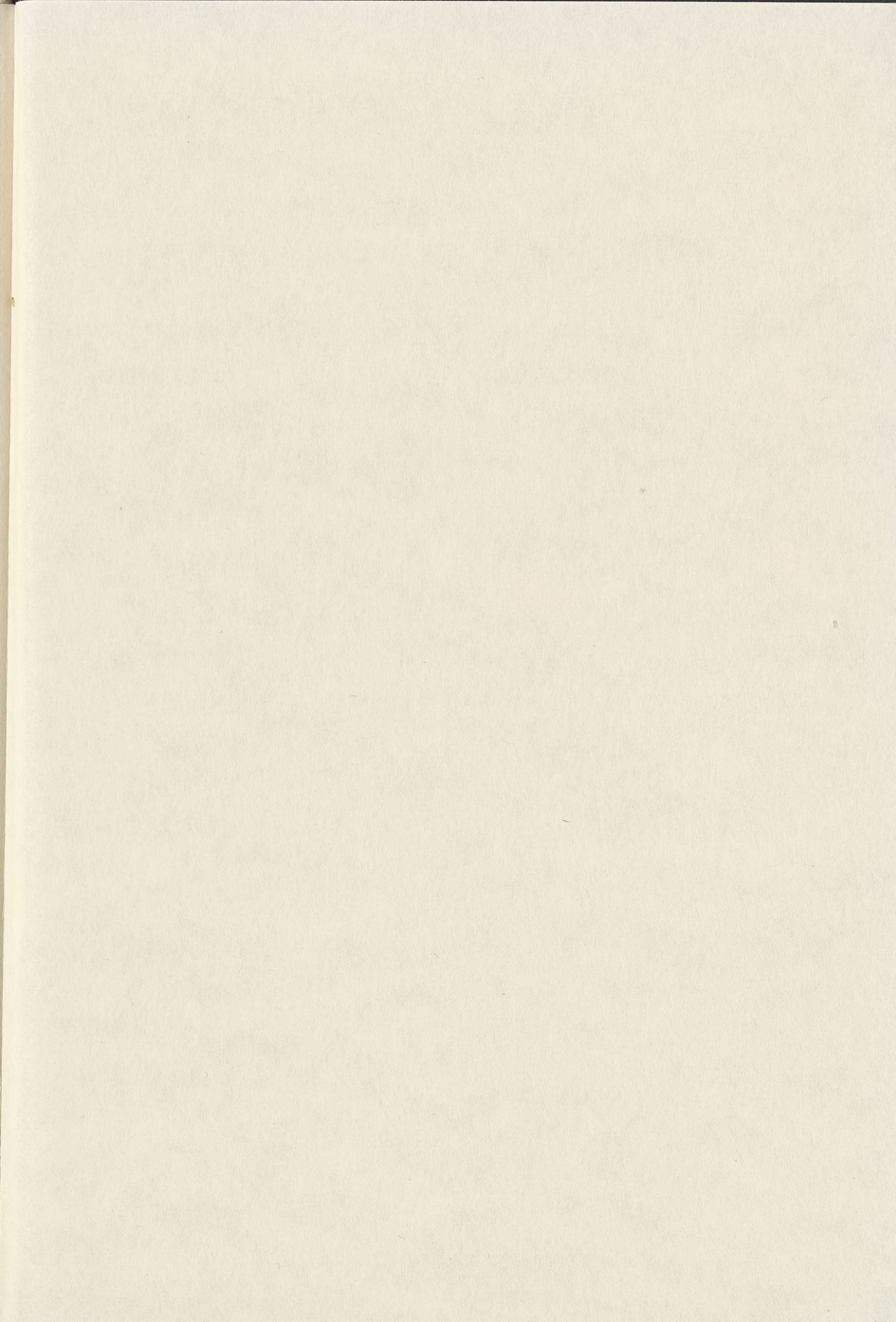
❖ اَللّٰهُمَّ بِرَحْمَتِكَ فِي الصّٰلِحِيْنَ فَادْخِلْنَا ، وَفِي عِلِّيْنَ
 فَارْفَعْنَا ، وَبِكَأْسٍ مِنْ مَعِيْنٍ ، مِنْ عَيْنٍ سَلْسَبِيْلٍ فَاسْقِنَا ، وَمِنْ
 اَلْحُوْرِ الْعَيْنِ بِرَحْمَتِكَ فَزَوِّجْنَا ، وَمِنْ الْوَلْدَانِ الْمُخَلَّدِيْنَ كَانَهُمْ لَوْلُوْ
 مَكْنُوْنٌ فَاخْدِمْنَا ، وَمِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ وَلِحُوْمِ الطَّيْرِ فَاطْعِمْنَا ، وَمِنْ
 ثِيَابِ السُّنْدُسِ وَالْحَرِيْرِ وَالْاِسْتَبْرَقِ فَالْبِسْنَا ، وَوَلِيْلَةَ الْقَدْرِ وَحَجَّ بَيْتِكَ
 الْحَرَامِ وَقْتَلًا فِي سَبِيْلِكَ فَوْقَ لَنَا ، وَصَالِحِ الدُّعَاءِ وَالْمَسْأَلَةِ
 فَاسْتَجِبْ لَنَا ، [يَا خَالِقَنَا اسْمَعْ وَاسْتَجِبْ لَنَا] وَاِذَا جَمَعْتَ
 الْاَوَّلِيْنَ وَالْاٰخِرِيْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَارْحَمْنَا ، وَبِرَّائَةِ مِنَ النَّارِ فَارْحَمْنَا ،
 وَفِي جَهَنَّمَ فَلَا تَعْلُنَا ، وَفِي عَذَابِكَ وَهَوَانِكَ فَلَا تَبْتَلِنَا ، وَمِنْ الرِّزْقِ
 وَالضَّرِيْعِ فَلَا تُطْعِمْنَا ، وَمَعَ الشَّيْطَانِيْنَ فَلَا تَجْعَلْنَا ، وَفِي النَّارِ عَلَيَّ
 وَجُوْهِنَا فَلَا تَكْبِيْنَا ، - [تَكْبِيْنَا] - ، وَمِنْ ثِيَابِ النَّارِ وَسَرَابِيْلِ الْقَطْرَانِ
 فَلَا تُلْبِسْنَا ، وَمِنْ كُلِّ سُوْءٍ يَا لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنْتَ ، بِحَقِّ لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنْتَ
 فَانْجِنَا ❖

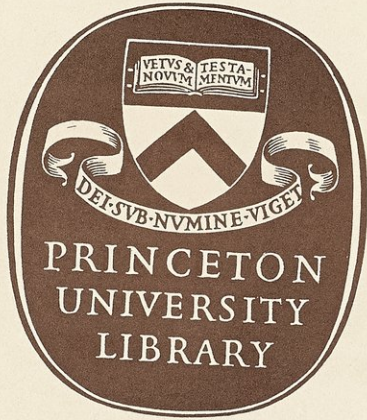
الفهرس

- في البدء ٣
- الفصل الاول: الدعاء في القرآن
- ١ — كيف ندعو الله؟ ١١
- ٢ — ادعوني استجب لكم ٢٣
- الفصل الثاني: الدعاء في السنة:
- ١ — الدعاء سلاح المؤمن ٣٩
- ٢ — الدعاء وتطهير النفس ٤٩
- ٣ — الدعاء وتوفير الامن والرفاه ٦١
- ٤ — الدعاء وضعف الانسان ٧١
- ٥ — شروط الدعاء ٧٩
- الفصل الثالث: التدبر في الدعاء:
- ١ — مفردات الدعاء ٩٥
- ٢ — الخطوات الاساسية في التدبر ١٠٣
- ٣ — التدبر في الذكر ١١٣

— الفصل الرابع: تأملات في دعاء الافتتاح:

- ١ — الحمد والدعاء ١٢٥
- ٢ — توحيد الله ١٣٣
- ٣ — خزائن الله.. لا تنفذ ١٤٣
- ٤ — علاقة الانسان.. بالله ١٥٣
- ٥ — الدعاء ومعالجة الغيب والشهود ١٦٣
- ٦ — حاجة الانسان الى الله ١٧٣
- ٧ — الاعتماد على الله ١٨١
- ٨ — معرفة الرسول ١٨٩
- ٩ — معرفة الوصي ١٩٧
- ١٠ — حجب الله على العباد ٢٠٥
- ١١ — دور الامام المنتظر ٢١٣
- ١٢ — اسس الدولة الاسلامية ٢٢٧
- ١٣ — الايمان بالآخرة ٢٣٧
- نص دعاء الافتتاح ٢٤٩





WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
JULY-AUG 1990
We're Quality Bound

()
BP170
.85
.M82

Princeton University Library



32101 096020761

من اللنا

ولا ريب أن من يقرأ دعاء رغبة في ثواب
الله، ورجاء رحمته أو تسليماً لامره سبحانه
فسوف يؤتيه الله اجراً عظيماً. ولكن هل هذا
كل هدف الادعية؟.

ام ان دعاء مكارم الاخلاق هو برنامج
اخلاقي متكامل، ودعاء الافتتاح هو
موسوعة عقائدية شاملة، ودعاء ابي حمزة
الشمالي هو زخم روحي وومضة عرفانية،
وترتيب سلم الاوليات عند البشر.

ان مفردات الادعية - لو تأملنا فيها -
لكانت دروساً لنا في الحياة غنية بالمعاني
الحضارية.

السعر ٣٥ ريالاً